Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 5:3 (1970)

الحكومات العربية في الهند السند

(١)

تاليف

القاضي اطهر مبارک پوری

ترجمة

الاستاذ عبد العزيز عزت عبد الجليل

الفصل اولال

فى آخر القرن الثانى الهجرى كان الاسلام قد وصل غربا الى الأندلس وامتد شرقا الى السند و الهند ، و أظل القارات الثلاثة آسيا و افريقيا ، و اوربا[١] واستمر يقيم بها حضارات شملت جميع ميادينها و كلما تقدم المجاهدون تبعهم علماء الكتاب و السنة يفرشون فى تلك الديار أبسطة العلوم الدينية ، وعاش العامة و الخاصة تحت ظلال الاسلام فى أمن و أمان ، وعمت القيم الاسلامية كل طرف ، و انتشرت الثقافة الاسلامية فى المدن والقرى و الكفور .

أما العباد و الزهاد فكانوا مصروفين الى زهدهم و تقواهم ، و كان العلماء و المحدثون مشغولين فى حلقات الدرس ، يؤدون رسالتهم و يحرصون على الامر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و يعملون على ايصال نور رسالة التوحيد الى معاقل الظلم و الكفر و الشرك .

١- يقصد المؤلف من ذلک دخول الاسلام الى الأندلس و جزء كبير من اوربا .

و ما هى الا فترة وجيزة من الزمن ، حتى كانت هناك أمة جديدة تملك من الشرق إلى الغرب عمت أصدأوها الدنيا ، و سارت بأحاديثها الركبان ، و مع انتشار القيم الاسلامية الدينية و العلمية و الفكرية بروح من النشاط و الانشراح كانت هذه الأمة تشكل وحدة من الأندلس فى أقصى المغرب إلى السند و الخطا فى الشرق .

و فى آخر القرن الأول الهجرى كانت قد انضوت تحت راية الاسلام مناطق كثيرة من بلاد الهند والسند[1] و كان العمال و الحكام الأمويون و من بعدهم العباسيون يحكمون السند و يسيطرون عليها حتى اعتبرت تلك المنطقة جزءا من العالم الاسلامى تابعا للخلافة .

و يعتبر القرن الثالث و الرابع الهجرى عهد الشباب للفتوحات الاسلامية و مهد الكثير من رجال الدين و العلوم و الفنون الإسلامية فى مختلف نواحى العالم الاسلامى فقد شقت قوافل المسلمين المتتابعة طريقها فى كافة الميادين برا و بحرا رطبا و يابسا .

و عندما أصاب مركز الخلافة الضعف قامت عدة حكومات مستقلة فى بعض الولايات و لكن عزيمة المسلمين ظلت فتية لم تترك لخلافات الحكام و منازعاتهم أن تؤثر على نفسياتهم و طبيعتهم ، و كانت بعض الحكومات المستقله فى المشرق تدعو للخليفة فى الخطاب و تعمل على إرضائه ، تخضع لطاعته ، و إن كان هذا لم يمنع من وجود اختلاف فى نظام الحكم الداخلى ، و كانت مدينتا الديبل و المنصورة ببلاد السند فى هذا العهد كالكوفه و البصرة فى العراق مركزا للعلوم و الفنون الاسلامية ، و مهدا للحضارة و الفكر الدينى و كان التجار

---

١ ـ قال الحموى "سند" بلاد بين بلاد الهند و كرمان و سجستان و قالوا كذلك ان السند والهند كانا اخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام يقال للواحد من اهلها سندى والجمع سند مثل زنجى و زنج .

يأتون إليها و يذهبون منها إما عن طريق البر من سمرقند و بخارى و خراسان و الصين و إما عن طريق البحر ، عمان و سيراف و بغداد و البصرة و اليمن ، بل إنها كانت تمتد إلى بلاد الشام و حدود اوربا .

و قد انتشر العلماء و المحدثون و العباد و رجال العلم والدين فى أرجاءالدنيا يؤدون واجبهم ، و يقومون بتأدية الأمانة التى أخذوها على عواتقهم ، و نجد فى كتب التاريخ و الرجال ذكرا لعلماء المنصورة والديبل فى هذا الدور كما هو الشأن بالنسبة لمصر و الشام و بخارى و بغداد .

ولقد تناول الجغرافيون و الرحالة فى كتبهم الكلام على سندان و السند ، و الملتان و المنصورة و الديبل و مكران و طوران و غيرها بقدر لابأس به حتى إنهم بينوا المسافات و قدروها بين كل مدينة و و أخرى بل بين كل قرية و قرية .

و يقف بنا تاريخ هذا الدور عند بعض الحكومات الاسلامية التى قامت فى بلاد السند و الهند ليكشف لنا كيف كانت بركة الاسلام فى الماضى و أثره ، و ماذا فعل المسلمون هناك و ما هى النتائج التى وصلوا إليها ؟ و الأعمال التاريخية التى قاموا بها ـ

و ينبغى علينا قبل الحديث عن الحكومات العربية فى الهند أن نلقى ضوءا على حالة العالم الاسلامى فى تلك الفترة فمن المعروف أن الخلافة الاسلامية تعرضت فى وسط القرن الثالث لأنواع شديدة من الخلافات و الانقسامات و الفتن الداخلية .

و قامت ثورات فى عدة جهات للاستيلاء على السلطة بالثورة و البغى ، و كان العلويون من أكبر المحركين لذلك ، فقد ظلوا

يعملون خفية و من وراء ستار أكثر مما كانوا يعملون فى الظاهر[1] على امتداد رقعة العالم الاسلامى من مشرقه إلى مغربه ، فقام أبو عبدالله الشيعى فى شمال إفريقيا يدعو للمهدى ، و نجحت دعوته ، فاستولى العبيديون و الفاطميون على مصر و شمال إفريقيا ، و بذلك خرجت مصر وبلاد الشام و المغرب الأقصى و كل دول هذه المنطقة من يد الخلافة العباسية ، و فى عام سنة ٢٥٠ھ قامت فى كل من مصر و الشام حكومة مستقلة لبنى أغلب (القيروان) ، كما قامت من بعدهم سلطنة أخرى لموالى بنى طغج استمرت حتى سنة ٣٦٠ھ و وقعت الأندلس فى قبضة بنى أمية .

كما قام بالدعوة العامة فى طبرستان الداعى العلوى حسن بن زيد بن محمد واستولى عليها و على أطرافها و فى عام سنة ٣٠١ھ دخلت تحت حكومة أخيه أطروش و بعد ذلك قامت دولة الديلميين فى نواحى طبرستان .

و فى سنة ٢٩٠ھ ابتدأ الرئيس ابن ابراهيم طباطبا العلوى الزيدى فى دعوته باليمن وكان من نتيجة ذلك قيام حكومة زيدية هناك لم تبلغ نهايتها إلا منذ ثلاث سنوات فقط[2] .

و فى عام سنة ٢٥٥ھ خرج شخص يدعى على بن محمد بن عبدالرحيم و يلقب بصاحب الزنج و أشاع ثورة كبيرة و كان ينسب إلى قبيلة عبد القيس وادعى أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن يزيد الشهيد و أنه نصير الزنج بالبصرة و استطاع أن يستولى على البصرة و الأبلة و عبادان و غيرها وقتل فى زمن المعتمد سنة ٢٧٠ھ و ظل أولاده

١- على اعتبار أن الشيعة يرون أن نجاح كل أمر يتوقف على سريته أولا و ذلك من اعتقاداتهم .

٢- من وقت تأليف هذا الكتاب وهو يعنى بذلك سقوط حكم أسرة آل حميد الدين بالثورة اليمنية سنة ١٩٦٢م .

يشيعون الثورة فى نواحى البصرة إلى وقت طويل .

و فى عام سنة ٢٧٩ﻫ ظهر فى عمان و البحرين شخص يدعى ''قزط'' و كان يزعم أنه من أولاد اسماعيل بن الامام جعفر الصادق و كان معه زميلان أحدهما حسن الجمالى و الآخر ''زكروتة الكاشانى'' فاستوليا على البحرين و عمان ، و فى آخر القرن الرابع زالت سلطتها .

و فى سنة ٢٥٣ﻫ أقام يعقوب بن الليث الصفار حكومة مستقلة فى خراسان و ظل آل الصفار يحكمون إلى فترة من الزمن -

و فى عام سنة ٢٦٠ﻫ أقام بنو سامان حكومة فى المنطقة التى تقع فوق خراسان مابين النهرين و استمرت حتى آخر القرن الرابع الهجرى ، و بعد انتهاء حكومة السامانيين انتقلت الحكومة إلى يد ''آل سبكتكين'' من مواليهم و امتدت إلى ''غزنة'' التى ينسب إليها السلطان الفاتح العظيم محمود الغزنوى ''و استمر قيام الدولة الغزنوية إلى القرن السادس الهجرى و كان زوالها على يد حكام الدولة الغورية الذين منهم غيات الدين الغورى و شهاب الدين الغورى -

و فى عام سنة ٣٣٠ﻫ قامت حكومة أخرى فى الديلم فبعد أن تم إستيلاء ''بنى بويه'' على خراسان زحفوا على بغداد و قبضوا على السلطة و نادوا بأميرالمؤمنين و كانت حكومة آل بويه فى هذا العصر من أقوى الحكومات الاسلامية و من حكامها عضد الدولة و كانت حكومة شيعية .[1]

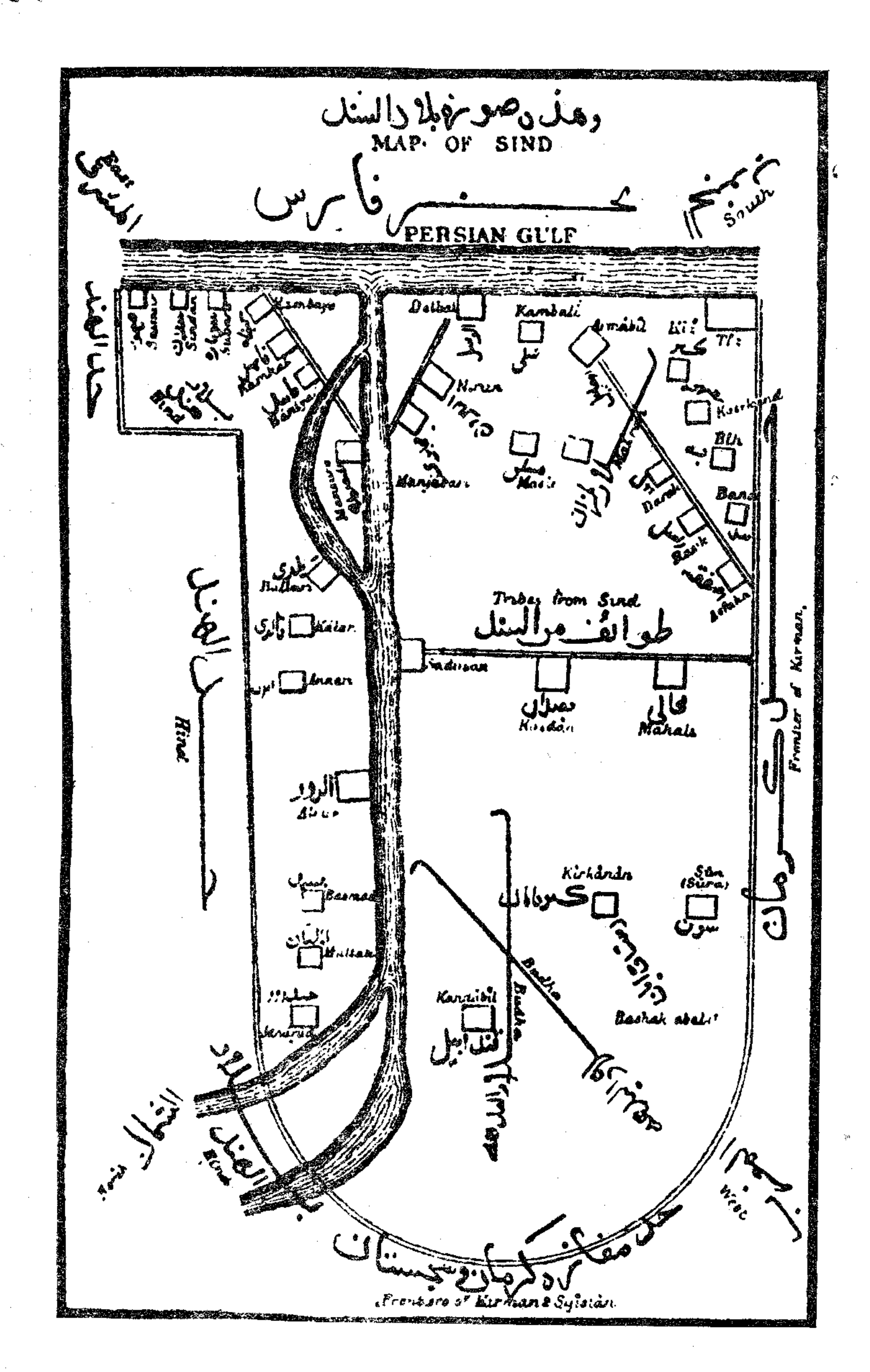
و نخلص من كل هذا إلى القول بأنه كانت هناك حكومات مستقلة فى العالم الاسلامى امتدت من مشرقه إلى مغربه و ان الخلفاء العباسيين فى بغداد قد تقلص نفوذهم فكانوا يحكمون منطقة السواد فيما بين دجلة و الفرات و أثناء الفتن القلقة التى شاعت فى هذا الدور

١- يحرص المؤلف دائما على النص باهل السنة و الجماعة أو الشيعة نظرا لما يربطه به مجتمعه سواء فى الهند أو باكستان .

قامت تلك الحكومات المستقلة التى من بينها حكومات الهند والسند ، و كان أكثر هذه الحكومات تدعو للخليفة العباسى فى الخطب ، كما أنها احتفظت بالولاء والطاعة له ، و مما يسترعى الانتباه و يجب الالتفات إليه أن كلتا الحكومتين اللتين قامتا فى السند والهند لم تعتمد على أهل هذه البلاد ، ولم تقم بهم ، و إنما أقامها العرب أنفسهم على عكس ماكان فى خراسان و ايران ، فقد كان الحكام هناك من آل صفار والديالمة و الغزنويين و الغوريين و كلهم من العجم .

و من أهم الحكومات الحرة المستقلة التى قامت فى بلاد السند والهند هذه الحكومات الخمسة الآتية :

اسم الدولة	العاصمة	مدة الحكم
١- الدولة الهامانية	سنجان (الهند)	فى حدود سنة ١٩٨ إلى سنة ٢٢٧هـ و مدة حكمها ٣٠ سنة تقريبا
٢- ''الهبّارية	المنصورة (السند)	فى حدود سنة ٢٤٧ الى ٤١٦هـ و مدة حكمها ١٧٠ سنة تقريبا
٣- ''السامية	الملتان (البنجاب)	فى حدود سنة ٢٨٠هـ الى ٣٦٠هـ و مدة حكمها ٨٥ سنه تقريبا
٤- ''المعدانية	تيز (مكران)	فى حدود سنة ٣٤٠هـ الى ٤٧١هـ و مدة حكمها ١٣٠هـ سنة تقريبا
٥- ''المتغلبة	قصدار (طوران)	فى حدود سنة ٣٤٠ الى ٤٧١هـ و مدة حكمها ١٣٠ سنة تقريبا



هذه اول خريطة لموقع السند فى شبه القارة الهندية ، رسمها ابن حوقل البغدادى سنة ٣٤٣هـ-٩٤٣م "من مجلة ثقافة الهند-يونيو ١٩٥٠."

و علاوة على هذه الحكومات الخمسة المستقلة فقد كان هناك في الداخل بعض الحكام الذين جعلوا اتصالهم رأسا بالخليفة في بغداد و لكن هؤلاء لم يعدوا كونهم من كبار الاقطاعيين والمتمولين مثل مطهر بن رجاء صاحب منطقة مشكي في مكران سنة ٤٣٠ ه وايل حاكم منطقة طوران .

و الغرض أن فترة الحكام العرب في الهند والسند تبدأ من أول قيام الدولة الماهانية في سنجان[١] سنة ١٩٨ ه إلى الدولة المعدانية في مكران و حتى نهاية الدولة المتغلبة في طوران سنة ٤٧١ ه و هي فترة تبلغ في حساب الزمن و قياس الأعوام ٢٧٥ سنة و كانت تلك الحكومات تحت الخلافة العباسية واستمدت منها قيامها و ثباتها .

و قد مهدت هذه الحكومات للثقافة الاسلامية أرضا جديدة و أقامت بستانا أزهر غرسه و أثمرت أشجاره فأسهمت الهند بنصيب كبير في حضارة العالم الاسلامي .

و عندما قامت الدولة الغزنوية من سنة ٣٦٦ ه إلى سنة ٥٧٨ فقد أكدت بأفعالها العظيمة دور الهند وأهميته في مجال العالم الاسلامي .

و بظهور الدولة الغورية على اثر نهاية الدولة الغزنوية ظل العمل على نهجهم و أسلوبهم من مراعاة للتقاليد الاسلامية حتى سنة ٦٠٤ ه وتبعا لذلك فقد ارتقت العلوم و تقدمت الحضارة الاسلامية . و اذا كان الأعاجم في كلتا الدولتين الغزنوية و الغورية هم الذين خلفوا العرب في الحكم و ورثوا عنهم السلطة و ساروا في المشاريع العربية التي لم تكن قد اكتملت فنهضوا بها و ظهروافاننا نذكر بالمثل العربي :

١- سنجان هي بنفسها سندان و قد وردت في كتب التاريخ تارة هكذا و تارة هكذا .

''و الفضل للمتقدم[١].''

الدولة الماهانية فى سنجان[٢] :

تدل روايات الجغرافيين والسياح والرحالة القدامى على أنهم كانوا يرون أن الهند والسند بلدان مختلفان و ملكان متباينان وأنه قامت فيها حكومات متعددة مابين صغيرة و كبيرة و حكامها مابين راجا و مهراجا .

وقد ذكر ابن خرداذبه بعد بلاد السند ''آوتكين'' على أنها أول بلاد الهند فقد كتب (ومن مهران أى نهر السند حيث تكون آوتكين تبدأ أول بلاد الهند و هى على مسافة أربعة أيام) .

أما ياقوت الحموى فقد اعتبر أن مدينة قامهل ''هى أول بلاد الهند كما كتب مثل ذلك الاصطخرى فهو يعد قامهل أول مدن الهند و يذكر بعدها كهمبايت و سوبارة و سندان و جيمور والملتان و جنداور و بسمد و سندان هى بعينها ''سنجان'' التى كانت عاصمة الدولة الماهانية و كانت حكومة مهاراجا كان ''ولبهى راى فى المنطقة الساحلية فى الجنوب الغربى و كانت تمتد من قامهل إلى بلاد الكوكن و تضم المدن المركزية الكبيرة المذكورة آنفا و جعلت عاصمتها ''مانكير'' وقد ذكر أبو الفضل فى ''آئين أ كبرى'' سومنات و منكلور على أنها

١- نلحظ من هذا أيضا مدى تعلق المؤلف بالعرب و اعتزازه بهم خاصة و أنه يكتب بصفته هنديا للهنود بلغتهم .

٢- سنجان أو ''سندان'' : قال أبوالفدا فى ''تقويم البلدان'' سندان من سواحل الهند و قال العزيزى و مدينة سندان بينها و بين المنصورة خمسة عشر فرسخا و هى مجمع الطرق . قال و سندان بلاد القسط والقنا والخيزران و هى من أجمل فرضة على البحر وقد قال البحترى :

و لقد ركبت البحر فى أمواجه ... و ركبت هول الليل فى بياس
و قطعت أطوال البلاد وعرضها ... ما بين سندان و سجاس

وسيأتى الكلام على ذلك مفصلا فى موضعه .

من بين ما تشملها هذه الحكومة و ''منكلور'' هى التى يطلق عليها اليوم ''مانكرو'' أو مانكرول و كان الحكام هناك يلقبون بلقب ''بلهرا'' و كانت اكثر المناطق الساحلية الموجودة الآن فى ولايتى مهارشترا و كجرات الحاليتين داخلة فيها والتى تشمل بلاد الكوكن التى عرفت باسم بلاد ''كم كم'' وبلاد الأزر و بلاد الساج .

و يذهب البيرونى إلى أن مدينة ''تهانة''[١] كانت هى المركز الأصلى للكوكن و فيها حكومة ''كهاشتى'' التى تحكم باسم ''راجا بلهرا'' ''و لبهى راى''.

و كذلك نائبه على صيحور (بومباى العظمى) و كان لفظ (صيمور) وقتها يعنى كل المنطقة التى تشمل صيمور[٢] و سوباره[٣] و سندان وغيرها . و تعتبر صيمور من أول المناطق التى نزل فيها المسلمون

١- واسمها القديم ''تانه'' وهى الآن احدى عواصم مديريات ولاية سهارشترا و تقع على مسافة ٣٢ ميلا منها و بها معبد كبير قديم للجينيين ، وقد شاهدته بنفسى وقال أبو الفدا فى ''تقويم البلدان'' : قال بعض المسافرين و تانة من الجزرات فى الجهة الشرقية منها غربى الميناء . قال ابن سعيد هى آخر مدن اللار مشهورة على ألسنة التجار و أهل هذا الساحل الهندى جميعهم يعبدون الأنداد و يسكنون معهم المسلمين . قال البيرونى هى على الساحل وينسب الى تانه تانشى و منه التانشيه . قال الادريسى وأرضها وجبالها تنبت القنا و الطباشير يتخذ فيها من أصول القنا و يحمل الى الآفاق . وعن بعض المسافرين أن الماء يحيط بها و بقراها فهى جزيرة فى البحر .

٢- قال الحموى و ربما قيل صيحون بالنون فى اخره بلد من بلاد الهند الملاصقة للسند قرب الديبل و هو من عمل ملك من ملوكهم يقال له ''بليرا'' ''و لبهى راى'' الا ان صيحور وكتامة من بلاد فيها مسلمون ولا يلى عليهم من قبل بلهرا الا مسلم و بها مسجد جامع . وقال المسعودى فى ذكر صيحور ان بها من المسلمين نحو عشرة آلاف قاطنين بياسره . ثم قال و معنى

(أنضرا الصفحة التالية)

فى الهند . ففى سنة ١٥ھ فى عهد عمر الفاروق رض وضعت أولى طلائع المجاهدين الاسلاميين أقدامها فى "تهانة" و فى المدة مابين سنة ١٩٨ھ إلى سنة ٢٢٧ھ قامت فى هذه المنطقة حكومة اسلامية مستقلة فى سندان هى الدولة الماهانية .

علاقات المسلمين بجنوب الهند قبل السند :

يرجع تاريخ الإسلام والمسلمين فى الهند إلى عهد فاتح الهند والسند العظيم القائد محمد بن القاسم الثقفى ولكن هذا لايمنع من وجود علاقات بين المسلمين و جنوبى الهند قبل ذلك بكثير و قد كتب بزرج بن شهريار الرامهرمزى بأن وفدا من سرنديب قد سافر إلى المدينة المنورة فى عهد الرسالة لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم و نظر البعض الصعوبات و العقبات التى اعترضت طريقه فانه وصل متأخرا أثناء خلافة عمر بن الخطاب رض و هناك اتصل بالمسلمين اتصالا مباشرا و سمع منهم و عرف من تواضعهم و اخلاقهم مما كان له أكبر الأثر فى حياتهم كما كانت هناك علاقات تجارية بين العرب و جنوب الهند قبل الاسلام[1] وكان للتجار العرب ولع كبير بالتجارة فى الهند لما كانت تحويه من مختلف السلع و أنواع التجارات الأخرى ، و كانت البضائع و السلع و الصينية و السرنديبية التى تصدر من الصين او سرنديب أو تستورد منها

(بقية الصفحة السابقة)
قولنا بياسرة يراد من ولدوا من المسلمين بارض الهند يدعون هذا اللقب و احدهم بيسر وجمعهم بياسر .

٣- قال ابو الفدا سفالة الهند . قال البيرونى و اسمها "سوباره" وللهند هذه السفاره كما للزنج . قال الادريسى سوفارة مدينة عامرة كثيرة الساكن و لها تجارات ومرافق وهى فرضة من فرض البحر الهندى و بها مصايد ومغاص اللوءلوء و بينها و بين مدينة سندان خمس مراحل . (انتهت حاشية الصفحة السابقة)

١- لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع الى "العرب والهند فى عهد الرسالة" للموءلف و علاقات العرب بالهند للمؤحوم سيد سليمان الندوى .

ثمر بمنطقة حكومة "راجا ولهى" و بذلک توطدت العلاقات بين سرنديب و صيمور و سوبارة و سندان و تهانة و بهروج و كهبايت وغيرها و عند ما جاء الاسلام فانه قد دفع بتلك العلاقات قدما إلى الأمام و وسع دائرتها و وثق روابطها .

روايات ثلاثة عن ثلاث حملات على بعض مناطق بالهند فى عهد عمر الفاروق رض

فى أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تولى عمرو بن أبي العاص الثقفى أمر البحرين سنة ١٥ھ و قد وجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى بهروج و تهانه كما أرسل أخاه الثانى المغيرة بن أبي العاص إلى "الديبل[١]" وقد صرح بذلك الامام البلاذرى فى كتابه "فتوح البلدان" كما كتب ياقوت الحموى فى "معجم البلدان" نبذا مبهمة عن الديبل و لكنه أخذ فيها اسم الحكم بدلا من أخيه المغيرة[٢] .

١- والديبل على شط ماء السند و هى على ساحل البحر و هى بلد صغير شديد الحر و بها سمسم كثير و يجلب اليها التمر من البصرة . قال ابن حوقل والديبل على البحر و هى فرضة تلك البلاد و هى شرقى مهران وكذلك قال فى اللباب انها على البحر الهندى قريبة من السند قال ابن سعيد فى دخلة من البرالخليج السند و يجلب منها المتاع الديبلى و هى أكبر فرصه السند و اشهرها .

٢- ورد فى كتاب "جمهرة انساب العرب" لابى محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسى طبعة دارالمعارف بمصر سنة ١٣٨٢هـ-سنة ١٩٦٢م تحقيق عبدالسلام محمد هارون ص ٢٦٦ مايأتى : و هؤلاء بنو منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمه بن خصفه بن قيس عيلان و هم ثقيف و عثمان منهم خيار الصحابة ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف و غزا فارس وثلاثة من بلاد الهند وله فتوح واليه ينسب شط عثمان بالبصرة و كانت امه صفية بنت امية بن عبد شمس" .

و مهما يكن من أمر فان كلا أخوى عثمان بن أبي العاص قد حملا على الهند من ثلاث جهات و فى ذلك تصريحان و قولان مذكوران فى كتب التاريخ ، لانجد داعيا لذكرهما .

أما القول الثالث و هو الأهم والمعتبر فهو من كلام الامام ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ھ و هو مدرج فى ''جمهرة أنساب العرب'' بالنص الآتى : ''وعثمان منهم من خيار الصحابة ولاه رسول الله صلى الله عليه و سلم الطائف و غزا فارس و ثلاثة من بلاد الهند وله فتوح .

و هذا يدل على حدوث حملات على الهند من قبل عثمان بن أبي العاص الثقفى . والظاهر أنه أثناء توليه حكم البحرين قد أرسل اسطولا حربيا من هناك لعله كان على رأسه كما يرى ذلك ابن حزم و أن الأخوة الثلاثة هجموا على ثلاث جهات من الهند[1] .

طلائع المجاهدين الاسلاميين فى سنة ١٥ على بهروج و تهانه و نواحي سندان

كانت أول منطقه هندية لها شرف فى تاريخ الاسلام بالهند مملكة ''ولبهى راى'' ففى بداية عهد عمر بن الخطاب سنة ١٥ ھ بدأت حملات المجاهدين الاسلاميين من المتطوعين على تهانة و بهروج . وقد ذكر العلامة البلاذرى فى كتابه ''فتوح البلدان'' فى باب فتوح السند أن عمر رضى الله عنه ولى عثمان بن أبي العاص الثقفى فى عام سنة ١٥ البحرين و عمان و أن عثمان أرسل أخاه الحكم إلى البحرين و توجه هو إلى عمان و من هناك وجه جيشا إلى تهانة ، و لما عاد أخبر عمر بما فعل فكتب إليه عمر :

١- هى تهانه و بهروج والديبل .

"ياثقفى حملت دودا على عود واقسم با الله
أن لوأصيبوا لآخذن من قومک بدلا منهم"

و کان عثمان قد وجه أخاه الحکم إلى بهروج و أخاه المغيرة إلى الديبل[1] قريبا من کراتشى الحالية وهناک انتصر على أعدائه .

فتح مکران سنة ٢٣ فى عهد عمر :

فى خلافة أبوبکر رضى الله عنه بدأ احتکاک الايرانيين بالمسلمين و مناوشتهم ، و فى عهد عمرؓ غزت الجيوش الاسلامية بعض مناطق من ايران و فتحتها و فى سنة ١٧ ھ طلب المسلمون من عمر الترخيص لهم بالزحف على بلاد فارس لمقابلة الجيش الفارسى والالتحام معه فى قتال أصبح ضروريا لازما فأمر عمر أبا موسى الأشعرى حاکم البصرة آنذاک بالهجوم على بلاد فارس فجهز أبو موسى سبعة ألوية تحت قيادة سبعة أمراء و جعل سهيل بن عدى على رأس الجيش العام و على لواء اصطخر عثمان بن أبى العاص ، و على لواء کرمان سهيل بن عدى ، و على لواء مکران الحکم بن عمر والثعلبى ولکن الحملة على فارس وقعت فيما بين سنة ٢١–٢٣ھ فحمل کل أمير من آولئک على المنطقة المعينة له فتوجه الحکم بن عمر والثعلبى[2] إلى مکران و لحق به مدد على رأسه شهاب بن مخارق و عبدالله بن عبدالله بن عتبان و سار به إلى مکران و عندئذ عاون أهل السند المکرانيين بارسال جيش کبير

١- يرى بعض العلماء ان مکان الديبل حاليا مدينة تهتها التى بها محطة المياه التى تغذى مدينة کراتشى وتبعد عنها بحوالى ستين ميلا بينما يرى بعض المحققين خلاف ذلک .

٢- قال القاضى فى جميع المواضع فى هذه العبارة کان "الحکم بن عمرو التغلبى بالتاء المثناة فکتبناه الحکم بن عمرو الثعلبى بالثاء المثلثة لانه هو الصحيح" - العقد الثمين فى فتوح الهند و من ورد فيها من الصحابة والتابعين". ١٢٨٨ھ–١٩١٨م المطبعة الحميديه اعظم جر .

ولكن جيوش المسلمين لم تدع لهم فرصة و خاضت غمار الحرب معهم فقتلت منهم الكثير فولوا هاربين وتعقبتهم الجيوش الاسلامية فعبروا الأنهار فارين و عاد المسلمون فاستولوا على مكران و سافر صحار العبدى يحمل معه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشرى الفتح وخمس الغنائم فاستفهم منه عمر عن الهند وأحوالها فأوضح أمامه المشكلات والصعوبات التى صادفتهم هناك فكتب إلى كل من سهل بن عدى والحكم بن عمر و بألا يتقدم الجيش بعد ذلك أو أن يتجاوز جندى واحد مكران[١]-

وكما عرفنا سابقا أن المناوشات الأولى للمسلمين بأرض الهند كانت فى منطقة سندان و أن المسلمين قد وضعوا أقدامهم فى اهم مركزين أحدهما "تهانه" مركز الكوكن وثانيهما "بهروج" فى كجرات ، على حين أن عثمان بن أبى العاص كان قد وجه المغيرة فى هذه الأثناء للحملة على الديبل فلقى هناك نجاحا وعاد ظافرا فقد ظل النصر حليف المجاهدين الاسلاميين فى كل من السند والهند ولكن هذه الحملات والمناوشات لم تنه الأمر فاستمرت هناك مناوشات و سلسلة من الاحتكاكات حتى كان عهد عثمان وعلى رضى الله عنهما فأخذت لونا آخر وإن كان لايظهر لنا أى عمل آخر فى عهد الخلفاء الراشدين فى بلاد الهند والسند من هذا القبيل .

١- تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٢٣ . [ولما قدم صحار على عمر بالخبر والمغانم سأله عمر عن مكران فقال : ياأمير المؤمنين أرض سهلها جبل ، و ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، و عدوها بطل ، و خيرها قليل ، و شرها طويل ، و الكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شرمنها . فقال عمر : أسجاع انت ام مخبر ؟ قال لا بل مخبر . قال لا والله لايغزوها جيش لى ماطعت وكتب الى الحكم بن عمرو و ابى سهيل الا يجوزن مكران احد من جنودكما واقتصرا على مادون النهر] العقد الثمين فيمن ورد الى الهند مع الصحابة و التابعين" .

الحملة الأخرى فى عهد الخلافة الأموية

من سنة ١٠٥ الى سنة ١٢٥

بعد الحوادث التى ذكرناها بعدة أعوام ابتدأ المسلمون ينشطون فى منطقة كجرات بمملكة بلهرا بعد أن كانوا قد سيطروا فى وسط تلك الفترة على كل السند و وافد عمال و حكام الخليفة الأموى على تلك البلاد يحكمونها و من سنة ١٠٥ إلى ١٢٥ إثناء عهد هشام بن عبد الملك عين الجنيد بن عبد الرحمن المرى حاكما على السند فقام بعدة اصلاحات قوم بعض الحالات ثم جهز جيشا انتحاريا فتح به مدنا كثيرة فى كجرات و مرمد و مندل[1] و دهنج و بهروج و بهليمان .

و قد كتب البلاذرى أن الجنيد وأتباعه قد توجهوا إلى بهروج و دهنج و مندل و مرمد و أن الجنيد قد أرسل حبيب بن مرة ناحية مالوه و أجين ففتح البهليمان و كجرات و أن ذلك كان فى سنة ١٠٧ ه .

و قد نجح الجنيد بن عبدالرحمن المرى فى حملاته تلك التى قام بها مع الفدائيين و المتطوعين على نواحى سندان ولا نلمع بعد ذلك أية حروب أو حملات على الهند فى عهد الأمويين ، و الظاهر أنه لم تحدث مشاغبات أو اشتباكات أيام انضواء السند تحت الخلافة الأموية على أن ذلك لم يمنع من وجود نوع من عدم الربط والضبط فى نواحى سندان إلى أن كان عام ١٣٢ ، فانتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين و صارت بغداد عاصمة لهم بدلا من دمشق فعند ذلك اتخذت الأمور شكلا آخر و دخلت البلاد الإسلامية فى عهد جديد .

١- فتوح البلدان ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ -

الحملة الثالثة فى عهد العباسيين :

فيما بين سنة ١٣٢—١٥٨ﻫ

و عندما قامت الدولة العباسية أتجه الخلفاء العباسيون إلى الهند وقد عين أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ﻫ—١٥٨ﻫ هشام بن عمرو الثعلبى حاكما على بلاد السند ، فلما وصل هناك أصلح من شئونها و قوم أحوالها و أزال اضطرابها وقضى على الثورات الداخلية فيها ووطد الأمر لبنى العباس و قام بارسال حملة بحرية إلى "بهار بهوت" من أعمال بهروج التى هى من أهم المزاكر فى كجرات آنذاك فاستولت على ميناء "قندهار" القديم المشهور .

و يؤخذ من كلام البلاذرى أن هشام بن عمرو الثعلبى قد وجه عمرو بن جمل على رأس اسطول إلى "باربد" فوصل عمرو بأسطوله هذا إلى "قندهار" وحارب و انتصر ثم هدم بيت الأصنام هناك و أقام مكانه مسجدا [1].

و قد نجحت حملة هشام بن عمرو بالنسبة للحملة التى قام بها الجنيد بن عبد الرحمن المرى قبل ذلك بخمسة و عشرين سنة فضلا على أنه قد فتح بعض المناطق فى الهند بعد أن استقر قليلا فى السند يصلح من أحوالها .

و مما هو جدير بالذكر هنا أن أهل الهند استبشروا بالعرب فتبدلت نظرتهم إليهم و حلت محبتهم فى قلوبهم و كان ذلك بمثابة تأييد الهى غيبى للمسلمين و فى ذلك كتب البلاذرى :

{فأخصبت البلاد فى ولايته
فتبركوا به} [2]

١- فتوح البلدان ، ص ١٣١ .
٢- فتوح البلدان ، ص ١٣١ .

و لم تكن الفتوحات فى ذلك الحين قد تمت فى كجرات و أنحائها ولهذا فقد استمرت المناوشات جارية فى تلك المنطقة بين المسلمين و أهل البلاد .

الحملة الرابعة فى سنة ١٦٠ﻫ وفتح بهاربهوت :

و عندما تبوأ المهدى الخلافة بعد والده المنصور العباسى سنة ١٥٨—١٦٩ﻫ شاقه أمر كجرات و رأى أن يقوم الخليفة العباسى بنفسه بتجهيز جيش بدلا من الاعتماد على الحكام و العمال هناك فقام فى السنة الثانية من حكمه سنة ١٥٩ﻫ بتهيئة جيش كبير على المستوى الحكومى والشعبي و أرسله تحت قيادة عبد الملك بن شهاب السمعى إلى ''باربد'' و كان هذا الجيش يضم ألفى مقاتل من جيش البصرة و ألفين و خمسمائة من المتطوعين منها و من غيرها على نفقتهم الخاصة وانضم إلى هذا الجيش سبعمائة شامى تحت قيادة يزيد بن حباب المزحجى علاوة على أربعة آلاف من الأساورة[1] والسيابجة[2] القاطنين فى أنحاء البلاد العربية و بالجملة فقد بلغ عدد الجيش الذى حمل على باربد حوالى عشرة آلاف مقاتل على الأقل و فى سنة ١٦٠ﻫ تم فتحها و كان المسلمون قد أنذروا

١- الأساورة : جاء فى لسان العرب ما يأتى : الاسوار و الاسوار قائد الفرس و قيل هو الجيد الثبات على ظهر الفرس والجمع اساورة .

و كانوا من أكثر الجاليات فى البلاد العربية التى لها قوة و شوكة و و امور الحكم و السياسة و السلطان على كل السواحل العربية من العراق الى اليمن . و من يريد التفصيل فعليه بمطالعة ''العرب و الهند فى عهد الرسالة .''

٢- السيابجه : كتب الجوهرى ان السيابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلادى و حراس السجن كما كتب ابن دريد فى ''الجمهرة'' السيابجة قوم من الهند يستاجرون للقتال فى السفن . وقد اخطأ صاحب المنجد القول عندما ذكر انهم كانوا يسكنون اندونيسيا و انهم اسلموا سنة ٦٣٨ . و من يريد الاستزادة من ذلك فليقرأ ما كتب عنهم فى كتاب ''العرب و الهند فى عهد الرسالة .''

أهلها فعرضوا عليهم الاسلام و أعطوهم مهلة يومين عليهم بعدها إما أن يعلنوا قبولهم للاسلام أو استعدادهم لدفع الجزية منعا للحرب و لكن الموعد المضروب انقضى دون رد ، فحملوا عليهم بالمنجنيق و آلات الحرب الأخرى و زمجرت الجيوش الاسلامية بالتكبير و تلاوة آيات من القرآن الكريم و بهذه الروح و هذا الايمان القوى فتح الله عليهم فانتشر الفرسان فى كل الأطراف و اقتحموا عليهم كل الجهات حتى اضطر السكان إلى اللجوء إلى المعابد و الهياكل و ظلوا يدافعون و يقاومون و استخدموا جذوع شجر التارى حتى حرقوا منه الكثير و كانت العاقبة للمسلمين و كان لهم الفتح المبين و قد استشهد فى هذه المعركة أكثر من عشرين مجاهدا و عاد الجيش الاسلامى ظافرا منتصرا و فى أثناء عودته كان البحر هائجا مما اضطره إلى الانتظار لعدة أيام .

و فى خلال تلك المدة انتشر فى الجيش وباء يعرف "بحمامة الغز" فهلك بسببه آلاف مؤلفة ، و كان هذا المرض يتمثل فى ظهور بثور و حبوب مسممة على الوجه و الفم . و كان من بين الهالكين ربيع بن صبيح البصرى الذى كان يعتبر من كبار المصنفين و الفقهاء و المحدثين المرابطين فى عبادان و خرج للجهاد فى سبيل الله حسبة .

أما باقى الجيش فقد توجه بعد ذلك إلى العراق ، و ما أن وصل قريبا من ساحل فارس حتى هب طوفان عات أغرق أكثر السفن بمن عليها من المجاهدين و استطاع عبد الملك بن شهاب المسمعى الوصول إلى دار الخلافة و معه جماعة من أهل باربد مقبوضا عليهم ، من بينهم ابن راجا باربد[١] ، فقرره الخليفة المهدى حاكما على بلاد السند بعد هذه الواقعة .

١- تاريخ الطبرى ، جلد ٩ ، ص ٣٣٣ .

و ما من شك فى أن هذه الحملة وهى الرابعة على نواحى سندان كانت قوية و منظمة لأنها كانت تحت رعاية الخليفة المهدى مباشرة و لذلك فقد حققت نجاحا كبيرا بالنسبة لكل ما سبقها من معارك فقد أبلى فيها المتطوعون والمرابطون بلاء حسنا و أسهموا بنصيب كبير و بخاصة الأساورة و السيابجة الذين واتتهم الفرصة للرجوع الى بلاد آبائهم و أجدادهم محاربين .

و لقد عاد الجيش منتصرا لولا ذلك الوباء الذى فتك بكثير و كان سببا فى القضاء على فكرة ارسال جيش انتحارى آخر إلى الهند فى المستقبل و من جهة أخرى فان الفتن الداخلية فى السند لم تعط فرصة لذلك .

الفتن الداخلية فى السند
صرفت النظر عن بلاد الهند

للأسباب التى ذكرناها آنفا لم نقف على أى نشاط للمسلمين فى كجرات و مملكة بلهرا بعد معارك سنة ١٦٠ هـ ، فقد أدت الحالات غير الطبيعية و غير المستقرة فى السند إلى صرف الخلفاء العباسيين عن التقدم بعد ذلك فى بلاد الهند على خلاف ما كان يبدو أولا و كانت الفتن الداخلية فى بلاد السند قد اشتدت نظرا لبعدها عن مركز الخلافة فى بغداد مما هيأ للمخالفين للعباسيين من الخوارج و الروافض و الاسماعيلية والملاحدة جوا خصبا فاتخذوا من تلك الديار مراكز لحركاتهم و نشاطهم امتدت من البحرين إلى سواحل الهند و داخلها ، و كانت كلها تتسم بالصبغة الدينية و كانت هناك فى كل مكان ثورات وضعت بذورها فى عهد الأمويين .

لذلك خرج كل من معاوية بن الحارث العلافى و أخيه[1] محمد بن

١- سيأتى الكلام على ذلك مفصلا فى الدولة الهبارية .

الحارث على سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى مندوب الحجاج على السند و كان من نتيجة ذلك قتل سعيد بن أسلم و استيلاء معاوية وأخيه على السند و تبع ذلك ثورات عديدة شملت كل اقليم السند و كل من واتته الفرصة للاستقلال بالحكم عن الخلافة فعل واستقل ، ولما كان عهد الخليفة أبي جعفر المنصور وفد عنده داؤد بن يزيد بن حاتم بعد تنصيبه حاكما على السند و معه شخص يدعى "أبوصمة" كان علافا لبنى كنده وجرثومة ثورات و كان بشر بن داود أيضا من المخالفين للعباسيين فى السند وقد أعلن الثورة والعصيان فى عهد المأمون علانية فدق رأسه غسان بن عباد و قرر موسى بن يحيى البرمكى حاكما على السند الذى توفى سنة ٢٢١ هـ فخلفه ابنه عمران .

و عندما تولى الخليفة المعتصم الخلافة من سنة ٢١٨ الى ٢٢٧ اهتم بأمر السند و حكومته .

و فى عهد عمران بن موسى استطاع شخص يدعى محمد بن خليل الاستيلاء على قندابيل فاعتقله عمران و أرجع قندابيل تحت لواء الخلافة و فى هذه الآونة أخذت الحالة صورة الحرب الأهلية بين العرب المقيمين فى السند فقامت نعرة النزارية واليمنية و جاشت العصبية العمياء فحدثت منازعات و احتكاكات فانحاز عمران إلى اليمنيين و ذهب عمر بن عبدالعزيز الهبارى مع النزاريين .[١]

و فيما بين سنة ١٦٠ إلى ٢٢٧ انتشرت الاضطرابات العنيفة ببلاد السند التى كانت سببا فى عدم انتظام الأمور و شيوع الفوضى ، ولهذا لانجد فى كتب التاريخ أى شئ يدل على حدوث حملات على الهند بعد سنة ١٦٠ هـ .

١- ليس المقصود بالنزاريين هنا طائفة الشيعة المعروفة و انما يراد باليمانية "القحطانيين" و بالنزاريين "الحجازيين" .

قيام الدولة الماهانية فى سندان فى عهد المأمون حوالى سنة ٢٩٨ھ :

وسط تلك الحالات غير الطبيعية التى مرت ببلاد السند أيام المامون والمعتصم استطاع أحد عتقاء بنى سامة وهو الفضل بن ماهان أن يثبت أركانه فى سندان التى لم يكن لها قبل ذلك أى ارتباط بالخلافة فقد كانت من أعمال مهارجكان يلهرا حاكم كجرات .

لقد كان المسلمون يسعون منذ العهد الفاروق حتى عهد الأمويين والعباسيين للسيطرة على سندان و نواحيها ولذلك وجه المهدى الخليفة العباسى جيشا خاصا ، و لكن القدر و ارادة الله تعالى شاءت أن يكون ذلك على يد الفضل بن ماهان الذى استطاع أن يقيم فيها حكومة مستقلة سار بها بتفكير عميق و نظر ثاقب و بصيرة سياسية ، و أوجد علاقات ودية مع الخلافة العباسية و بذلك تحقق للمسلمين حلمهم القديم كما أصبحت هذه الحكومة الاسلامية الصغيرة فى أمن و هيبة جعلت الحكام غير المسلمين المجاورين لها فى رعب منها و حذر من بطشها و هكذا ظهرت الدولة الماهانية فى سندان الى الوجود تعبيرا حيا واقعيا لآمال المسلمين الاولين .

و قصة هذه الدولة فى التاريخ رهينة تصريح للامام البلاذرى . فانه وحده الذى جاء بذكرها فى العبارات الاتية :

''حدثنى منصور بن حاتم قال : كان الفضل بن ماهان مولى بنى سامة فتح سندان و غلب عليها و بعث الى المأمون رحمه الله بفيل و كاتبه و دعا له فى مسجد جامع اتخذه بها فلما مات قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه فسار فى سبعين بارجة الى ميد الهند فقتل منهم خلقا وافتتح قالى و رجع الى سندان و قد غلب عليها أخ له يقال له ماهان بن الفضل

و كاتب أمير المومنين المعتصم بالله و أهدى اليه ساجا
لم ير مثله عظما و طولا و كانت الهند فى أمر أخيه فمالوا
اليه فقتلوه و صلبوه ثم ان الهند بعد أن غلبوا على سندان
فتركوا مسجدها للمسلمين يجمعون فيه و يدعون للخليفة[١]".

و لم يتناول أحد من المؤرخين الكلام على الدولة الماهانية غير البلاذرى[٢] و أبو منصور بن حاتم النحوى فى السطور التى ذكرناها سابقا والتى ستعرف على ضوئها حقيقتها و لاسيما و أن كلا الراويين البلاذرى و أبومنصور من خاصة رواة و علماء التاريخ الاسلامى القديم للهند و المهتمين به بدليل أن العلامة البلاذرى هو وحده الذى روى لنا المعارك الاولى للمجاهدين المسلمين فى الديبل و بهروج و تهانة فى كتابه "فتوح البلدان" و ان كان ياقوت الحموى قد تكلم عن الحملة على الديبل وأبو منصور بن حاتم نزيل الهند عن بيت الاصنام فيها و عن راجا داهر و قتله . و عن بديل بن طهفه فى قندابيل فان البلاذرى قد أدرج كل ذلك فى كتابه .

سبب صمت المؤرخين و عدم تعرضهم لهذه الواقعات :

لم يرد ذكر الحكومة العربية فى سندان فى كتب التاريخ الاسلامى لان وجودها أو عدمها كان فى صدر الاسلام و كان المسلمون قد اجتهدوا و حاولوا أكثر من مرة بل مرات متعددة الاستيلاء على بعض المناطق فى الهند فلم يوفقوا فى البداية .

و بعد مرور مائة سنة على هذه الحكومة النائية و مضى زمن كبير عليها زار الهند كل من ابن خرداذبه والاصطخرى والمسعودى و بزرج بن شهريار الرامهرمزى و ابن رسته و ابن حوقل و بشارة المقدسى

١- فتوح البلدان ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .
٢- نقل البلاذرى عن ابى منصور نزيل الهند .

و غيرهم وكتبوا عن جغرافيتها .

و بعد زوال الدولة الماهانية بعدة سنوات كتب سليمان التاجر سنة ٢٣٧هـ وأبو زيد السيرافى سنة ٢٦٤هـ على حالات الهند والصين و لكنهما لم يتحدثا اطلاقا عن الدولة الماهانية و لكنهما أشارا براجا بلهرا الذى كان توجد فى حدود مملكته حكومة اسلامية و لايرجع عدم تعرض هؤلاء الجغرافيين والسياح بالكلام عن هذه الدولة جهلهم بها خاصة و أن آثارها واضحة أمام أنظارهم شأنها فى ذلك شأن أربع حكومات عربية أخرى فى السند والهند ظنا منهم أنها حكومات صغيرة تستحق الذكر خاصة فى وقتها[1] .

يتبع

☆ ☆ ☆

١- كما يمكن ايضا ان يكون المؤرخون قد اهملوا ذلك عمدا بناء على اعتبارات عندهم او لعدم توافر الشروط الواجبة فى الدولة فى نظرهم آنذاك .

Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 5:4 (1970)

الحكومات العربية فى الهند و السند

(٢)

تاليف

القاضى اظهر مبارک بورى

ترجمه

للاستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل

مزيد من الشواهد والدلائل على وجود هذه الحكومة :

و مع أنه لم يتحدث عن الدولة الماهانية من المؤرخين سوى البلاذرى و أبو منصور الا أن هناک دلائل و شواهد أخرى تشير الى أهميتها و عظمتها و نورد فيما يأتى مما کتبه ياقوت الحموى من بيان نصر بن عبدالرحمن السکندرى :

”سندان قال نصر هى قصبة بلاد الهند ولا أدرى أى شئ أراد بهذا فان القصبة فى العرف هى أجل مدينة فى الكورة أو الناحية و لا يعرف بالهند مدينة يقال لها سندان تكون کالقصبة و انما سندان مدينة ملاصقة السند بينها و بين الديبل و المنصورة نحو عشر مراحل ولم توصف صفة ما يستحق أن تكون قصبة الهند .“

و مما يدعو إلى العجب والدهشة أن جغرافيا كبيرا ماهرا کياقوت الحموى يظهر عدم علمه و ينكر ما ذهب اليه أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن السكندرى من أن سندان قصبة البلاد و عاصمة حكومة

آل ماهان .

ومن المستبعد أن يقال ان ياقوت الحموى لم يكن عنده علم بحكومة آل ماهان . فى سندان أن العلامة البلاذرى كتب فى "فتوح البلدان" فى أكثر من مكان عنها مما لابد و أن يكون ياقوت قد وقع نظره عليه ، فلعل ياقوت لم يأبه بذلك و لم يعط تلك الحكومة أهمية فلم يذكر عنها شيئا أو أنه كان لا يعترف بالحكومات التى تقوم على الهجوم و الاغارة و لذلك أهمل ذكر حكومة سندان . و حسبنا ما ذكره نصر بن عبدالرحمن فى شأن سندان .

و أنه لما يثير الدهشة أشد أن ياقوت يؤثق نصر و يعتمد على كلامه فهو يقول فى مقدمة كتابه "معجم البلدان" :

"ألفه أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن الاسكندرى النحوى فيما اختلف و ائتلف من أسماء البقاع فوجدته تأليف رجل ضابط قد أنفذ فى تحصيله عمرا و أحسن فيه . . فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر فقد نسبته إليه و أحلته عليه و لم أضع نصبه ولا أخملت ذكره و تعبه والله يثيبه و يرحمه[1]."

و على الرغم من اعتماد ياقوت على كلام نصر فاننا نجده يقف أمام اعتراف بسندان كقصبة لبلاد السند و هذا تناقض من ياقوت لا نستطيع تعليله .

شهادة الشاعر البحترى :

و لقد أنشد الشعراء العرب المعاصرون للدولة الماهانية أبياتا تكشف عن مدى أهميتها حتى أن منهم من شد الرحال إليها و من هؤلاء

١- معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨ ، طبع طهران .

الشاعر البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ﻫ الذى يقول :

و لقد ركبت البحر فى أمواجه　　و ركبت هول الليل فى بياس
و قطعت أطوال البلاد و عرضها　　مابين سندان و بين سجاس

شهادة الشاعر أبوالعتاهية :

كما نجد أبياتا لشاعر مشهور من شعراء العهد العباسى هو أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ﻫ فهو يقول فى شأن سندان :

ما على ذا افترقنا بسندان　　و ما هكذا عهدنا الاخاء
تضرب الناس بالمهند البيض　　على غدرهم و تنسى الوفاء

فما كتبه أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن السكندرى عن سندان و مجئ البحترى اليها و قرضه الشعر فى حقها وما حكاه أبو العتاهية من واقعة سياسية فى البيتين اللذين ذكرناهما آنفا ـ كل هذا مما يدل على أنه كان للمسلمين فى سندان مركز قوى و أنهم حصلوا فيها على ما لم يتيسر لهم فى مناطق أخرى من الهند و السند ، و قد كان للمنصورة عاصمة الدولة الهبارية أربعة أبواب أحدها كان يطلق عليه "باب سندان"[1] و هذا أيضا مما يدل على أهميتها .

حكام الدولة الماهانية :

كان الفضل بن ماهان مؤسس الدولة الماهانية فى سندان مولى لبنى سامة الذين استوطنوا عمان و لهم فى التاريخ الاسلامى شأن كبير و ينتمى إليهم البطل محمد بن قاسم السامى الذى قضى على حركات الروافض و الخوارج فى عمان من سنة ٢٧٩ـ٢٨٦ﻫ فى عهد المعتضد ، و أقام

١- احسن التقاسيم ، ص ٤٧٩ .

حكومة سنية هناک استمرت تتنقل بين أفراد عائلته حتى سنة ٣١٧هـ ، و فى نفس الوقت استطاع أن يقيم حكومة أخرى فى الملتان بعد أن فتحها و كان يخطب فى كلتا الحكومتين باسم الخلفاء العباسين .

و كان الفضل قد تمكن قبل ذلک بخمسين أو ستين سنة من إقامة حكومة فى الهند على حين أن بنى سامة فى الموصل كانوا لا يفترون يظهرون قوتهم و شوكتهم فى الوقت الذى كان تتخلخل فيه قوة بنى ثعلبة و المصائب تلحق بالقرامطة و الخوارج و العصبية القبلية فى بلاد السند منتشرة ، و فى خلال هذه الحالات توجه الفضل بن ماهان بما له من كفاءة و بعد نظر إلى سندان فأقام بها حكومة ثم حكم بنو سامة بعد ذلک عمان و الملتان .

الفضل بن ماهان مولى بنى سامة :

و حكام الدولة الماهانية هم :

(١) الفضل بن ماهان بانى الدولة و مؤسسها و كان مولى لبنى سامة .

(٢) محمد بن الفضل بن ماهان الابن الأكبر للفضل .

(٣) ماهان بن الفضل بن ماهان و هو الحاكم الأخير لتلک الحكومة .

و تاريخ حكومة الفضل بن ماهان فى سندان الآتية كما جاءت فى فتوح البلدان للبلاذرى :

كان الفضل بن ماهان مولى بنى سامة فتح سندان و استولى عليها و بعث إلى المأمون رحمه الله بفيل و كاتبه و دعا له

فی مسجد جامع اتخذه بها[١].''

و هذا یعنی أن ذلک حدث أثناء خلافة المأمون من سنة ١٩٨ الی سنة ٢١٨ و یمکن أن یکون قبل ذلک بقلیل فان کلام البلاذری یبین أنه فتح سندان ثم استولی علیها ، و یغلب علی الظن أنه لم یکن للفضل جیش هجومی فتح به البلاد و انما سویت له الأمور و مهدت له السبل عن طریق ما کان یکنه راجا بلهرا من حب للعرب و اعتقاد عامة شعبه فیهم بسبب ماحدث معهم قبل ذلک بخمسین سنة عند ما أخصبت الارض و أنتجت نتاجا طیبا عقب فتوحات الوالی العباسی هشام بن عمرو التغلبی مما جعل الناس یعتقدون فی العرب أنهم سبب الخیر و البرکة و لهذا رحبوا بمقدم الفضل بن ماهان .

و قد أدت الحروب الأهلیة بین آل ماهان إلی القضاء علی تلک الحکومة . و لما صار الأمر بعد ذلک إلی الهندوک أجاز الحاکم الهندوکی للمسلمین تأدیة صلواتهم بالمسجد والدعاء فیه للخلیفة و هذا عمل عظیم من صاحب مملکة بلهرا ازاء الأقلیة الاسلامیة و مشعلا یهدی الحکومات خاصة فی بلد کالهند[٢].

ولا شک أن العمل الخالد الذی قام به الفضل بن هامان هو اقامته حکومة عربیة فی قلب مملکة بلهرا تدعو لخلیفة المسلمین لأنه حقق بذلک حلما طالما عاش المسلمین یأملون فی تحقیقه منذ العهد الفاروقی .

و من الأعمال المجیدة التی تنسب إلیه أیضا اقامته مسجدا جامعافی سندان تؤدی فیه الصلوات الخمس والجمعة و یدعی فیه للخلیفة فقد کان بمثابة قلعة اسلامیة داخل مملکة بلهرا لم یصل إلی

١- فتوح البلدان ، ص ٤٣٢ .
٢- لأن الهند تعانی لأن من الطائفیة الکثیر .

درجته المسجد الذى أقامه عمرو بن جميل قريبا من قندهار بعد فتحها فى عهد أبى جعفر المنصور .

و مما يدل على ذكاء الفضل بن هامان اتصاله بمركز الخلافة عقب اقامته للحكومة فى سندان و انتزاع اعتراف المأمون بها واهدائه فيلا و أشياء أخرى لفت بها نظر المسلمين هناك إليه و إلى سندان .

و قد تولى الحكومة بعد موت الفضل ابنه محمد و لم نقف على أى شئ بالنسبة إليه غير ما جاء بتلك العبارة التى أوردها البلاذرى فى فتوح البلدان :

"فلما مات قام محمد بن الفضل بن هامان مقامه فسار فى سبعين بارجة إلى ميد الهند فقتل منهم خلقا كثيرا و افتتح فالى و رجع إلى سندان و قد غلب عليها أخ له[1] .

توسيع الحدود و تصفية القناصة :

لم نقف على مقدار المدة التى حكمها الفضل بن هامان و لكن من الثابت أن الحكومة التى أقامها و سار بها كانت مستقلة ثابتة و عند ما تولى الأمر من بعده محمد ابنه رغب فى توسيع حدودها والعمل على مزيد من الأمن والطمأنينة فيها ، خاصة و أن سندان كانت فى ذلك الوقت من أهم الموانى التجارية التى ترسو عليها و تقلع منها سفن سيراف و البصرة و عدن و الحبشه و سرنديب و الصين ، و لذلك أعد محمد بن الفضل قوة بحرية كبيرة فخرج فى سبعين بارجة لتأديب الميد قراصنة البحر على السواحل الهندية الذين كانوا ينتشرون من كجرات حتى سواحل السند .

٢- فتوح البلدان ص ٤٣٢ .

و قد كتب ابن خرداذبة أن المسافة من مهران (نهرالسند) إلى اوتكين على الحدود أربعة أيام و ان كل سكان هذه المنطقة من اللصوص و تأتى منطقة الميد[1] على مسافة فرسخين من تلك الجهة[2].

و كتب الاصطخرى أن الميد يقيمون فيما بين مهران إلى الملتان و مراعيهم بين قاسهل و مهران و كذلك سكناهم و عمرانهم و أكثريتهم فى هذه المنطقة[3].

و كان هؤلاء يضايقون التجار و المسافرين فى البحر خاصة فى المنطقة الواقعة بين كجرات و مالابار والسند بل و إلى سوقطرة كذلك و كانت لهم قوة و شوكة حتى إنهم كانوا ليسرقون السفن الكبيرة و كأن ذلك ليس بشئ بالنسبة لهم ، و قد وقف الحكام الهنود والرجوات أمامهم عاجزين و فى عهد راجا داهر سطا بعضهم على سفينة فى السند كان عليها بعض سيدات مسلمات قبضوا عليهن و سلبوهن و نهبوهن و لم يستطع راجا داهر أن يفعل شيئا ازاءهم و وقف مكتوف اليدين و كان ذلك من الأسباب التى دعت محمد بن أبى القاسم الثقفى للحملة على الهند ، و لعل ذلك مما يعطى للقارئ صورة حية عن قوتهم و جبروتهم ، و قد سبق لنا القول من أن محمد بن الفضل بن ماهان قد قام بحملة تأديبية ضدهم و استطاع قمعهم مما كان مثار اعجاب البحارة والتجار و كل من له علاقة بهذا الأمر .

١- جاء فى لسان العرب مايأتى :

وقد ماد فهو مائد من قوم ميدى و قال أبو العباس فى قوله أن تميد بكم تحرك بكم و تزلزل ، و قال الفراء سمعت العرب تقول الميدى الذين أصابهم الميد من الدوار ، و فى حديث أم حرام "المائد فى البحر له أجر شهيد" و الميد يعنى اللصوص البحريين و كانوا يسرقون السفن الذاهبة و القادمة من سرنديب .

٢- المسالك والممالك ، ص ٦٢ .

٣- المسالك والممالك ، ص ١٦٧ .

فتح سوراشتر و تهانه و فالى :

و بعد أن قام محمد بن الفضل بتأديب "الميد" قراصنة البحر تشجع و توجه باسطوله إلى فالى و فتحها و وسع فى حدود حكومته فى سندان .

و قد كتب ابن خرداذبه أن أطرافها تمتد إلى دهنج و بهروج و فالى[1] و أن فالى هذه تقع قريبا من ميناء "كوكه" فى سوراشتر .

و قد كتب أبوالفضل فى "آئين أكبرى" أن فى وادى "سوراشتر" قلعة كبيرة و فوق هذا الجبل قلعة "تهانة فالى" و هى الآن خالية من العمران و للجينيين هناك معبد كبير و هذه المنطقة ترتبط بميناء "كهوكه[2]" .

و الغالب أن القراصنة كانوا قد اتخذوا من هذه الجهات مركزا لهم و هى نفس الجهات التى حمل عليهم فيها محمد بن الفضل بن ماهان و أزاح خطرهم و أمن البلاد والطرق من شرهم و ضم رقعة كبيرة من أراضيهم إلى مملكة سندان تشمل فالى و تهانه و سوراشتر و هذا عمل عظيم يحفظه له التاريخ .

و نعود فنقول إنه لو لم يختلف محمد بن الفضل مع أخيه و لم ينقسا على بعضها لاستطاعت هذه الحكومة تحقيق فوائد كثيرة و عظيمة ولكن مع الأسف الشديد عند ما رجع محمد بن الفضل إلى سندان بعد مقاومته للميد و فتحه فالى وجد أخاه قد انتهز فرصة غيابه واستولى على السلطة فضلا عن الخلافات الكبيرة التى كانت قائمة آنذالك بسبب السياسة التى اتبعها مركز الخلافة فى بغداد مما سنفصله فيما بعد .

١- المسالك والممالك ، ص ٥٧ .

٢- آئين اكبرى .

و قد كتب البلاذرى فى شأن ماهان بن الفضل بن ماهان الحاكم الثالث والأخير فى الدولة الماهانية ما يأتى :

و رجع الى سندان و قد غلب عليها أخ له ماهان بن الفضل وكتب الى امير المؤمنين المعتصم بالله و اهدى اليه ساجا لم ير مثله عظما و طولا وكانت الهند فى امر أخيه فمالوا عليه فقتلوه و صلبوه ثم ان الهند بعد غلبوا على سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجمعون فيه و يدعون للخليفة[1] ."

و كان الفضل بن ماهان قد سعى بعد توليه الحكومة فى سندان لالحاقها تحت لواء الخليفة المعتصم بالله فارسل اليه بالهدايا ليسترضية و لكنه لم ينظر الى الخلف ، ولم يقدر الظروف الداخلية الموجودة عنده و الى أى ناحية تتجه دفة السياسة فى سندان ، و كان من نتيجة انشقاق ماهان على أخيه الفضل و خروجه عليه ، ثورته عليه، القضاء التام على تلك الحكومة العربية فقدانحاز الهندوك الى محمد بن الفضل و شنقوا أخاه الفضل و بعد ذلك استولوا على سندان و استرجعوها من يد آل ماهان .

و هكذا خبأت أنوار الدولة الماهانية فى سندان و أطفى سراجها بيد بناتها .

تدخل جيش المامون فى الفتن التى حدثت قبل سنة ٢٠٣هـ :

و تدل بعض القرائن على أن أساس الخلاف قد بدأ قبل سنة ٢٠٢هـ و أن جيش الخلافة فى بغداد قد تدخل فى الامر و انحاز إلى طرف من المتنازعين و يذكر لنا كتاب الاغانى واقعة تنير لنا الطريق فى هذا الشان و ذلك فى كلام حسن بن سهل أحد كتاب ديوان الخليفة فهو يذكر

١- فتوح البلدان ، ص ٤٣٣ .

أنه قد وصلت دفعة فى يد مسئول من جيش المأمون كان بها بيتان من الشعر فلما رآها مجاشع بن مسعدة[1] قال : إن هذا الشعر لابى العتاهية و إنه صديقى ، و لكنه لايخاطبنى بهذا ، ولا يعنينى بذلك ، و إنما يقصد بها الوزير فضل بن سهل (المتوفى سنة ٢٠٢) فاخذت هذه الرقعة إلى فضل بن سهل و رفعت إليه فلما قرأها ، و أبدى عدم فهمه لما ترمى إليه ، أو المقصود منها و تسربت الاخبار بذلك حتى وصل الى مسامع الخليفة أمرها فأمر باحضار تلك الرقعة لانه يعرف علامتها و يدرك دلالتها فاذا بها مايأتى :

ما على ذا افترقنا بسندان
و ما هكذا عهدنا الإخاء
تضرب الناس بالمهند البيض
على غدرهم و تنسى الوفاء

والظاهر أن الفضل بن ماهان مؤسس حكومة سندان كان قد توفى قبل سنة ٢٠٢هـ وأن والديه محمد و ماهان قد اختلفا على الحكم من بعده اختلافا شديدا أيهما يخلف والده مما دعا جيش الخليفة للتدخل و كانت الخلافة فى بغداد تؤيد محمد بن الفضل الذى كان قد أخذ يقوم بفتوحات فى نواحى سندان لتأمين حدودها على حين أن أخاه ماهان مكث صامتا منتظرا سنوح فرصة مواتية للانقضاض على الحكم و قد وجدها عندما خرج محمد لتأديب الميد فاستولى على السلطة و قلب الحكومة .

و كان أبوالعتاهية يعنى فى مرثيته التى أنشدها ذلك الشقاق الذى حدث بين الاخوين شخصا معينا مسئولا فى مركز الخلافة هو

١- كان مجاشع بن مسعده من كبار موظفى بلاط الخليفة مسئول عن الجيش .

الذى تسبب فى تلك النكبة لانه بدلا من أن يصلح بينهما و يعمل من أجل المصالحة والتفاهم اختار طريق الدم ما حرك قلب أبى العتاهية الحساس و نقمه .

و لا شك أن وجود هذين البيتين و وصولهما فى رقعة إلى مسئول فى جيش المامون ثم إلى يد المامون نفسه لما يوضح أن هذا الاقدام من جيش الخلافة كان أمرا خطيرا و قد قال مجاشع بن مسعده عند ما قرأ هذين البيتين إنهما لأبى العتاهية و أنه يقصد بهما ابا العباس فضل بن سهل وزير الخليفة المامون الذى أنكر صلته بذلك ، ولكن المامون كان قد عرف من هو المقصود ولم يظهر ذلك مصلحة .

و قد توفى الوزير فضل بن سهل فى ٢ شعبان سنة ٢٠٢ أو سنة ٢٠٣ه و هذا يدل على أن تلك الحادثة كانت قبل ذلك و يغلب على الظن أن هذا حدث وقت تنازع الأخوين على السلطة بعد وفاة والدهما الفضل الذى لم تقل مدة حكمه عن عشر سنوات و فى أثناء حكم محمد قام ماهان بالاتصال بالخليفة المعتصم و أرسل إليه الهدايا ليحصل على معاونته للاستيلاء على الحكم . ولكننا لاندرى هل استمر محمد بن الفضل فى الحكم بعد قتل أخيه ماهان و صلبه أم لا ؟ وان كان يؤخذ من كلام البلاذرى أن الهندوك قد استولوا على الحكومة فى سندان بعد مقتل ماهان . و كان أمر سندان قد بقى فى يد حكومة آل ماهان العربية بعد تدخل جيش الخلافة فى أثناء النزاع بين الاخوين و لكنها قد خرجت من أيديهم إلى يد الهندوك فى المرة الثانية التى قتل فيها ماهان و قد حاول الهندوك عدم تعكير الجو بينهم و بين مركز الخلافة فى بغداد من جهة والمسلمين الموجودين بينهم من جهة أخرى فتركوا المسجد للمسلمين يجمعون فيه ويؤدون صلواتهم به و يدعون فيه للخليفة بكامل الحرية حتى ان صاحب مملكة بلهرا (مهارجكان) قد ذهب إلى ابعد من ذلك فى منح الحرية الدينية

للمسلمين فقرر لهم بعد مدة قاضيا منهم يرعى شئونهم و يفصل فى قضاياهم و يحل مشاكلهم فى نواحى سندان و تهانه و صيمور و قامهل و غير ذلك من الاماكن التى كان يتوفر فيها عدد من المسلمين و كان يطلق على ذلك القاضى باللغة المحلية المستعملة آنذاك ''هزمن[١].''

نهاية الدولة الماهانية بالحروب الأهلية :

و مما يؤسف له أن حكومة آل ماهان العربية الاسلامية لم تدم اكثر من ربع قرن تقريباً على فرض أنها قامت ابتداء عهد الخليفة المأمون سنة ١٩٨ه وانتهت فى آخر عهد المعتصم سنة ٢٢٧ه أى أن مدة حكمها تبلغ ثمان و عشرين سنة فقط .

نظام الحكومة والحالة الدينية و علاقتها بمركز الخلافة :

كان أمراء سندان من بنى ماهان من أهل السنة والجماعة كمواليهم بنى سامان ، وعلى نحو ماكان يفعل بنو سامان أثناء حكومتهم على عمان والملتان من الدعوة للخليفة العباسى على منابرهم كان آل ماهان فى سندان .

و قد أرسل اثنان من بين حكام هذه الدولة الثلاثة هدايا و تحفا للخليفة كان لها صدى و أثر كبير .

وكانت المنطقة التى تخضع لحكومة آل ماهان فى سندان تعتبر

١- لاتزال هذه المنطقة فى ولاية مهارشترا بالهند حاليا من أهم تجمعات المسلمين وقد حدث اضطراب طائفى فى بلدة بهيوندى من تهانه ذهب ضحيته عدة الاف من المسلمين فى عام ١٩٧٠م وفى ١٩٦٥م حدث كذلك فى ماليجاؤن .

كولاية تابعة للخلافة كباقى الامارات الأخرى نظرا للاتصال المباشر الوثيق بينها وبين الخليفة العباسى فى بغداد حتى ان الخليفة المأمون اعترف بها وعندما قامت الفتنة فيها ضغط بجيشه عليها و قوم الأمور فيها مما أدى الى استقرار الحالة و منع انتشار الفوضى حتى سنة ٢١٨ فأخذ محمد بن الفضل فى توسيع رفعتها وتأمينها حتى جاء عهد المعتصم فقامت فتنة أخرى كانت سببا فى القضاء عليها ولم يتدخل جيش المعتصم فيها فاستولى عليها الهندوك .

والحقيقة أن هذه الحكومة ظلت مرتبطة بمركز الخلافة فى بغداد ولكنها فى نفس الوقت كانت تتمتع بحرية كاملة واستقلال ذاتى فى تصريف أمورها الداخلية .

الحكام والعمال العباسيون فى عهد الماهانيين :

كانت الفترة من سنة ١٩٨ إلى سنة ٢٢٧ عهد خلافة المهدى والمعتصم فترة مباركة فقد أصبحت هناك حكومة فى بلاد الهند تنضوى تحت علم الخلافة يعين حكامها و عمالها من بغداد .

و كان أمراء سندان يرعون الذمة والوفاء ، ويعلنون الطاعة والولاء للخلافة العباسية و كانت منطقة السند وسندان تنضويان تحت لواء الخلافة فى آن واحد و كان حكام و ولاة كلتا المنطقتين يعتقدون أن الخلفاء العباسيين رعاتهم وحماتهم ، و نذكر فيما يلى أسماء بعض العمال العباسيين فى السند فى هذا العهد :

(١) بشر بن داؤد بن يزيد بن حاتم المهلبى وقد عين فى عهد المأمون حاكما على السند وكان يقوم سنويا بارسال مائة ألف درهم لمركز الخلافة ثم تمرد و أوقف ذلك فأرسل إليه المأمون فى سنة ٢١١ هـ حاجب بن صالح لتأديبه فحارب بشرا حتى ألجأه إلى كرمان .

(٢) غسان بن عباد الكوفى وكان المأمون قد أرسله فى سنة ٢١٣ إلى السند فأجلى بشربن داؤد إلى خارج كرمان وأسره و ذهب به إلى بغداد سنة ٢١٦هـ .

(٣) موسى بن يحى البرمكى وقد عين حاكما على السند أثناء عودة غسان بن عباد إلى بغداد وتدل بعض الروايات على أن المأمون نفسه هوالذى قرر موسى على السند وقد أدى خدمات جليلة وعظيمة فأوقف الفتن بعد قتل راجا ''بال'' و توفى سنة ٢٢١ فى عهد المعتصم .

(٤) عمران بن موسى بن يحى البرمكى وقد خلف والده موسى بعد وفاته واستطاع أن يحصل على اعتراف المعتصم بحكومته ، و قام بأعمال عظيمة فحارب الزط وأخضعهم ، و كان هناك شخص يدعى محمد بن خليل قد أقام حكومة فى قندابيل و أعلن استقلالها عن الخلافة العباسية فسار إليه عمران وأخضعه ، و قبض على المفسدين هناك ، و أقام معسكرات للجنود فى مدينة تسمى البيضاء قريبة من قيقان ، ثم التفت عمران إلى حالات السند فأصلحها و قوم معوجها وكانت العصبية القبلية قد انتشرت بين العرب الموجودين فقامت الخلافات بين اليمنيين والنزاريين (الحجازيين) فانضم عمران إلى اليمنيين ، وانحاز عبدالعزيز الهبارى الى النزاريين (الحجازيين) و قتل عمران فى هذه الفتنة .

(٥) عنبسه بن اسحاق الضبى و قد عين حاكما على السند بعد عمران فأصلح بعض الأحوال و هدم مينارة بيت الأصنام فى الديبل ، و حوله إلى سجن و رمم مدينة الديبل بأحجار منارة ذلك المعبد و قد عزله الخليفة المتوكل سنة ٢٣٢هـ .

(٦) محمد بن خليل صاحب قندابيل و هو الحاكم الخامس الذى كان معاصرا للهاهانيين و كان يحكم السند من قبل الخلافة و قد أعلن استقلال حكومته فى قندابيل عن الخلافة فسار إليه عمران بن موسى وأخضعه كما ذكر آنفا .

(٧) راجا عسيفان المسلم : و علاوة على من ذكرنا كان هناك حاكم مسلم على مدينة عسيفان التى كانت تقع بين كابل وكشمير والملتان المتصلة بالبنجاب و كان هذا الحاكم هندوكيا و أسلم فى خلافة المعتصم ، و يقول البلاذرى عنه إنه كان رجلا عاقلا فاضلا تجله العامة والخاصة ، و كان له معبد كبير للأصنام يأوى اليه كثير من المتعبدين و له سدنة يقومون على خدمته وحراسته و حدث أن مرض طفلا له فدعا سدنة هذا المعبد و طلب منهم أن يلتجئوا إلى الأصنام لشفاء ابنه فغابوا برهة ثم حضروا و قالوا له : إننا عرضنا الحال على الأصنام و توسلنا إليها فقبلت دعائنا ، و أجابت التماسنا ولكن بعد ذلك بقليل مات الطفل مما نفر هذا الراجا من الأصنام بشدة فقام و هدم المعبد ، وحطم الأصنام ، ثم طلب دعوة بعض التجار المسلمين المقيمين فى عسيفان فسمع منهم دعوة التوحيد فأسلم و صار من الموحدين [١] .

و كان أحد رجوات السند والتبت قد أسلم كذلك فى عهد المأمون سنة ٢٠١هـ و قدم نذرا للكعبة وضع فيها بعد استئذان المأمون و تفصيل ذلك فى شفاء الغرام للفاسى .

١- فتوح البلدان ، ص ٤٣٣ .

اسلام راجا سامری فی عهد الپاهانیین ـ تبلیغ الاسلام فی مالابار و تعمیر المساجد :

فی عهد شباب الدولة الپاهانیة فی سندان دخل الاسلام مالابار بسواحل جنوب الهند بأسلوب عجیب فقد دخل فی الاسلام حاکم مالابار ''بیرومال'' الذی أطلق علیه فی العربیة ''سامری[١]'' و کان ذلک سببا فی انتشار الاسلام فی ملیبار والصین و کیرالا وغیرها .

وشخصیة سامری هذه لها جاذبیة فی تاریخ الاسلام القدیم بجنوب الهند والروایات عن تلک الواقعة مشوقة و مشهورة ، و قد أدرجها و تکلم عنها باسهاب زین الدین بن عبدالعزیز المعبری الملیباری فی کتابه ''تحفة المجاهدین فی بعض أخبار البرتغالیین'' و قد ألف هذا الکتاب و نسخه فی سنة ٩٩٣ھ و قد ذکر المعبری أن جماعة من الفقراء المسلمین کانوا متوجهین لزیارة قدم آدم علیه السلام فمروا علی مدینة ''کدنکلور'' و ''کرن خبور'' و لما علم بأمرهم الحاکم السامری دعاهم الی بلاطه ، وکان من بینهم رجل صالح علی بصیرة أفاض عند الکلام معه فی الحدیث عن الاسلام ومعجزات الرسول من شق القمر الی آخره ، مما کان له أبلغ الأثر علی قلب سامری فأسلم خفیة وقال علیکم بمقابلتی أثناء عودتکم لأننی سأصاحبکم إلی بلادکم ، و لکن لا تحدثوا أحدا

١- قال الشیخ زین الدین المعبری الملیباری فی تحفة المجاهدین و اما تاریخ السامری فلم یتحقق عندنا و غالب الظن انه انما کان بعد المائتین من الهجرة النبویة و اما ما اشتهر عند مسلمی ملیبار ان اسلام الملک المذکور کان فی زمن النبی برؤیته انشقاق القمر و انه سافر الی النبی (صعلم) و انه تشرف بلقائه و رجع الی الشحر قاصدا ملیبار مع الجماعة و توفی فیها فلایکاد یصح منها شیٔ والسامری مغربی زامودی و کانت فی قدیم الزمان اسرة ملکیة ''جیروهن بیرومال'' و کان احد ملوکها .

عن اسلامى أو ذهابى ، و واصلت الجماعة سفرها إلى سيلان ، و عند رجوعهم مروا به ، و حضروا عنده و كان الحاكم قد أعد لهذا الغرض سفينة و قال لأركان دولته لا تضربوا موعدا لأى انسان بمقابلتى لمدة اسبوع وكتب رقعا لخاصته فى الحكومة فى كل منطقة و ركب السفينة خفية مع هؤلاء القوم فلما وصلوا إلى الشحر قريبا من عمان نزلوا بها ومكثوا أياما لاعداد وفد للسفر لتبليغ الاسلام هناك .

كان من بينهم شرف بن مالك ، و مالك بن دينار[1] ، و مالك بن حبيب[2] و لكن قبل رحيل الوفد مرض الحاكم سامرى و أذن لرفقائه بالسفر ثم مات بالشحر ، و وصل الثلاثة الذين ذكرنا أسماءهم سابقا إلى مليبار و أدوا كتب السامرى إلى نوابه و عندما سمع الناس بما كان من أمر حاكمهم فرحوا كثيرا ، واستقبلوا الوفد بترحاب كبير ، وقام الدعاة الثلاثة بتبليغ الاسلام فى ساحل مليبار و شرعوا يبنون المساجد فى كل مكان و يذهب المعبرى أنه على يد أولئك النفر قام التبليغ بالاسلام هناك ولا نستطيع تحديد تاريخ هذا الحاكم على وجه اليقين ولكن يغلب على الظن أنه كان فى القرن الثانى والمشهور عند مسلمى مليبار أن هذا الحاكم قد أسلم فى عهد الرسالة إثر رؤيته معجزة شق القمر و أنه مثل فى حضرة الرسول وأثناء عودته مع جماعة من المبلغين توفى فى الشحر و ليس ذلك بصحيح ، والمشهور عند العوام أن هذا الحاكم دفن فى ظفار وليس فى الشحر ، وفى تاريخ فرشته أنه أسلم فى عهد الرسالة و يؤيد ذلك بعض المستشرقين .

ويتضح من مجموع الروايات أن هذا الحاكم كان فى آخر القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث .

١- اخو شرف بن مالك من أمه .

٢- ابن أخى شرف بن مالك .

و يذكر لنا محقق أوروبى تاريخا محددا فيقول إنه قد خرج من مالابار فى ٢٥ اغسطس سنة ٨٢٥ م (سنة ٢١٠ هـ) و وصل إلى ساحل بلاد العرب فى سنة ٨٢٠م (سنة ٢١٣هـ) وأنه توفى فى سنة ٢١٦هـ أى سنة ٨٣١م و أن رفقاءه قد وصلوا نواحى مليبار سنة ٨٣٣ أى سنة ٢١٩ ولمزيد من الايضاح والتفصيل فى ذلك ينبغى الرجوع إلى ''تحفة المجاهدين'' و ''رجال السند والهند[١].''

ونقول إن اسلام سامرى وقيام رفقائه بالدعوة إلى الاسلام فى مالابار وتشييد المساجد كان فى عهد المأمون الذى كان يدعى له على منابر سندان فى عهد حاكمين من آل ماهان ، ولو أن العمر امتد بسامرى لقامت فى جنوب الهند حكومة اسلامية عظيمة كان يمكن ان تخلف عملا كبيرا جليلا و تنشر على كلا الساحلين الهنديين لونا جديدا من الحضارة والثقافة الاسلامية .

أهمية سلطنة سندان و مركزها :

تقع سندان بين ولايتى مهارشترا و كجرات الحاليتين و بالتحديد على مسافة مائة و خمسة و أربعين كيلومترا شمال محطة سكك حديد مدينة بومباى و مائة و ثمانية عشر كيلومترا جنوب مدينة (سورت)[٢] ولها الآن محطة صغيرة و يطلق عليها الآن فى اللغة المحلية ''سنجان'' و قد اطلق عليها الجغرافيون و المؤرخون العرب القدماء ''سندان'' و وردت فى ''آئين أكبرى'' بلفظ ''سنجان'' و كانت منذ قديم الزمن من الموانى البحرية المشهورة و سوقا للتجارة البحرية العالمية ،

١- تحفة المجاهدين ص ، ١٣—١٧ . رجال السند والهند ، ص ١٣٠ الى ١٣٦ .

٢- مدينة فى ولاية كجرات الحالية وهى مركز البوهره و لهم بها مدارس و الجامعة السيفية .

و قد كتب القلقشندى فى كتابه ''صبح الاعشى'' أن سندان مدينة تقع على مسافة ثلاثة أيام من تهانة و وقوعها فى الاقليم الاول وطول البلد ١٠٤ درجة و عشرون دقيقة و عرض البلد ١٩ درجة و عشرون دقيقة[١] و قد احتلها البرتغاليون و معها وبو ، و تاربور ، و ماهيم .

و قد كتب أبو الفدا فى ''تقويم البلدان'' أن سندان من بلاد تهانة فى مدن الهند و هى مجمع الطرق و من أهم الموانى لسفن عديد من الدول[٢].

و قد وضح الاصطخرى المسافات بين سندان و ما حولها من المدن فذكر أن بين كهمبايت إلى سوباره أربع مراحل و أن سوبارة على مسافة نصف فرسخ من البحر و بين صيمور و سندان خمس مراحل[٣] و كانت سندان و ماحولها مناطق خصبة تفى محصولاتها و غلاتها بحاجة البلاد و مايزيد عنها يصدر إلى الخارج ، وقد أوضح الاصطخرى عند الكلام على كهمبائت و سندان و صيمور أنها بلاد خصبة عامرة يوجد بها النارجيل والأنبج و الموز و اكثر زراعتها الأرز و يكثر فيها كذلك العسل و لكن لايوجد بها نخل أو تمر و بين قامهل و كهمبائت الى صيمور قرى عامرة و سكان[٤] .

و كتب بشارة المقدسى فى كتابه ''أحسن التقاسيم'' أن مناطق سندان و كهمبائت و صيمور كلها خصبة و محصولاتها وافرة و يكثر بتلك المناطق الأرز و العسل[٥] .

و قد مربنا كلام أبى الفداء من أن سندان كانت مركزا تتفرع منه

١- صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٧٢ .
٢- تقويم البلدان .
٣- مسالك والممالك ، ص ١٧٩ .
٤- مسالك والممالك ، ص ١٧٦ .
٥- احسن التقاسيم ، ص ٤٨٤ .

الطرق و كانت كذلك سوقا للقسط و الخيزران الذى كان يصدر منها كميات كبيرة للبلاد العربية ، و كانت الهدية التى أرسلها ماهان بن الفضل آخر حكام الدولة الماهانية إلى الخليفة المعتصم من خشب الساج حتى ان السياح و التجار أطلقوا على تلك المنطقة بلاد الساج و قد ذكر ابن خرداذبة أن الساج و الخيزران يكثران فى سندان كما ذكر الفقيه الهمدانى أن الفلفل والتوابل تصدر من سندان الى البلاد بكثرة[1] و فضلا عن ذلك من أمور التجارة فقد كانت منطقة سندان تصنع بها اشياء اكتسبت شهرة فى البلاد العربية خاصة ، وهى الملابس و الاحذية حتى قيل "نعال كنباتية" نسبة الى كنبايا و ثياب تانشيه نسبة الى تهانة و هى أشياء و ان لم تنسب الى سندان الا أنها كانت تصنع فيها كما أوضح ذلك المسعودى فى "مروج الذهب[2]" و كتب بشارة المقدسى أن كل أنواع الثياب تصنع هناك الخ ما كتب فى ذلك . و قد تناول الحديث عن سندان أبوزيد السيرافى (الموجود سنة ٢٦٤) و كان قد وفد عليها بعد ثلاثين أو أربعين سنة من نهاية الدولة الماهانية و تكلم عن مدى أهميتها التجارية ، و ذكر أن التجار الهنود عندما يأتون الى سيراف و يدعون عند كبار التجار المسلمين لتناول الطعام يوضع لكل فرد منهم و هم مئات اناء خاص به لايشترك معه فيه أحد[3] و نحن لا نستطيع أن نطعن فى كلام شخص معروف و مشهور بين الناس و هو ابوزيد السيرافى فضلا عن ان سيراف قريبة من الهند .

و كتب بزرج بن شهريار فى كتابه "عجائب الهند" عن حالات التجار و نقل عنهم شفويا و يحكى تلك الواقعة على لسان تاجر قال :

١- المسالك و الممالك ، ص ٧٠ . و كتاب البلدان .
٢- مروج الذهب ، ص ١١٦ .
٣- رحلة ابى زيد السيرافى .

انه سافر من سيراف الى صيمور على ظهر سفينة و كان معه عبدالله بن الخبير و اقلعت كذلك السفينة "سبا" و سفينة ثالثة و كانت هذه السفن الثلاثة من اكبر المراكب وا شهرها وقد بلغ عدد ركاب هذه السفن وقتها الف و مائتى راكب من التجار و الموظفين و العملة علاوة على البضائع و السلع المختلفة التى لم يستطع تقديرها و ذكر انه بعد احد عشر يوما من ابحار تلك السفن لاحت امام انظارهم جميعا مشارف تهانه و صيمور و شاهدوا الجبال و لكن سرعان ما هب طوفان شديد أغرقها جميعا و لم ينج غير ثلاثة رجال فقط[١] .

و فى كتب التاريخ و رحلات السائحين كثير من القصص التى حكيت و نقلت شفويا على ألسنة معاصريها و التى نستطيع منها ان نتبين مدى أهمية سندان و مركزها عند العرب .

أثر و بركة الثقافة الاسلامية على الهند :

مع نهاية القرن الثانى الهجرى ابتدأت الثقافة الاسلامية فى الهند تسرى مسرى النور و استطاع آل ماهان أن يزينوا البلاد باطار منها على الرغم من قلة وفود أرباب العلم فليس هناك ما يدل على مجئ المؤرخين او السياح الى الهند فى عهد الماهانيين اذا استثنينا التجار العرب الذين كانوا يأتون و يذهبون للتجارة فقط . و عندما توافد السياح و المؤرخون على بلاد الهند عقب الدولة الماهانية فقد كتبوا عنها و أدرجوا أخبارها و أحوالها تفصيلا و اجمالا فى كتبهم و من هؤلاء سليمان التاجر (سنة ٢٣٧) و أبوزيد السيرافى (سنة ٢٦٤) و ابن خرداذبه (سنة ٢٥٠) و المسعودى (سنة ٣٠٣) و الاصطخرى (سنة ٣٤٠) وغيرهم ممن وفد على الهند و كتب عنها مما نهتدى به فى كشف تاريخ تلك البلاد .

٢- عجائب الهند ، ص ١٦٥ .

حاكم بلهرا والمسلمين :

كان بلهرا مهارجكان يجل خليفة المسلمين فى بغداد و يضعه فى المرتبة الأولى بين الملوك والرؤساء من حيث الاحترام والتقدير، و كان رعايا دولته يعتقدون فى المسلمين الخير والبركة و بلغ من أثر ذلك الاعتقاد أن الهندوك فى بهاربهوت و قندهار و بهروج قد بالغوا فى اجلال و تكريم عمر بن جميل الذى كان قد أرسله هشام بن عمرو الثعلبى لفتح تلك البلاد فأخصبت الأرض فى عهده و ربت و أنبتت و وفر محصولها و عمرت المدن و بدا رونقها بفضل الله تعالى فتمثلوه ملاكا غيبيا أرسله الله إليهم بالخير والخصب والنماء .

و ما من شك فى أن الذى بذر حب العرب فى قلوب الهندوس و حول أفئدتهم هو هشام بن عمرو الثعلبى الذى أقام الماهانيون حكومتهم بعده بما يقرب من ستين عاما فأكدوا بنظامهم و حسن إدارتهم للبلاد و سياستهم لها ولاء أهلها لهم و احترامهم و اجلالهم مما دعاهم إلى عدم اتخاذ أى عمل ضد العرب عقب زوال الدولة الماهانية .

و بعد زوال الدولة الماهانية بعشر سنوات سافر سليمان التاجر إلى الصين و كتب فى رحلته هذه فيما يتعلق بالهند أن "بلهرا" من أشرف حكام الهند و أن كل الرجوات هناك يعترفون بشرفه و فضله و أن أعمار حكام تلك الأسرة تطول حتى أن منهم من يستمر حكمه خمسين سنة و ليس بين رجوات الهند من يكن للعرب حبا و احتراما مثل بلهرا و قومه . و مما تجدر الاشارة إليه فى هذه المناسبة أن لفظ "بلهرا" لقب للحاكم مثل "كسرى" و "قيصر" و ليس باسم خاص كما أن منطقة راجا بلهرا هى التى يطلق عليها بلاد كوكم و هى تمتد حتى بلاد الصين[1].

١- رحلة سليمان التاجر .

كما وفد إلى تلك البلاد المسعودى فى سنة ٣٠٣ — ٣٠٤ وكتب عن آثارها و مشاهدها و معالمها و وصل الى كهمبائت و صيمور و تهانه و سوباره و سندان و بهروج و بعض الاماكن الاخرى و كتب مايأتى : "إن الرجوات والحكام حتى الآن لازالوا يحبون المسلمين حبا شديدا و ان الاسلام ينتشر فى كل الانحاء والمسلمون يعيشون فى عزة و احترام و تكريم ، والمساجد عامرة ، و بتمتع كل المذاهب والأديان بالحرية التامة ، والحكام الهندوس يقلدون السياسة الاسلامية فى ادارة بلادهم حتى إنهم ليؤدون مرتبات الجيش من خزانة الدولة اسوة بالمسلمين و إن أكبر الرجوات فى زماننا هو راجا بلهرا الذى يحكم "مانكيرو ، و دولته على مسافة ثمانين فرسخا سنديا من البحر (الفرسخ السندى يساوى ثمانية أميال) ولا يوجد فى الهند من يحترم المسلمين و يجلهم مثل راجا بلهرا و رعيته ، و أعمار حكام أسرة بلهرا يمتد إلى أربعين أو خمسين سنة فى الحكم ، و ربما يزيد على ذلك و يعزون ذلك إلى تعظيمهم للمسلمين و انتهاج طرق العدل والانصاف معهم" .

و يتضح من هذه التصريحات أن الآثار الطيبة والعلاقات الودية بين المسلمين والهندوس فى سندان و أطرافها ظلت مئات السنين بعد الدولة الماهانية مشعلا يسير على طريقه العامة والخاصة ، ولنا أن نتصور كيف كان الحال فى عهد راجا بلهرا نفسه .

إن الحقيقة الواضحة هى أن الهندوك و حكامهم كانوا يلاحظون أحوال المسلمين دائما و يرعون أمورهم حتى انهم عند ما قبضوا على سندان و استردوا الحكومة فيها أحالوا المسجد الجامع فيها للمسلمين يؤدون فيه فرائض دينهم و صلواتهم و يجمعون فيه و يدعون للخليفة حسب ما كانوا يفعلون .

الهزمة يعني عهدة القضاء :

عرفنا فيما سبق أن الهندوس بعد استيلائهم على زمام الحكومة فى سندان قد سمحوا للمسلمين باقامة صلواتهم و تأدية فرائضهم بحرية و فيما بعد أجاز حكامهم للمسلمين تشكيل محاكم مستقلة لمعاملاتهم ، و أمور دينهم يتولى الفصل فيها قاض مسلم يطلق عليه "هزمن" و كانت أحكامه نافذة و تؤخذ على أنها أحكام الراجا نفسه ، و كان لكل مدينة "هزمن" قاض خاص بها و قد تكلم المسعودى على هزمن صيمور فى سنة ٣٠٤هـ فقال "إن هزمة صيمور فى هذه الايام هو أبو سعيد معروف بن زكريا و هزمة معناه الرئيس المسلم الذى ينتخب للفصل فى جميع المنازعات بين المسلمين[١]".

و كتب الملاح بزرج بن شهريار ناخدا عن بعض صور التعزيرات فى مملكة بلهرا فذكر أنه اذا سرق المسلم فى هذه البلاد يرفع أمره إلى "هزمن" ليحكم عليه بما تقضى به الشريعة الاسلامية على نحو ما يجرى فى البلاد الاسلامية ثم أردف يقول "ولايعين هزمن فى هذه المملكة إلا من المسلمين[٢]" و قد مر بك سابقا ما ذكره المسعودى من أن هزمن صيمور فى وقت رحلته إلى هناك كان أبو سعيد معروف بن زكريا ، أما بزرج بن شهريار فيذكر لنا اسم "هزمن" قاض آخر فى صيمور هو عباس بن ماهان السيرافى الذى كان يعد من أعيان المسلمين هناك و كانت أمور المسلمين و معاملاتهم كلها تحال عليه[٣] و قد سمع بزرج بن شهريار من عباس بن ماهان نفسه بعض الحالات والقضايا فى صيمور و تهانه و من تلك القضايا أن أحد المسلمين ذهب

١- مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .
٢- عجائب الهند ، ص ١٦٠–١٦١ .
٣- عجائب الهند ، ص ١٤٢ .

إلى معبد للأصنام و عمل عملا منكرا فقبض عليه و أرسل إلى ''هزمن'' قاضى المسلمين فحكم عليه بما يستحق من عقاب قياسا بمن يذهب إلى الكعبة و يعمل نفس العمل و كتب ياقوت الحموى أن حاكم المسلمين فى مملكة بلهرا–صيمور و كتامه'' من المسلمين الذين يعيشون و يقيمون هناك[1] .

حرية العقيدة والاجتماع :

لقد اتخذ المسلمون من مملكة بلهرا وطنا لهم فى سندان ، و كان الحكام يحفظون لهم كل ود والشعب يكن لهم كل احترام ، و قد ظل الدعاء للخليفة بعد زوال حكومة سندان العربية ، واستمرت المنابر والمساجد يذكر فيها اسم الله و تدوى المآذن بأصوات المؤذنين بالتكبير والتوحيد حى على الصلاة حى على الفلاح .

و قد كتب المسعودى عن أحوال المسلمين فى صيمور فقال : إنه قد وصل إلى صيمور فى سنة ٣٠٢ و كان الحاكم الموجود هناك فى هذا الوقت يدعى ''حاج'' و أن ما يقرب من عشرة آلاف عربى من سيراف و عمان والبصرة و بغداد و يدعون البياسرة قد تأهلوا واستوطنوا هذه المنطقة و منهم كبار التجار مثل موسى بن اسحاق الصندابورى ''صندابور يعنى جوا'' والمراد بلفظ البياسرة المسلمون الذين ولدوا فى الهند و هذا لقبهم واحدهم بيسر والجمع بياسره[2] .

و كتب الاصطخرى ''أن فى قامهل و سندان و صيمور و كنبائت مساجد جامعة ، و بها كذلك أحكام المسلمين جارية'' كما كتب أن

١- معجم البلدان ص ، ٤٠٨ .

٢- مروج الذهب ، ج ١ ص ، ٢١٠ ، كما يمكن الرجوع الى مزيد من التفصيل فى ذلك الى كتاب العرب والهند فى عهد الرسالة .

من صيمور إلى كنبائت منطقة بلاد الكفر و يقيم بها مسلمون يلى أمرهم حاكم مسلم من قبل بلهرا ، و فيها المساجد التى تؤدى فيها الصلوات والجماعة[١] و كتب ياقوت الحموى فى شأن صيمور أنها من سلطنة بلهرا الكافرة ولكن المدن التى بها مسلمون مثل صيمور و كنبائت يلى أمر المسلمين فيها حاكم مسلم من قبل بلهرا و فيها المساجدالجامعة و تقام فيها الصلوات[٢]".

كما كتب فى شأن تهانة أن كل سكانها و ما حولها على الساحل يعبدون الأصنام و يسكن و يقوم معهم المسلمون[٣] .

و فى شأن قامهل ذكر أن بها مسجدا جامعا للمسلمين يؤدون فيه ألصلاة بصفة منتظمة[٤] . و يتضح من هذه التصريحات أنه كان للمسلمين فى سندان و أطرافها و حواليها عمران لا بأس به ، و أنهم كانوا يعيشون فى طمأنينة و حرية دينية كاملة ، و أن غير المسلمين كانوا يراعون المسلمين كثيرا و كانت كل الطوائف الأخرى من عبدة الأوثان يعيش المسلمون بجانبها و معها على أحسن ما يكون و أطيب ما تكون المعاشرة ، و نعتقد أن أثر الدولة الراهانية و أصداءها كان له أثر كبير فى ذلك .

الآثار والمساجد الاسلامية فى نواحى سندان :

فى نظرنا أن أطراف سندان يعنى تهانة و صيمور و بهروج و بعض مناطق كجرات الحالية كانت من أول البلاد التى استقبلت الاسلام فى

١- مسالک الممالک ص ١٧٤ ، ١٧٦ .
٢- معجم البلدان ج ٥ ص ٤٠٤ .
٣- معجم البلدان ج ٥ ص ٧١ .
٤- معجم البلدان ج ٧ ص ١٧ .

الهند و سعدت بقدومه و قد عرفنا فيما سبق أنه فى أثناء العهد الفاروقى كانت قد وصلت طلائع المجاهدين والمتطوعين المسلمين إلى تهانة و بهروج تحت قيادة الحكم بن أبى العاص الثقفى و أنهم هم الذين وضعوا أول بشائر للاسلام هناك ، و فى خلافة أبو جعفر المنصور وجه هشام بن عمرو الثعلبى حاكم السند عمرو بن جمل لمعارك گجرات فحل على بهروج و بهاريوت عن طريق البحر و أقام مكان المعبد الوثنى مسجدا يعتبر أول عمارة للمسلمين فى كجرات[١]. و فى حدود سنة ١٦٨ أقام فضل بن ماهان بعد استيلائه على سندان مسجدا جامعا كان يدعى فيه للخليفة[٢] و كان هذا المسجد هو الثانى من حيث الوجود فى هذه الديار و هو الذى رده الهندوك على المسلمين بعد استيلائهم على الحكم فى سندان و قد تكلم عن ذلك الاصطخرى و ياقوت كما ذكرنا ذلك آنفا والظاهر أنه كانت توجد مساجد أخرى فى القرى شيدت بعد قيام الدولة الماهانية ، و كان المسعودى قد رحل إلى هذه المناطق و كتب عنها .

آثار للشخصيات الاسلامية :

و علاوة على المساجد والجوامع والآثار الدينية الموجودة فى تلك المنطقة فانه توجد كذلك تماثيل لأهم الشخصيات و طبقا لما ذكره منصور بن حاتم النحوى فانه قد أقيم تمثال لراجا داهر وقاتله فى بهروج و فى رواية للمدائنى أن راجا داهر حاكم السند قد قتل على يد رجل من بنى كلاب أثناء حملة محمد بن القاسم الثقفى سنة ٩٤ﻫ و فى رواية الكلبى أن قاتله هو قاسم بن ثعلبة بن عبدالله حصن الطائى[٣] .

١- فتوح البلدان ، ص ٤٣١ .
٢- فتوح االبلدن ، ص ٤٣٢ .
٣- فتوح البلدان ، ص ٤٢٦ .

ولما قبض على محمد بن القاسم بأمر من سليمان بن عبدالملك فقد استاء أهل الهند لذلك كثيرا حتى أنهم بكوه و اقاموا له فى كيرج تصويرا كبيرا[1] ولكننا لا نستطيع تحديد و تعيين مدينة كيرج هذه فاذا كانت هى مدينه ''كهيرة'' الواقعة فى كجرات الموجودة اليوم أمام ''برودة'' أمكننا الجزم بالقول بأن التذكار الموجود بها الآن هو للفاتح العظيم محمد ابن القاسم .

شهادة الشجرة :

فضلا عن تلك الآثار الانسانية فانه توجد كذلك آثار أخرى آلهية عجيبة و غريبة تشهد لأحقية الاسلام ، و من ذلك ما ورد بأنه كانت هناك فى منطقة تنكرو شجرة مكتوب على ثمارها بقلم القدرة لااله إلا الله محمد رسول الله وقد كتب بزرج بن شهريار فى كتابه عجائب الهند أن شخصا ممن سافروا إلى الهند قد ذكرله أنه قد رأى فى نواحى مانكير عاصمة الحكومة آنذاك والتى كان يطلق عليها بلاد الذهب شجرة مثل شجرة النارجيل ثمارها حمراء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله[2] .

كما أن ابن بطوطه ذكر عند الكلام على راجا جرفتن فى مليبار أنه رأى أمام المسجد شجرة خضراء أوراقها مثل ورق التين إلا أنها أرق منها و أملس ، و تسمى هذه الشجرة هناك شجرة الشهادة و ان الناس قد وضحوا له أن أوراقها تسقط فى فصل الخريف بعد أن تكون قد اصفرت و مال لونها إلى الحمرة ، ويكون مكتوبا عليها بيد القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله (''و من بين الذين ذكروا له ذلك الفقيه حسين و ثقات القوم ، و كان من عادة المسلمين الجلوس تحت تلك الشجرة عند

١- فتوح البلدان ، ص ٤٢٨ .

٢- عجائب الهند .

ما يحين وقت سقوط أوراقها ، فاذا سقطت واحدة منها أخذ نصفها الملتقط ، والنصف الآخر يوضع فى خزانة الحاكم غير المسلم و تستعمل بعد ذلك لعلاج المرضى و شفائهم ، وعند ما شاهد جدكوبل تلك الورقة أعلن اسلامه ، و موضوع هذه القصة نقلت بين الناس بالتواتر و قد أمر أحد الرجوات بقطعها من جذورها ومات بعد ذلك مباشرة[1].''

و يؤخذ من هاتين الروايتين مدى اعزاز البلاد الاسلامية للهند و محاولاتهم فى سبيل رفع شانها كما تدل على ذلك الروايات العجيبة المتعددة فى حقها .

اللغات السائده فى هذه المنطقة :

كانت اللغة السائدة فى مملكة بلهرا التى تمثل ولايتى مهارشترا و كجرات الحاليتين لغتين ، فكان الناس فى كجرات يتحدثون و يتخاطبون باللغة ''الكيرية'' يعنى الكجراتية و تنسب إلى ''كهيرا'' بلد فى كجرات ، اما فى منطقة مهارشترا فكانت اللغة السائدة ''لارية'' التى تنسب الى بحر لاروى الذى نستطيع أن نعبر عنه بمراتهى او كوكنى و لأن سندان كانت تعد من بين المدن الساحلية على بحر لاروى فان اللغة التى كانت تسودها هى ''اللاريه'' و قد كتب المسعودى مايأتى :

ولغة أهل الانكير وهى دار مملكة البلهرا كيريتة مضافة إلى الصقع وهى كيرة و لغة ساحل صيمور و سوباره و تهانه و غير ذلك من مدن الساحل لارية و بلادهم مضافة إلى البحر الذى هم عليه وهو لاروى[2].''

١- رحلة ابن بطوطه ، ج ١ ، ص ١١٤ .
٢- مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

والظاهر ان اللغة العربية كانت رائجة فى سندان و أطرافها و حتى اليوم نجد العربية سائرة فى بومباى ومفهومة فيها بدرجة لابأس بها .

العلوم والعلماء فى عهد الماهانيين فى سندان :

لم يحصل المسلمون فى الهند حتى عهد حكومة الماهانيين على مركزية ، كما أن حكومة آل ماهان نفسها لم تحصل على شهرة فى العالم الاسلامى على مدى ثمانية وعشرين عاما هى فترة وجودها ، وكان مركز المسلمين فى هذا الوقت بلاد السند حيث ينتشر العمران الاسلامى كباقى البلاد الاسلامية ، وبعد القرنين الثالث والرابع الهجريين وفد العلماء والرحالة الذين جذبتهم الروايات الى سندان و منهم أبو زيد السيرافى و سليمان التاجر و المسعودى و ابن خرداذبه والاصطخرى وابن حوقل وابن رسته وابن فقيه الهمدانى .

المنصور بن حاتم النحوى و ابوعبادة البحترى :

و فى عهد حكومة آل ماهان وصل إلى سندان بعض أهل الفضل والكمال و وقفوا عن قرب على عظمتها وأهميتها ، ومن اول هؤلاء المنصور بن حاتم النحوى نزيل الهند وكان مولى و غلاما لآل خالد بن أسيد ، و كان قد مكث فى كجرات مدة وله روايات عن أحوالها و تاريخ الدولة الماهانية كله رهين تصريحاته و وقف على قلمه ، و هو أيضا الذى روى قصة حاكم السند و قتله و هدم منائر معبد الاوثان فى الديبل ، وقد نقل البلاذرى كل هذه الروايات عنه فى كتابه فتوح البلدان .

ومنهم كذلك الشاعر البحترى شاعر ديوان الخليفة المتوكل و

بلاط الفتح بن خاقان الذى يقول فى شأن سندان :

و لقد ركبت البحر فى أمواجه
و ركبت هول الليل فى بياس
و قطعت أطراف البلاد و عرضها
مابين سندان و سجاس

كما كتب الشاعر أبوالعتاهية مرثية فى شأن الحرب الاهلية بين أسرة آل ماهان و لكنه لم يحضر إلى سندان بنفسه .

بعض ارباب العلم :

لا يظهر لنا أى نشاط علمى أو وجود علماء مجيدين فى سندان فى عهد آل ماهان ، ولكن كان على قرب منها علماء يضارعون كافة علماء العالم الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع أسهموا فى هذه المنطقة ببلاد الهند بمجهودات علمية و من بينهم :

(١) عبدالرحمن بن أبى زيد البيلمانى مولى عمر بن الخطاب و كان من أبناء اليمن من نجران ومن رواة الحديث وقد روى عن ابن عباس و ابن عمر و نافع و كان شاعرا و توفى فى عهد الوليد بن عبدالملک . والبيلمانى نسبة إلى ''بهيلمان'' من أعمال کجرات .

(٢) محمد بن عبدالرحمن البيلمانى وهو مشهور کوالده بنسبة مولى عمر و قد روى عن والده وغيره و روى عنه سعيد بن بشير البخارى و عبدالله بن عباس و ربيع الحارثى و محمد بن الحارث بن زياد الحارثى و محمد بن كثير المعبدى و أبو سلمى موسى بن اسماعيل وغيره و قد قرر الامام ابن معين وغيره من علماء الجرح والتعديل أنه من المنكرين للحديث و لم يأخذوا

باحاديثه و قرروا أنها غير معتبرة و قد توفى فيما بين سنه ١٤٠ھ و سنة ١٥٠ھ .

(٣) محمد بن الحارث البيلمانى و قد روى عن والده و والده روى عن محمد بن عبدالرحمن البيلمانى .

(٤) أبو محمد الهندى البغدادى و قد روى عنه البلاذرى فى فتوح البلدان رواية عن استيلاء محمد بن القاسم على كل منطقة السند بعد مقتل داهر و روى عنه على بن محمد المدائنى الذى يكنى بالهندى وان لم يكن منها .

(٥) يزيد بن عبدالله القرشى البيسرى و قد ذكر ابن حاتم فى كتاب الجرح والتعديل أنه روى الحديث عن عمر بن محمد عمرى الذى روى عنه على بن ابى هاشم الطبرانى .

(٦) ابو عبدالله محمد بن ايوب بن سليمان الكلبى البغدادى العودى وقد حرر نسبه السمعانى و قد روى روايات كثيرة للامام الاعمش بعد سفره الى بغداد و ذلك من طريق أبوالمهلب سليمان بن محمد بن حسن الضبى و منه روى ابوبكر محمد بن ابراهيم بن حسن بن شاذان البزاز وكان من سكان ''مينا كله'' فى جنوب الهند المشهور وكان يتاجر فى العود .

(٧) سوسى السيلانى و قد ذكره ابن أبي حاتم الرازى فى كتاب الجرح والتعديل وابن الاثير ، و ذهب الى أنس بن مالك و روى عنه الامام شعبة و يعد من التابعين و قد وثقه يحيى بن معين و ينسب الى جزيرة سيلان .

(٨) أبو القاسم جعفر بن محمد السرنديبى و قد ذكره الامام الجزرى فى طبقات القراء ''غاية النهاية'' وتلقى القراءة على

الامام قنتل و تلقى عليه أبوبكر محمد بن عثمان الطرازى و كان
من المشهورين فى علم القراءات وأئمة التجويد .

(٩) الامام عبدالله بن حميد نصر الكسى من حفاظ الحديث
و صاحب ''مسند الكسى'' و اسمه عبدالحميد واختصر الى
''عبد'' و قد سافر فى شبابه لتلقى العلم و سمع من يزيد بن
هارون و محمد بن بشر العبدى و على بن عاصم بن أبى فديک
و حسين بن على الجعفى و أبو أسامة والامام عبدالرزاق
وغيرهم و عنه روى الامام مسلم والترمذى و غيرهما و قد
أدرج له البخارى رواية معلقة وتوفى سنة ٢٤٩ و يعد من
علماء الطبقات والرجال وينسب إلى مدينة مشهورة قريبة
من سمرقند هى''كش يا كس'' و إن كان ياقوت الحموى
قد ذكر فى معجم البلدان أن ''كس'' مدينة تنسب إلى
الهند فيقول :

''و كس أيضا مدينة بأرض الهند مشهورة ذكرت فى المغازى
و ممن ينسب إليها عبدالله بن حميد بن نصر .''[١]

وجاء فى فتوح البلدان للبلاذرى ذكر مدينة ''كش'' و هذه القصة .

ثلاث حملات على الهند سنة ١٥ھ و أدلتها :

ذكرنا آنفا الرواية التى كتبها البلاذرى عن الدولة الماهانية فى
سنجان و بين فيها أن الجيش الاسلامى قد حمل على تهانه و بهروج
والديبل فى سنة ١٥ ھ فى عهد عمر بن الخطاب ، كما مر بنا أيضا الرواية
التى حكاها ياقوت الحموى وصرح فيها بالحملة على الديبل .

١- جمهرة انساب العرب ، ص ٦٦ .

و علاوة على هاتين الروايتين المستندتين القويتين فهناك رواية ثالثة قوية للامام ابن حزم أوردت فى كتاب ”جمهرة أنساب العرب“ و فيها أن عثمان بن أبى العاص الثقفى قد غزا الهند فى ثلاث مدن و نورد فيما يلى نفس عبارته :

و عثمان منهم من خيار الصحابة ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف وغزا فارس و ثلاثة من بلاد الهند وله فتوح .“[1]

و تدل رواية البلاذرى على أن عثمان قد وجه أخاه الحكم إلى تهانه و بهروج و وجه أخاه المغيرة إلى خور الديبل على حين أنه يؤخذ من تصريح ياقوت الحموى أن الحكم نفسه هو الذى توجه الى الديبل كما يدل تصريح ابن حزم على أن عثمان قد غزا بنفسه هذه الجهات الثلاثة تهانه و بهروج و الديبل .

و تدل مجموع تلك الأقوال على ثبوت حملة المسلمين على الهند فاذا كان عثمان بن أبى العاص هو الذى قاد بنفسه تلك الحملات و وصل إلى هذه المدن فان ذلك لمن دواعى الشرف العظيم لنا[2] نحن الهنود .

ثورة عتبة بن كعب التميمى فى السند فى القرن الثانى الهجرى وقتله :

كان موسى بن كعب بن عتبة بن غاديه التميمى من دعاة الخلفاء العباسيين و كان يقوم بالدعاية لهم كثيرا و يخالف الأمويين ، و قد أشاع ابنه عتبة ثورة فى السند كان من نتيجتها أنه قتل و بذلك خمدت الفتنة و قد كتب الامام ابن حزم :

”وثار ابنه عتبة بالسند فقتل .“

١- جمهرة انساب العرب ، ص ٦٦ .
٢- جمهرة انساب العرب ، ص ٢١٤ .

والغالب أن هذه الثورة كانت فى آخر العهد الأموى أو أوائل العهد العباسى عندما كانت الخلافة فى قلاقل و فى طريقها للتغيير و كان أمراء السند من ناحية أخرى يسعون للسلطة و الغلبة .

استشهاد سعد بن هشام الانصارى المدنى فى مكران

سعد بن هشام الأنصارى المدنى ابن عم أنس بن مالك رضى الله عنهما و من أجل التابعين و قد روى عن والده هشام وعن أنس ، و عائشة ، و ابن عباس ، و أبى هريرة ، و سمرة بن جندب ، رضى الله عنهم أجمعين ، و قد روى عنه حميد بن هلال ، و زرارة بن أبى أوفى و حميد بن عبدالرحمن الحميرى ، والامام حسن البصرى ، و غيرهم و رواياته موجودة فى كتب الصحاح الستة و قد كتب الامام البخارى فى التاريخ الكبير ما يأتى :

"قتل سعد فى أرض مكران على أحسن حال[١]" .

كما ورد فى "تهذيب التهذيب" قول ابن حبان الذى صرح فيه باستشهاد سعد فى الجهاد و فى كتاب الزهد لسيار بن حاتم مثل ذلك ، و فى تقريب التهذيب "استشهد بأرض الهند" و قد استشهد سعد بن هشام فى وسط القرن الثانى فى معركة من معارك مكران .

علماء آخرون من السند والديبل والمنصورة :

(١) إبو اسحاق ابراهيم بن السندى بن على بن بهرام الأصفهانى و روى عن محمد بن أبى عبدالرحمن المقرى و محمد بن زياد الزيادى .

١- التاريخ الكبير المجلد الثانى ، قسم ٢ ، ص ٧٦ ، و تهذيب التهذيب ، ج ٣ ص ٤٨٣ ، و تقريب التهذيب ، ج ١ ص ، ١٩ .

(٢) ابراهيم بن محمد حمزه و قد روى عنه عبدالله بن جعفر و محمد بن يوسف و سليم بن أحمد و روى عنه بالواسطة أبو نعيم الأصفهانى و ذكر أنه صاحب أصول ، و كان يستعمل الخضاب (الحناء) الأحمر و توفى فى سنة ٣١٥هـ .

(٣) اسماعيل بن موسى بن اثت السندى الأصفهانى الذى روى عن الامامين مالك و شريك و روى عنه عمر بن شاكر ، و توفى فى الكوفة سنة ١٤٥ و قد عده العقيلى فى كتاب أصبهان من علماء أصفهان .

(٤) عبدالرحيم بن يحيى الديبلى و قد روى عن الوليد بن مسلم الدمشقى و روى عنه أبوالقاسم شعيب بن احمد الديبلى ، و روى عنه ابو نعيم الاصفهانى بواسطة اثنين و قد جاء ذكر ذلك فى كتاب "تاريخ أصفهان ."

(٥) فضل بن أحمد الأصفهانى المنصورى و قد سافر من المنصورة إلى بغداد لأجل رواية الحديث و هناك تعلم على يد هدبة بن خالد و هو أيضا مشهور باسم فضل بن صالح المنصورى .

(٦) أبو حمزه هريم بن عبدالأعلى بن فراتالسندى الأصفهانى و قد روى عن محمد بن راشد صاحب أبي داؤد ، و روى كذلك عن اسماعيل بن عبدالله ، و روى عنه عبدان ابويعلى و ابن رسته و روى الحديث فى اصفهان سنة ٢٣٠هـ[1] .

١- نقل ذلك كله فيما يتعلق بمن ذكرنا من معلومات عن نسخة خطية بمكتبة الاسلام بالمدينة المنورة عن كتاب "تاريخ ابو نعيم الاصفهانى" فى مخطوط تعليم اصفهانى .

الديبل والديبلان :

كتب البكرى فى كتاب "معجم ما استعجم" أن الديبل مشهورة فى السند و يقال عنها كذلک "الديبلان" و قد نقل أبو عمرو البيت الآتى من الشعر فى الثناء على مسک السند :

كأن ذراعه المشكول منه سليب من رجال الديبلان

و كتب الجواليقى فى كتاب "المعرب" ان اسم حاكم الديبل "داهر" و فى قصيدة لجرير الشاعر العربي المشهور يمدح بها الوليد :

و أرض هرقل قد قهرت و داهر
و تسعى لكم من آل كسرى النواصف
و أدت إليک الهند ما فى حصونها
و من أرض صينستان يجبى الطرائف[1]

وقد شاع بعد تمصير البصرة سنة ١٤ ه اضافة الألف والنون فى آخر أسماء الأمكنة والقطائع والنواحى فأطلقوا على قطيعة حفص بن أبي العاص "حفصان" و قطيعة أبي امية بن أبي العاص "اميتان" و قطيعة الحكم بن أبي العاص "حكمان" و غير ذلک ، و من هذا القبيل أطلق على الديبل الديبلان ، و يظهر من شعر جرير أن منطقة السند كان لها أهمية كبيرة فى العهد الأموى و كان لها ارتباط خاص بديوان الخلافة .

الأسماء الحديثة لبعض الأمكنة والبلاد القديمة :

قبل الحديث عن ذلک أتوجه بالشكر الجزيل لمولوى محمد سليم شاه

١- كتاب المعرب للجواليقى ص ٣٢ ص ٤٥ نسخة خطية سنة ٥٢٩ مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة .

ولى الله بالكلية الشرقية فى باكستان الغربية على تعاونه العامى فقد تفضل على بارسال بعض أسماء المقامات القديمة وهى فيما يلى :

(١) ألور و يطلق عليها فى اللغة السندية هذه الأيام ''أرور'' و هى تقع على مسافة أربعة أميال جنوب محطة ''روهنزى'' و هناك الآن قرية صغيرة حديثة العهد .

(٢) ''أش'' و هو مقام مشهور عند أحمد بور فى مقاطعة بهاولبور السابقة و هى مقر شيوخ الجيلانية ، و تاريخها مبسوط فى كتاب ''قبرستان دور تک بهيلا هوا'' لمولانا نور احمد البلوصى الملتانى .

(٣) ارمائيل أرمن بيله و فى هذا الوقت تسمى ''لسبيله'' بمديرية قلات شمال كراتشى بستين ميلا .

(٤) باميان : وتقع الآن فى دولة افغانستان .

(٥) بند : وهى بنون التى بها معكسرات الجيش المشهورة و فى اعتقادى أنها تصحيف ''هند'' (Hund) و قد جاء ذكر بنه و لاهور معا دائما و هى الآن مشرب على نهرالسند على أحد شاطئيه ''هند'' وعلى الطرف الآخر ''ألوهور'' و لذلک يغلب على الظن أنها ''هند'' و حرفها القراء والكتاب فيما بعد الى ''بنه'' وهى على مسافة ٨٠ ميلا من هناک و ليست بند هى بنون .

(٦) ''بيرون'' و أصلها نيرون وهذا هو اسمها الحالى فى ولاية حيدر آباد بالسند .

(٧) الديبل و هى التى نطلق عليها اليوم ''بهمبور'' على ساحل تيله و قد كتب على جدران المسجد الذى شيد فى عهد

محمد بن القاسم تاريخ سنة ٩٠١ هـ و تقع على مسافة ٣٣ ميلا جنوب كراتشى الحالية و ثتة على مسافة ٦٠ ميلا و لذلك فلايمكن أن تكون هى تهتها كما يذهب البعض .

(٨) جبال قفص "أطلق العرب على الجبال التى فى وسط بلوجستان جبال "اقفص" و يطلق عليها اليوم جبال ساردان و جهاولان و الغالب أن لفظ "قفص" من "كوش" و فى شاهنامه الفردوس ألفاظ كوش وبلوص و الأخيرة فى باكستان و الأولى تقع الآن فى أفغانستان .

(٩) "سيوستان" و هى "سيوهن" فى مديرية "دادو" واشتهرت بسبب مزار لعل شهباز .

(١٠) "قيقان" "وكانت أحد الأمكنة قديما فى قلات والخيول القيقانيه مشهورة حتى الآن .

(١١) "قندهار" و هى مدينة مشهورة هذه الأيام فى دولة أفغانستان .

(١٢) "قصدار" و يطلق عليها الآن "خضدار" و كانت قديما مركزا للخوارج .

(١٣) "قندابيل" و يطلق عليها الآن "كنداوه ."

(١٤) "فنزبور" والغالب أنها محرفة و أن الأصل فيها فنزبور و هى فى منطقة مكران و موجودة حتى الآن مع تحريف بسيط فى اسمها .

(١٥) "لاهور" لم تكن فى عهد العرب مدينة بالهند تدعى لاهور و لهذا لم يرد ذكرها للمهلب ابن أبى صفره و قد

عمرت فى العهد الغزنوى و لذلك دلائل .

(١٦) ''الميد'' قوم كانوا على ساحل مكران و ايران القديمة التى كانت تضم ولاية باسم ''ميديا'' و لمزيد من التفصيل عن الميد ينبغى الرجوع إلى كتابى ''عرب و هند عهد رسالت مين'' (العرب والهند فى عهد الرسالة) .[١]

(١٧) المنصورة أو المحفوظة و تقع على مسافة تسعة أميال من شهداء ديور بمديرية سانكهر بالسند فعلى مسافة ميلين من نهر جمراء توجد أطلال المنصورة و قد قامت مصلحة الآثار فى العام الماضى بالتنقيب فى هذه المنطقة والعامة تطلق عليها هذه الأيام ''دكور'' و هو حاكم مزعوم و لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى كتابى ''رجال السند و الهند .''

(١٨) ''برهمن آباد'' و هناك قرية صغيرة باسم ''بامنا .''

و قد حصل السيد محمد سليم على ''دينار المنصور العباسى'' المضروب فى سنة ١٥٨ﻫ و هو الآن موجود بدار الآثار بالكلية الشرقية يزين متحفها .

☆ ☆ ☆

١- للمترجم طبع بدار الكاتب العربى بالقاهرة .

Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 6:1 (1971)

الحكومات العربية فى الهند و السند

(٣)

تأليف : القاضى أطهر مباركپورى
ترجمه : الأستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل

الدولة الهبارية بالمنصورة

كان هبار بن أسود الأسدى القرشي من الصحابة المشهورين ، و قد أسلم بعد فتح مكة و اختار الاقامة بالمدينة ثم رحل إلى الشام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم و كان شجاعا مقداما ، و اشتهر أولاده بأولى العزم فقد كانوا أينما حلوا أو وجدوا أصحاب الغلبة والاقتدار و السلطان ، سواء فى الشام ، أو البصرة ، أو سيراف ، أو السند ، و بلخ و مصر ، و كان من بين آل هبار شخص يدعى المنذر بن الزبير الهبارى ، كان قد وصل إلى بلاد السند فى عهد الأمويين ، و أقام بها ، و كانت الأحوال السياسية آنذاك فى غاية من الاضطراب ، و عدم الاستقرار ، فخرج المنذر بن الزبير هذا من السند للاستيلاء على قرقسيا ، و لكنه شنق بعد ذلك لفشله و ظلت أسرته ترقب الأمور حتى استطاع حفيده عمر بن عبدالعزيز الهبارى الاستيلاء على السند و أقام بها حكومة فى المنصورة ، و دعا للخليفة العباسى فى الخطبة ، على الرغم من أن تلك الحكومة كانت مستقلة داخليا و خارجيا .

و لم يكتف حكام تلك الدولة باخماد الفتن ، و القضاء على الثورات فقط ، و انما عملوا على استتباب الأمن و اذاعة الطمأنينة فلقوا قبولا و تجاوبا .

هبار بن الأسود الأسدى القرشى

و بعد فتح مكة وصل هبار بن أسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصى القرشى إلى ''الجعرانة'' و أعلن اسلامه فعفا الرسول عنه، و جبر زلاته، لأنه كان قبل إسلامه من أشد(١) أعداء الإسلام و المسلمين و أمكرهم فى ايصال الأذى لهم، والحاق الضرر بهم و قد بلغ من كيده و مكره أنه عند سفر السيدة زينب بنت الرسول (٢) إلى المدينة أثناء الهجرة اقترب هبار بن أسود و معه مجموعة من الأوباش من خلف الهودج الذى يحملها، و أطلق رمحا على الناقة التى تركبها فأوقعها و تسبب فى اسقاط حمل السيدة زينب، فلما علم الرسول بذلك أظهر سخطه الشديد لهذا العمل الوحشى غير الانسانى و قال للصحابة ''أينما نجد هبار فاءننا نضعه فى النار'' ثم استدرك قائلا ''ولكن لا تغلوا، ولا تفعلوا ذلك، لأن التعذيب بالنار حق الله تعالى وحده''.

ثم كان فتح مكة و عفو الرسول العام فلما سمع بذلك هبار حضر بنفسه عند الرسول و أسلم و قال ''يا رسول الله إنى قد أسأت كثيرا، و آذيتكم، و لهذا كنت أريد ترك البلاد العربية و هجرها إلى أى منطقة من بلاد العجم، و لكننى عندما سمعت بعفوكم حضرت إليكم، و إن الاسلام يجب ما قبله فلما سمع الرسول منه ذلك عفا عنه، و ظل هبار بعد ذلك فى مكة فترة من الزمن، ثم ذهب إلى المدينة و هناك جعل بعض الصحابة يلمزونه بأفعاله السابقة، وما كان منه أولا، فاشتكى إلى الرسول فقال له الرسول صلى الله عليه و سلم ''عليك بالاجابة والرد عليهم، واستمر هبار يعيش حياة طيبة فى المدينة.

و يروى أن الرسول كان يمر ذات يوم بناحية دار هبار فسمع صوت غناء و طبول تنبعث من بيته فلم يستحسن ذلك و اتضح أن ذلك

كان بمناسبة زواج كريمة هبار، و لكن الرواية وردت فى الاصابة فى هذا الشأن تفيد أن هبار عقب ذلك رحل إلى الشام و أقام هناك . (٣)

و فى موطأ الامام مالك ، أن أبا أيوب الأنصارى و هبار بن أسود قد وفدا على مكة فى أيام الحج فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لهما عمر : أديا العمرة ثم أحلا و فى العام القادم تحجان'' كما كان هبار شاعرا و تدل بعض القرائن أنه توفى بعد سنة ٥٠ هـ.

أولاد هبار

و قد استطعنا الوقوف على أسماء ثلاثة من أولاد هبار فقط أولهم على بن هبار ، و حفيده يحيى بن عبدالملك بن على بن هبار بن الأسود و ثانيهم عبدالرحمن بن هبار ، و من نسله حكام السند الهباريون الذين ينتمون إلى مؤسس الدولة عمر بن عبدالعزيز بن منذر بن عبدالرحمن بن هبار بن اسود. ثالثهم اسماعيل بن هبار الذى قتله مصعب بن عبدالرحمن بن عوف.

قتل اسماعيل بن هبار(٤)

وردت قصة مقتل اسماعيل بن هبار فى كتاب ''المجر'' و ''الأغانى'' بعدة طرق ، فمؤلف كتاب المجر قد كتب أن قتال الكلابى و هو عبادة بن مجيب بن مضر بن عامر كان قد قتل ابن عمه فوضع فى سجن فى المدينة. و كان حاكم المدينة آنذاك مروان بن الحكم ، و محافظ السجن اسماعيل ابن هبار بن أسود بن المطلب بن أسد الذى رفع شكوى لأمير المدينة ذكر له فيها أن قتال الكلابى ينشد أشعارا كثيرة فى السجن و منها :

إذا شئت غنانى على ظهر شرجع   نواعم بيض من قريش و عامر

فأرسل اليه الأمير شخصا فلما قابله استفسر منه و سأله هل انت الذى قلت هذا فقال لا و لكننى قلت :

إذا شئت غنتنى القيود و ساقنى إلى السجن أعلاج الأمير الطماطم

و سرت الأحاديث بأن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف قال لقتال :

ما رأيك فيما سأعرضه عليك ، و أقوله لك ، و لعل فيه خيرك ، إننى سأعطيك سيفا ،و سأهيئ لك فرسا ، لتفر من السجن و تقتل ابن هبار فرضى بذلك قتال ، و تم لمصعب ما أراد و تنفيذا للخطة الموضوعة اتفق مصعب مع قتال على أن يظهر أمام ابن هبار أنه يريد صلاة العشاء فى الصحن الخارجى للسجن و عندما أذن له ابن هبار خرج متقلدا سيفه و أتم الصلاة ثم هجم على ابن هبار فقتله ثم سحبه الى داخل السجن و أغلق عليه و ركب حصانه و فر و فى هذا يقول قتال :

تركت ابن هبار ورائى مجندلا و أصبح دونى شابته فأرومها
بسيف امرئ لن أخبر الدهر باسمه و ان حضرت نفسى إلى هومها(٥)

أما الرواية الأخرى فقد أوردها أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى بدون أن يذكر أسماء ، و هى توضح طريقتين لقتل ابن هبار ، الأولى تذهب إلى أن ابن هبار كان متوجها إلى الشام فى تجارة و ربما لمقابلة أحد الامويين فاعترضت طريقه جماعة كان من بينهم قتال فقتلت تلك الجماعة ابن هبار و سلبت أمواله و عندما شاع الخبر أمر مروان بن الحكم حاكم المدينة بالقبض على شخص من المغيرين من بنى كلاب و وضعه فى السجن ، حتى تظهر الحقيقة ، و يتضح السبيل ، و أحسن قتال أنه لا جرأة فى زملائه و أن جريمته لن تثبت من هذا الدم و لهذا قتل مأمور السجن و كتب أشعارا على تلك المناسبة فى مطلعها هذا البيت :

أميم أثيبى جد التزيل أثيبى بوصل أو بصرم معجل

و الطريقة الثانية عن كتاب المجر و يظهر منها أنه في الوقت الذى كان قتال فيه مسجونا فى سجن المدينة بتهمة قتل أحد ابناء عمه و كانت هناك عداوة مستحكمة بين ابن هبار و ابن عمه الذى اتصل بقتال و اتفق معه على قتل ابن هبار. و لتنفيذ ما اتفقا عليه قال لقتال : إننى سأرسل لك مع الطعام منشارا تقطع به الأغلال ، و تفك به القيود ، و تتركها عليك حتى لا يشتبه فى أمرك أحد ، و عندما تخرج للوضوء احترس من أنظار الحراس و تحين فرصة للفرار و سأكون فى انتظارك فى المكان الفلانى و قد أعددت لك حصانا و سيفا و بهذه الطريقة خرج قتال من السجن و ظل مختفيا عند التواطئ معه حتى أوقف عنه البحث و بعد هذا قتل قتال ابن هبار .

اغارة هبار على بلخ

فى عهد مروان آخر الخلفاء الأمويين تقرر حوثرة حاكما على مصر فقبض على الثوار فى سنة ١٢٨ و ألحق بهم أذى كبيرا ، و قد جاء ذكر تلك الحادثة فى أشعار ميادة المرى الذى أنشد :

لقد سرنى أن كان شيئا يسرنى
مغار ابن هبار على بلخ و السفر
و حوثرة المهدى بمصر جياده
و أسيافه حتى استقامت له مصر

و يتضح من البيت الأول سفر ابن هبار إلى بلخ و إغارته عليها و أن شخصا من أسرة هبار كان قد كشف عن قوته فى بلخ قبل سنة ١٢٨ هـ .

أحد الهباريين فى الهند و الصين

كما تحدث المسعودى فى مروج الذهب عند كلامه عن

بلاد الصين عن هبارى صاحب فهم و فراسة ، تلخص روايته فى أن رجلا قرشيا من أولاد هبار بن أسود كان مقيما فى البصرة و عند ما أعمل صاحب الزنج القتل و السلب و النهب فيها سنة ٢٥٧ ھ خرج هذا الشخص من سيراف و كان يعد من أرباب البصيرة و المتمولين ، و من هناك وصل إلى الهند على ظهر سفينة و جعل ينتقل من سفينة إلى اخرى حتى وصل إلى الصين. و مثل أمام ملكها ، و بعد أن أوضح أمامه حسبه و نسبه و مدى قرابته للرسول محمد صلى الله عليه و سلم ، أكرمه و أنعم عليه و أطلعه على كثير من الآثار القديمة و صور الأنبياء و الصحابة و عاد ابن هبار من الصين فائزا و قد قابله فى البصرة سنة ٣٠٣ھ أبو زيد السيرافى و عرف منه أحوال الصين ، و كانت بلاد السند فى هذا الوقت تحت حكم آل هبار و مع هذا فانه توجه إلى البصرة و أقام فيها بعد عودته.

مجئ المنذر بن الزبير الهبارى القرشى إلى السند سنة ١٠٥ھ

و فى عام سنة ١٠٥ھ ولى أمر السند الحكم بن عوانة الكلبى بأمر من والى العراق خالد بن عبدالله القسرى فى عهد هشام بن عبدالملك الأموى و كان المنذر بن الزبير الهبارى قد وفد مع الحكم و قد كتب البلاذرى :

” و كان جد عمر هذا ممن قدم السند مع الحكم بن عوانة الكلبى “ (٦)

و يظهر من كلام الاصطخرى أن هذه الأسرة قد أقامت فى قرية صغيرة من بلاد السند هى بنفسها التى كان يسكن بها عمر بن عبدالعزيز الهبارى(٧) قبل اقامته حكومة فى المنصورة ، و كانت الفتن فى هذا الوقت منتشرة فى كل أنحاء السند و العصبية القبلية بين اليمنية و النزارية فى عنفوانها و دعاة العباسيين يروجون لدعوتهم سرا ، والخوارج يرتقون و يصعدون على متن الفتن ، و العلويون يذكون نار الثورات ،

و يعملون على إشاعتها فى كل مكان ، و الشعوبيون يوقدون أوار الشعوبية ، و قد حدث نتيجة لذلك كله نوع من الانفصال و البغى و الخروج ، ومع هذا فانه لم يظهر أى نشاط مخالف للأسرة الهبارية و حكومتها فيما بين سنة ١٠٥ إلى سنة ١٣٢ هـ كما يتضح لنا أن الغرض الذى جاء من أجله المنذر بن زبير الهبارى إلى السند لم تبد له امكانيات النجاح ، أو تظهر أمام عينيه ملامح الفلاح ، فآثر السكوت و الانتظار ، و ظل عليه هذه الحال أكثر من خمس و عشرين سنة يقضى حياته فى ''بانية'' حتى كانت نهاية الدولة الأموية و ابتداء الدولة العباسية ، فخرج من السند متوجها إلى قرقسيا(٨) و اجتهد للسيطرة عليها والاستيلاء على الأمر فيها و لكنه فشل فقتل .

خروج المنذر فى سنة ١٣٢ الى قرقسيا و قتله

و قد أورد الامام ابن حزم فى ''جمهرة أنساب العرب'' فيما يتعلق بعمر بن عبدالعزيز بن منذر الهبارى ما يأتى :

و كان جده المنذر بن الزبير قد قام بقرقسيا أيام السفاح فأسر و صلب(٩)

كما صرح بمثل ذلك العلامة ابن خلدون ،

أما مدينة قرقسيا فانها تقع على شاطئ نهر الخابور فى منطقة مثلثة الشكل و كان عياض بن غنم قد أرسل بعد فتحه أرض الجزيرة مسلمة الفهرى إليها ، ثم جاء قائد آخر يدعى حبيب ففتحها صلحا ، كما فعل فى ''الرقة'' و عندما ثار أهل قرقسيا بعد ذلك عقد معهم صلحا آخر تحت اشراف حاكم الجزيرة عمير بن سعد ولم تحدث هناك أية ثورات بعد هذه.

و قد كتب العلامة ابن الأثير أنه فى سنة ١٣٢ هـ ثار أهل الجزيرة و جمعوا قوة كبيرة فى حران ضد السفاح الخليفة العباسى ،

وكانت قد قامت ثورات فى قرقسيا ، والرقة ، و دارا والرهاء ، فأرسل السفاح أخاه أبا جعفر المنصور و معه عدد كبير لاخماد تلك الثورات و قد نجحت تلك الحملة التأديبية فى تقويم حالة الشام و الجزيرة ، و حكم أبو جعفر المنصورجزيرة أرمنيد و أذربيجان حتى سنة ١٣٦ ھ بنجاح ، و كان المنذر بن الزبير الهبارى من زعماء الثوار فى تلك الآونة فكشف عن نفسه و أزاح الستار عن وجهه ، و قاوم الخلافة العباسية علنا ، مما أدى إلى القبض عليه و شنقه ، و اتضح بعد اعدامه أنه كان من أكبر المحركين للثورة ضد العباسيين و من الموالين لبنى أمية ، و أن مجيئه إلى بلاد السند لمما يؤكد ذلك و لو أنه سعى لاحداث انقلاب فى بلاد السند بدلا من توجهه إلى قرقسيا لساعدته الظروف القائمة آنذاك من اضطراب و سوء ادارة و لعاونته تلك الاحوال وقوت أزره.

نجاح عمر بن عبدالعزيز الهبارى سنة ٢٢٧ھ

و بعد فشل المنذر بن الزبير فى قرقسيا لايتضح لنا أى نشاط خارجى أو داخلى إلى مئات السنين من قبل الأسرة الهبارية فى السند و حتى سنة ٢٢٧ ، ففى ذلك العام قام حفيد المنذر عمر بن عبدالعزيز فى مواجهة عمران بن موسى البرمكى حاكم السند و قتذاك و كان من نتيجة ذلك قتل عمران فى خلافة الواثق بالله.

ولم تكن مقابلة عمر لعمران لأجل الغلبة و الاقتدار و انما نتجت عن حدوث فتن قبلية بين العناصر العربية القاطنة فى بلاد السند فتحارب النزاريون و اليمنيون ، وهاجت الطائفة بينهما ، و تدخل عمران بن موسى الوالى العباسى هناك بين الطائفتين المتنازعتين وبدلا من أن يصلح بينهما ، و يسعى للتوفيق بين كليهما ، انحاز كلية إلى اليمنيين ، فانضم عمر بن عبدالعزيز إلى النزاريين (الحجازيين) و تشابكا

فقتل عمران ، و قد كتب البلاذرى فى هذا يقول :

"ثم وقعت العصبية بين النزارية واليمانية فسار إليه عمر بن عبدالعزيز الهبارى فقتله و هو غار(١٠)"

و قد صرح القاضى رشيد بن الزبير فى كتابه الذخائر والتحف أن مقتل عمران بن موسى البرمكى كان بالسند فى شهر ذى الحجة سنة ٢٢٧ھ فى عهد خلافة الواثق بالله(١١)

و وافق أن عمر بن عبدالعزيز كان قد انتصر للعدنانيين عند مقابلتهم للقحطانيين ، مما منحه شهرة طوفت كل منطقة السند و مهدت له السبل فيها ، و مع هذا فانه لم يستطع على مدى عشرين عاما الحصول على الغلبة الظاهرة التى تعطى صورة لها فى الوجود الخارجى متمثلة فى كيان دولة .

تأسيس الدولة الهبارية فى السند سنة ٢٢٧ھ

بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ھ طرأ على الخلافة اختلال فى الادارة و النظام فقامت الفتن فى كل الارجاء ، و فى ذلك الوقت استطاع عمر بن عبدالعزيز الهبارى اقامة دولة مستقلة بحكومة عربية حرة فى بلاد السند ، و جعل المنصورة(١٢)عاصمتها ، و فى ذلك كتب الامام ابن حزم فى جمهرة الأنساب مايأتى :

"عمر بن عبدالعزيز بن المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبار بن الأسود صاحب السند وليها ابتداء الفتنة اثر قتل المتوكل(١٢)"

و أقدم من تكلم عن عمر بن عبدالعزيز الهبارى هو معاصره إمام الأنساب الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ فى كتابه "جمهرة أنساب قريش و أخبارها" و قد صرح باستيلائه على السند و تنصيبه حاكما عليها قبل سنة ٢٥٦ھ و كلامه فى ذلك واضح و صريح ، أما ابن حزم فيذهب إلى أنه أصبح حاكما على بلاد السند فور مقتل المتوكل

سنة ٢٤٧ﻫ و بيان اليعقوبى يقرر أن والى السند هارون بن خالد قد توفى فى سنة ٢٤٠ﻫ وكان عمر بن عبدالعزيز الهبارى مسيطرا على السند إلى ديوان الخلافة يقول ولونى الحكم فى بلاد السند و سأحدث بها نظاما جيدا ، و حكومة قوية فاستجاب الخليفة لذلك و ولاه بلاد السند(١٣).

و مدلول هذا التصريح يشير إلى مدى تأصل و تغلغل الأسرة الهبارية فى السند ، قبل مقتل المتوكل ، و مع أنهم حصلوا على مرسوم من الخلافة يعضد حكومتهم ، فانهم حتى ذلك الوقت لم يستطيعوا تحقيق الاستقلال.

حكام وسلاطين الدولة الهبارية

لم نجد دليلا يوصلنا إلى أسماء الحكام الهباريين و خلفائهم بصفة منظمة متتابعة فيما عدا مؤسس الدولة عمر بن عبدالعزيز الهبارى و لكن المسعودى وحده قد تناول حكم هبارى معاصرله هو عمر بن عبدالله بن عبدالعزيز و تكلم عنه بالتفصيل .

ولا شك من أن السياح و المؤرخين الذين وفدوا إلى السند فى تلك الحقبة من الزمن قد تكلموا و كتبوا عن الحكومات الموجودة هناك ولو باختصار و لكنهم لم يتعرضوا لاسماء الحكام ، و لم يبينوا فى أمرهم شيئا و مع هذا فقد أمكننا استخلاص بعض النتائج من هذه البيانات الاجمالية . ففى شان عمر بن المنذر كتب النسابة المعاصر لعمر بن عبدالعزيز و هو مصعب الزبيرى مايأتى : (كان قد غلب على السند)(١٤) و هذا يدل على أن عمر كان حاكما على السند حتى سنة ٢٣٣ﻫ كما كتب مؤرخ آخر معاصر هو النسابة الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ أن حاكم السند فى هذه الأيام من أولاد عمر بن المنذر(١٥) و هذا يدل على أن الحاكم على بلاد السند فى سنة ٢٥٦ ليس عمر و انما أحد اولاده.

و كتب الامام ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ ه فى جمهرة الأنساب عن عمر بن عبد العزيز أن حكومة السند تجرى فى أولاده و أنها لازالت تنتقل بينهم حتى انتهت فى زماننا هذا على يد السلطان محمود بن سبكتيكين و أن عاصمتهم كانت مدينة المنصورة (١٦) و لم يذكر لنا الامام بن حزم اسم حاكم واحد من هؤلاء الحكام.

و كتب ابن حوقل البغدادى سنة ٢٥٨ ه فى كتابه (صور الارض) أن سكان السند مسلمون و أن الملك هنالك قرشى من أولاد هبار بن أسود (١٧) كما ذكر الاصطخرى (سنة ٣٢٠) فى كتابه المسالك و الممالك أن سكان السند مسلمون و حاكمهم قرشى يقال إنه من أولاد هبار بن الأسود و أن آباءه وأجداده كانوا قد استولوا على السند (١٨)

أما العالم الرحالة الجغرافى المحقق بشارة المقدسى المتوفى سنة ٣٧٥ فقد كتب فى ''أحسن التقاسيم'' عن ذلك اجمالا ، و ذكر أن على المنصورة سلطان مستقل من قبيلة قريش ، و أنهم يخطبون هناك باسم الخليفة العباسى . و الغرض أنه لم يتحدث فى شأن حكام المنصورة سوى المسعودى أما الباقون فقد أشاروا اشارات و إذا وجدت أخبار عن ذلك فى كتبهم أو مقالاتهم فانها تأتى ضمنية فى الحديث و ليس هناك أى شيء تفصيلى بالمرة.

و بناء على ذلك فان حكام الدولة الهبارية الذبن سنتحدث عنهم قد جاءت أخبارهم و أحوالهم ضمن الأحاديث و فى ثنايا الكلام و إنها لغنيمة كبرى أن المؤرخين العرب و كذلك رحالتهم قد ذكروا أسماء عدد كبير منهم فى كل مكان و مناسبة تتعلق بهم ، مما حرمت منه التواريخ الفارسية.

(١) عمر بن عبدالعزيز الهبارى القرشى
مؤسس الدولة الهبارية بالمنصورة

أقدم من تكلم فى شأن عمر بن عبدالعزيز بن المنذر بن الزبير بن

عبدالرحمن بن هبار بن أسود القرشى مؤسس الدولة الهبارية بالمنصورة ، اثنان من أئمة التاريخ والأنساب ، هما مصعب بن عبد الله الزبيرى المتوفى سنة ٢٣٣هـ ، و الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، و لكنهما قد كتبا بدلا من عمر بن عبد العزيز — عمر بن المنذر فذكرا اسم الجد بدلا من اسم الوالد(١٩) بينما أورد المورخ ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ الاسم على النحو الآتى :

عمر بن عبد العزيز بن منذر ، وجرى على هذا كل المؤرخين من بعده(٢٠)

وقد ذكرنا آنفا أن جد عمر ''المنذر'' كان يقيم فى البصرة و جاء إلى السند فى سنة ١٠٥ مع الوالى الحكم بن عوانة الكلبى ، و أنه أقام فى بانيه جنوب المنصورة ، وما كان من أمره بعد ذلك من خروجه إلى قرقسيا الى نهاية المطاف ، والذى ينبغى ذكره هنا ، أن عمر بن عبدالعزيز ظل وفيا لوالى الخليفة المعتصم عنبسة بن اسحاق الضبى و كانت له قوة و شوكة لا تقل عن قوة الحاكم العام ، حتى إنه لم يكن لوال من الولاة أو حاكم للسند قدرة الدخول إلى البلاد بغير رضائه و استقباله إياه .

و قد كتب الزبير بن بكار فى جمهرة نسب قريش و أخبارها مايلى :

> عمر بن المنذر بن الزبير كان قد غلب على السند و كان لايدخلها وال إلا أن يتلقاه عمر بن المنذر فاذا تلقاه عمر بن المنذر فى جماعة دخلها

و قد أعطت هذه الصفة لعمر بن عبدالعزيز اندفاعه إلى الأمام ، و الى الاقدام و التطلع للحكم و لذلك عند ما قتل هارون بن أبى خالد المزورى الحاكم العباسى على السند سنة ٢٤٠هـ ، نجد عمر يتقدم فيستولى على المنصورة ، و كانت مركزا للحكام العرب فى بلاد السند

آنذاك ، و تقع على بضعة أميال من "بانية".

و قد أدرك الخليفة المتوكل دقة الوضع و حقيقة الموقف فسلم بولايته و اعترف بحكومته ، فأظهر أهل السند رضاءهم بذلك ، و في هذا كتب اليعقوبي :

" و توفى هارون بن أبي خالد عامل السند سنة ٢٤٠هـ
و كتب عمر بن عبدالعزيز السامي المنتمي الى سامة بن
لؤي و صاحب البلد أنه إن ولي البلد سيقيم به ضبط فاجابه
إلى ذلك فأقام طول أيام المتوكل(٢١)

و لم يحصل الهباريون على الاستقلال التام بحكومتهم إلا بعد سنة ٢٤٧هـ عند ما قتل المتوكل فأعلنوا حكومتهم المستقلة.

و ان قول اليعقوبي أن عمر بن عبدالعزيز من أولاد سامة بن لؤي غير صحيح لأن حكام الملتان هم الذين كانوا من أولاد سامة بن لؤي كما هو موجود و مفصل في أحوال الدولة السامية في الملتان ، و قد تحدث الامام ابن حزم عن حكومة عمر بن عبدالعزيز فكتب :

عمر بن عبدالعزيز بن المنذر صاحب السند وليها في ابتداء
الفتنة اثر قتل المتوكل (٢٢)

و كان المتوكل قد قتل في سنة ٢٤٧هـ و لهذا فان قيام الدولة الهبارية كان في هذا العام أو بعده فورا ، و قد خطب عمر باسم الخلفاء العباسيين و جعل مركز حكومته المنصورة ، التي كانت مقرا للولاة و العمال في العهدين الأموي و العباسي ، ولكنه كان يسكن في قرية "بانية" التي كانت تقع جنوب المنصورة بمسافة قصيرة ، و استطاع أن يقيم حكومة ناجحة شملت كل السند و حصلت على شعبية و قبول من المواطنين ، و قد نسب كل حكام المنصورة إلى عمر هذا.

(٢) عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز الهبارى القرشى

و بعد وفاة عمر ورث الحكم بعده ابنه عبد الله و حكم ابتداء من سنة ٢٧٠ هـ و حصل على نجاح عظيم فى كل أرجاء السند كوالده، و كانت له منزلة و قدر كبير عند جيرانه من الحكام و الرجوات، و ذاع صيته فى الخدمات الدينية، و كان ديوانه يعج بالعلماء و الفضلاء، و الأدباء، و الشعراء، و أرباب العلم و الفن، و تدل بعض الروايات أن غلاما لبنى كنده يدعى أبو صمة قد أشاع ثورة فى السند فى عهده و استطاع أن يدخل المنصورة و يغلب عليها و لكن عبدالله استطاع بقوته أن يخرجه و يطرده، و انتقل بعد ذلك من مقر آبائه وأجداده فى بانية إلى المنصورة، و اختار القيام بها، و نقل الحكام إليها، و قد كتب الملاح المشهور بزرج بن شهريار فى كتابه عجائب الهند قصة طريفة لها تعلق بعبد الله بن عمر فيروى أن أبا محمد حسن بن عمرو قد ذكر له فى البصرة أنه عند ماكان فى المنصورة سنة ٢٨٠ هـ قص عليه بعض الشيوخ هناك أن مهروق بن رائق حاكم الور(الرا) بالهند قد كتب لعبد الله بن عمر بن عبدالعزيز أن يرسل إليه بشرح مبسط فى اللغة الهندية للشريعة الاسلامية و أحكامها فاستدعى عبدالله بن عمر عالما فاضلا ممن يقيمون فى المنصورة من العرب و كان هذا العالم فضلا عن علمه و فهمه و كياسته شاعرا فى العربية نشأ و ترعرع فى بلاد الهند فعرف ألسنتها، و حصل على لغاتها، فعرض عليه عبد الله الأمر فأظهر استعداده للذهاب و قبل السفر أعد قصيدة فى مدح الراجا و الثناء عليه و ضمنها ما يحتاج إليه للذهاب عنده، فلما سمع الحاكم تلك القصيدة سر كثيرا و كتب إلى عبدالله بالعمل على سرعة إرسال هذا العالم، فأرسله فمكث هناك ثلاث سنوات، و لما رجع إلى المنصورة استفسر منه عبد الله عن أحوال هذا الحاكم، فاوضح أمامه الأمر بالتفصيل قائلا: لقد تركت هذا الحاكم مسلما بالقلب

و اللسان ، و لكن نظرا لدقة المسألة ، و أحوال السلطنة فانه لم يستطع الجهر بالاسلام ، و ذكر أنه قد طلب منه تفسيرا للقرآن الكريم باللغة الهندية ، فقام بهذا العمل و أنه ظل يفسر له فلما بلغ سورة يسين و تلا قوله تعالى ''قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها أول مرة و هو بكل خلق عليم'' نزل الحاكم من فوق عرشه و طفق يسير على الأرض التى كانت ندية بسبب رشها بالماء ثم وضع خده عليها و استمر يبكى حتى تلوث وجهه بالطين فلما أفاق التفت إلى العالم الواعظ قائلا ''هذا هو الرب المعبود بحق ، هوالأول ، القديم ، ليس له شريك ، و لا مثيل ، ثم أمر ببناء حجرة خاصة له لا يدخلها غيره ليصلى فيها سرا ، و عمى ذلك عن بطانته ، و أرباب مملكته حتى ظنوا أنه يختلى بهذه الحجرة لتدبير امر الدولة و التفكير فى مهماتها ، و أحوالها ، و أبان هذا العالم ان راجا مهروق قد أهداه ثلاث مرات ذهبا ، بلغ مجموع ذلك ستمائة سير (١٢٠٠) رطل(٢٣)و يتضح من ذلك ، أن المسلمين فى هذا الوقت كانوا كثيرين فى ألور و أن الاسلام كان له شأن ، و شوكة فى هذه المنطقة .

(٣) موسى بن عمر بن عبدالعزيز الهبارى القرشى

و هذا هو الأخ الشقيق الحقيقى لعبدالله بن عمر ، و تدل القرائن على أن حكمه كان فى سنة ٢٧١ﻫ ، و أن علاقته بالخلافة كانت طيبة للغاية ، ولم نقف على أى شئ بالنسبة له اللهم إلا ما جاء فى كتاب التحف و الذخائر للقاضى رشيد بن الزبير الذى كتب يقول :

وأهدى موسى بن عمر بن عبدالعزيز الهبارى صاحب السند
إلى المعتمد با الله فى سنة إحدى و سبعين و مائتين هدية(٢٤)

ثم أخذ فى تفصيل تلك الهدية ، فذكر أنها عبارة عن فيل ضخم الجثة لم ير مثله و جملا ممتاز النسل ، و بقرة كالغزال ، و ثلاثة تماثيل

من الذهب ، علاوة على المسك ، و العنبر ، و الثياب الحريرية ، و الأشياء الأخرى القيمة .

و يظهر من تفصيل تلك الهدية أن موسى قد قضى فترة حكمه فى رعب زائد من مركز الخلافة .

(٤) أبو المنذر عمر بن عبدالله بن عمر

و هو حفيد عمر ، و الحاكم الرابع للدولة الهبارية ، و قد تكلم عنه المسعودى فى كتابه مروج الذهب و لكنه تكلم عن شخصيته بايجاز و أسهب فى بيانه أحوال حكومته ، و فى موضع آخر ذكره ضمن حكام الملتان بدون ذكر لاسمه و يقول :

و كذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الأسود(٢٥)

وفى عبارة أخرى يكتب :

''و كذلك كان دخولى الى بلاد المنصورة فى هذا الوقت و الملك عليها أبو المنذر عمر بن عبدالله(٢٦)''

و نظرا لأن المؤرخين ، و السياح ، لم يتناولوا تاريخ الدولة الهبارية بأى نوع من التفصيل أو الكتابة عنها بالتطويل ، فانه من المناسب أن نورد فيما يلى ما كتبه المسعودى لأنه يلقى أضواء على جوانب متعددة فى هذه الدولة ، و لو أنها تتعلق فى مجموعها بعهد حكومة أبى المنذر يقول المسعودى : إنه عندما وصل إلى المنصورة بعد عام سنة ٣٠٠ هـ كان الحاكم فى هذا الوقت أبو المنذر عمر بن عبدالله ، و وزيره شخص يدعى رباحا ، و أن لهذا الحاكم ولدين أحدهما يدعى محمدا ، و الآخر يسمى عليا ، و يذكر أنه رأى فى المنصورة كذلك حاكما عربيا مشهورا باسم حمزة ، و ذكر أن بالمنصورة عمران كثير للعلويين و انه بين أمراء المنصورة بالسند و آل

ابن أبي الشوارب فى بغداد علاقات طيبة ، وقرابة ، و أن الذين يحكمون المنصورة فى هذا الوقت من أولاد هبار بن أسود ، و هم المشهورون بلقب بنو عمر بن عبدالعزيز ، و ان هذه النسبة ليست لعمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموى ، و استطرد قائلا : إن المنصورة عاصمتهم و هى تبعد عن الملتان بخمسة و سبعين فرسخا سنديا (٢٧) و المناطق التى تنضوى تحت حكومة المنصورة بها ثلثمائة ألف قرية ، و عزبة ، و أن هذا العدد هو الذى أمكن حصره ، ويقيم الناس بجوار الحقول ، ويكثر العمران قرب الأشجار ، و حول الغيطان ، و بهذه المنطقة قوم يعرفون بالميد ، قراصنة البحار .

و عند حاكم المنصورة ثمانون فيلا محاربا ، و تبعا لأصول الحرب ، فان كل فيل يكون حوله خمسمائة جندى ، و يستطيع الفيل الواحد أن يقاتل و يقابل ألف فارس ، ويستطرد قائلا : إنه قد رأى عند حاكم المنصورة فيلين مشهورين بالجرأة ، فى جميع أنحاء الهند و السند ، أحدهما يسمى (مَنْقَرْقَلِس) و الآخر (حَيْدَرَهْ) ولهذين الفيلين و قائع مشهورة و حوادث عجيبة ، و من ذلك أنه عندما توفى السايس الذى يلى أمرهما ظل ''منقرقاس'' صائما مضربا عن الطعام و الشراب لأيام و كان يبكى بالدموع تجرى و تسيل من عينيه كالانسان .

و حدث ذات مرة أن خرج ''منقرقاس'' من حظيرة الفيلة ، و وراءه ''حيدره'' و يتبعهما ثمانون فيلا و أثناء سيرهم فى طريق ضيق بالمنصورة برزت فجأة فى الطريق أمامهم امرأة ، و ما أن شاهدت منظر الفيلة حتى سقطت مغشيا عليها ، و تعرى جسدها ، فلما رأى منقرقلس ذلك وقف حائلا بين الفيلة و السيدة ، و التقط إزارها بخرطومه و غطاها و أشار اليها أن تقوم ، و عندما أفاقت السيدة كان منقرقلس قد تقدم و من خلفه كل الفيلة(٢٨) يتبعونه و بذلك نجت السيدة من موت محقق .

(٥) محمد بن عمر بن عبد الله الهبارى

مر بنا أن المسعودى قد ذكر أنه رأى فى المنصورة ولدين لأبى المنذر عمر بن عبدالله بن عمر ابن عبدالعزيز، و أن ذلك كان فى سنة ٣٠٣ھ و أن أحدهما يسمى محمدا، و الآخر عليا، فيقول فى كتابه مروج الذهب الجزء الأول ١٦٧ : "ورأيت بها وزيره رباحاً و ابنيه محمدا و عليا"

(٦) على بن عمر بن عبدالله الهبارى

و هو الابن الثانى على نحو ماعرفنا من ترتيب المسعودى، و لكننا لم نقف على أى معلومات أو بيانات عن هذين الولدين، و كان من أمرهما، فيما يتعلق بالحكم، و هل حكما على السند أم لا؟ و القياس يقضى أنهما قد حكما، و كانت لكل منهما حكومة.

(٧) يحيى بن محمد صاحب المنصورة

و قد ذكره فى رحلاته السياح أبو دلف مسعر بن مهلهل الينبوعى الموجود سنة ٣٧٧ھ كتب عن معبد الأصنام فى الملتان ما يأتى :

البلد فى يد يحيى بن محمد الأموى و هو صاحب المنصورة أيضا و السند كله.

و فى شان المنصورة كتب يقول :

و هى قصبة السند و الخليفة الأموى مقيم بها يخطب لنفسه و يقيم الحدود ويملك السند كله بره و بحره(٢٩)

ثم كتب فى حق بغانين مايأتى :

وهو بلد واسع يؤدى أهله الخراج إلى الأموى والى صاحب بيت الذهب(٣٠)

و تصريحات أبي دلف هذه معقدة تحتاج إلى بحث و تحقيق ، و من الضروري القول بأن كل منطقة السند كانت في القرن الرابع الهجري تحت حكم آل هبار ، الذين اتخذوا المنصورة عاصمة لهم ، و في هذه الفترة كانت الخلافة الأموية قد طويت صفحتها ، و لهذا فانهم لم يعدوا كونهم حلفاء أو عمالا لبني أمية ، كما لم يخطبوا باسمهم ، و إنما كانوا يدعون في خطبهم للخليفة العباسي ، حتى انه ليمكن القول بأن الحكام الهباريين في السند كانوا عباسيين ، فضلا عن أنه لم تكن لهم حكومة في الملتان ، بل كان يحكم الملتان في ذلك الوقت بنومنبه أو حكام من أسرة سامة بن لؤى ، كما يمكن القول أيضا بانه كانت على الملتان آنذاك حكومة شيعية اسماعيلية و لم نجد أى تصريح لمؤرخ أو سياح معاصر للحكام الهباريين يدل على أن الخطبة كانت باسمهم , و الذي ذكره بعضهم أن الخطب كانت تقرأ باسم الخليفة عضد الدولة .

و بناء على هذه الوجوه يكون يحيى بن محمد من حكام الاسرة الهبارية و أن حكومته كانت تشمل كل بلاد السند ، و أن سكان بغانين كانوا يؤدون إليه الخراج ، و كان يخطب باسم الخليفة العباسي كباقي الحكام الهباريين ، و قد اشتهر عنه أنه من الحكام المتدينين المتقيدين بأحكام الدين إلى حد كبير ، فأجرى الأحكام الشرعية ، و أنفذها في طول البلاد و عرضها و الغالب أن يحيى هذا هو ابن محمد ، وتبعا لما ذكره المسعودي يكون نسبه و اسمه الكامل : يحيى بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عبدالعزيز و نعود فنقول إن هذه الشخصيات التي تعرضنا لها بالحديث و تلك الأسماء التي أوردناها لحكام الدولة الهبارية من سنة ٢٤٧ إلى نصف القرن الرابع الهجري قد استخلصنا ما كتبناه عنها من عدة كتب و لا شك أن هناك اسماء لحكام آخرين على امتداد الفترة من سنة ٢٤٧ هـ إلى سنة ٤١٦ و ٤١٧ نهاية هذه الدولة ، و لكنني لم

أستطع الاهتداء إلى غير من ذكرتهم.

الملوك الهباريون وعهودهم

عرفنا أن مؤسس الدولة الهبارية هو عمر بن عبد العزيز الهبارى و أنه قد أقامها فى سنة ٢٤٧ بالسند ، و أنها كانت حكومة مستقلة ، ولكنه لم يحكم سوى مدة قليلة ، بدليل أن الحاكم فى سنة ٢٥٦هـ كان من أولاده كما كتب المعاصر له الزبير بن بكار الذى قال :

و والى السند اليوم من ولد عمر بن عبدالعزيز (٣١)

و المعروف أن الزبير قد كتب كتابه ''جمهرة أنساب قريش'' فى سنة ٢٥٦ عندما كان قاضيا فى مكة.

و قد نقل الخطيب البغدادى قول أبى عبدالله أحمد بن سليمان الطوسى من أن الزبير بن بكار توفى بعد ثلاثة أيام من الفراغ من قراءة كتابه ''أنساب قريش(٣٢)'' و من المعلوم أن وفاة الزبير كانت فى سنة ٢٥٦هـ و هذا يدل من طريق آخر على أن حاكم السند فى ذلك الوقت لم يكن عمر بن عبدالعزيز و إنما كان أحد أولاده.

و تدل بعض القرائن على أن وفاة عمر كانت قريبا من سنة ٢٥٠هـ ، و أن مدة حكمه لم تتجاوز ثلاث سنوات.

كما يؤخذ من الواقعة قصها بزرج بن شهريار عن ابنه عبد الله أنه كان حاكما على السند سنة ٢٧٠هـ.

و يتضح من كلام القاضى رشيد بن الزبير عن موسى بن عمران أنه كان موجودا فى سنة ٢٧١هـ و أنه كان قد أرسل الهدية التى ذكرناها سابقا إلى الخليفة المعتمد بالله فى هذه السنة.

و طبقا لكلام المسعودى عن حفيده عمر بن عبدالله فانه قد حكم فى سنة ٣٠٣هـ بنجاح.

أما كلا ولدى عمر بن عبدالله اللذين رآهما المسعودى فى المنصورة فلا ندرى هل حكما أم لا؟ و اذا كان فمتى ؟

نهاية الدولة الهبارية فى سنة ٤١٦ أو سنة ٤١٧ﻫ على يد السلطان محمود الغزنوى

دالت الدولة الهبارية و الحكومات الأخرى على يد السلطان محمود الغزنوى و قد كتب الامام ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ فى جمهرة الأنساب مايأتى :

و تداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم فى زماننا هذا أيام محمود بن سبكتكين صاحب ما دون النهر من خراسان (٣٣)

و قد أكد نفس العبارة السابقة العلامة ابن خلدون ، و اتفق مع الأثير فى كتابتها على أن نهاية الدولة الهبارية كان على يد السلطان محمود الغزنوى. و ان ذلك كان فى سنة ٤١٦ أو سنة ٤١٧ﻫ الاثير قد ذكر أن السلطان محمود الغزنوى هجم على ''سومنات'' فى نصف ذى القعدة سنة ٤١٦ﻫ ثم حمل على المنصورة بعد فتح سومنات و يقول :

قصد المنصورة وكان صاحبها قد ارتد عن الاسلام فلما بلغه مجئ يمين الدولة فارقها و احتمى بغياض أشية فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاط به و بمن معه فقتلوا أكثرهم و غرق منهم كثير و لم ينج منهم إلا القليل (٣٤)

كما ذكر ابن خلدون أن حاكم المنصورة كان قد ارتد عن الاسلام فهجم محمود الغزنوى على المنصورة ، فلما ذاعت الأخبار ، و وصلت إليه الأنباء ، احتمى بالأشجار ، و دخل بين الغابات و لكن جيوش السلطان أحاطت به ، و أخذت فى قتل أصحابه ، و من معه ،

حتى أفنتهم عن آخرهم ، و توجه السلطان الغزنوى بعد ذلك ''بهاتيا''
و هناك خضع له الناس و أعلنوا ولاءهم ، و طاعتهم فعاد إلى غزنة
فى صفر سنة ٤١٧ ه(٣٥)

حقيقة ارتداد صاحب المنصورة

إن قصة سلطان المنصورة ، و التصريحات المؤدية إلى القول
بارتداده عن الاسلام لأمر يدعو إلى العجب ، كما يدعو إلى النظر ،
و دقة البحث ، فمن المعلوم كما لمسنا سابقا من استعراض أحوال
ملوك المنصورة ، أنهم كانوا معروفين بالتقوى ، مشهورين بالتدين
و كانوا من أهل السنة و الجماعة بل إنهم كانوا يتشددون فى التقيد
بمذهب الإمام داؤد الظاهرى و كان هو المذهب الرسمى للدولة
الهبارية ، و له علماء أجلاء ، و قضاة و فقهاء هناك ، و قد ظلوا منذ
البداية ، و حتى النهاية ، متعلقين بالخلافة العباسية و علاقاتهم بمن
معهم من الهندوك و الرجوات و الحكام غير المسلمين طيبة للغاية مما
دعا راجا ''ألور'' إلى اظهار رغبته فى معرفة الاسلام و فهم رسالته
فأرسلوا له عالما فاضلا ، و فى نفس الوقت أسلم راجا من السند و أهدى
الى الكعبة تحفة قيمة .

و من كل هذا ندرك أن الحكام الهباريين كانوا منصرفين إلى الأعمال
الدينية الخالصة ، التى تشهد لهم بالفخر ، و أمام هذه الحقائق كيف
نستطيع تعليل قصة الارتداد هذه لانها ليست قرينة قياس ، فاذا كان
المقصود بالارتداد الاتجاه إلى المذهب الشيعى الاسماعيلى الباطنى ،
فان ذلك أيضا ليس بصحيح ، لان الاسماعيليين كانوا قد أحدثوا ثورة
فى الملتان و أنحائها و استخلصوا الحكومة هناك ، من بنى منبه فجاء
الغزنوى و استأصل شأفتهم ، فالقول بوجود حاكم شيعى أو باطنى
فى المنصورة ، بعد ذلك بعشرين عاما ، أمر غير يقينى بالمرة خاصة

و أن الشقة بين المنصورة و الملتان فى ذلك الوقت و أثناء تلك الحالات كانت و اسعة ، و لا نجد للباطنية فى المنصورة أى أثر أو خبر.

و لعل السلطان الغزنوى الذى كانت حكومته قد امتدت فشملت البنجاب ، و كشمير ، و السند و كجرات ، و أصبحت الحكومات العربية المستقلة فى الملتان و السند جزءا من تلك الحكومة ، و لم تظل منفصلة مستقلة عنه غير حكومة المنصورة ، قد دعاه لأن يفتش لها عن سبب يجوز الحاقها و ضمها فوصمت الحكومة السنية المتشددة هناك بالارتداد ، و من ناحية أخرى يمكن القول بأن السلطان الغزنوى قد أحس بالخطر من العلويين الذين كانت لهم ركيزة كبيرة فى المنصورة ، و شأن عظيم بها خاصة و أن من آبائهم و أجدادهم من كان له ضلع كبير فى الثورات التى قامت ضد العباسيين ، و أمامه أيضا ما أحدثوه من انقلاب فى الملتان ، و استيلاء على الحكومة فيها ، لذلك فكر فى ضرورة ضم تلك المنطقة إلى حكومته ، فأشاع و روج قصة الارتداد هذه ، و ذلك دأب أرباب الملك و المشتغلين بالسياسة و فن من فنونهم.

و إذا كانت حكومة آل هبار قد انتهت فى المنصورة ، فان أفراد تلك الأسرة قد انتشروا فى كل أنحاء السند كباقى القبائل العربية و انغمسوا فى الحياة مع أهلها ، فتفرع نسلهم فى كل مكان.

و لا نجد أى ذكر لأية شخصية قابلة للذكر من الأسرة الهبارية هذا الوقت ، اللهم إلا شيخ الاسلام بهاء الدين زكريا بن محمد الملتانى المتوفى سنة ٦٦٦ ه رحمه الله فهو الذى رفع منارة للعلوم و الفنون فى هذه البلاد من بعد ثلثمائة عام من حكم آل هبار ، و قد دلل هذا الهبارى الصوفى بدلقه و سجادته على بقاء و ثبات أثره بصورة أكبر و أعز من عروش و تيجان الحكام الهباريين ، فقد ظلت الملتان و ما حواليها إلى مدة طويلة من الزمن تضئ بنوره و تهتدى بالعلم و الفضل بسببه.

نظرة عامة على قيام الحكومة الهبارية

كتب العلامة المحقق المرحوم سيد سليمان الندوى فى كتابه "علاقات العرب و الهند" أن محمد بن القاسم قد أتم فتح بلاد السند و الملتان فى أواخر القرن الأول الهجرى، و ظلت المناطق التى فتحها كجزء تابع للخلافة فى دمشق أيام الاموين، و فى بغداد فى عهد العباسيين و فى وسط القرن الثالث الهجرى، و عقب خلافة المعتصم، أعلن كثير من الحكام و الولاة، الاستقلال بحكوماتهم، لما أصاب الخلافة من ضعف، و استطاع بعض الرجوات الهندوك الاستيلاء على بعض الجهات، كما تمكن بعض المسلمين من المحافظة على رئاساتهم، حتى حملة محمود الغزنوى و من بين تلك الحكومات التى كانت تعتبر كبيرة إلى حد ما بالنسبة لغيرها حكومتان : احداهما فى المنصورة، و ثانيتهما فى الملتان، و قد تحدث عنهما الرحالة العرب الذين وصلوا إلى هناك، حتى آخر القرن الرابع و قد ذكروا أن العرب قد استوطنوا المنطقة التى فتحوها فى السند و منهم من قبائل قريش، و كلب، و تميم، و أسد، و اليمن، و الحجاز، و استمرت حكومتهم قائمة حتى وسط القرن الثالث الهجرى، تأخذ من الملتان حتى البحر، و تسيطر على كل المنطقة حتى اشتعلت الحروب الأهلية بين اليمانيين و النزاريين فأدت فى النهاية إلى تخريبها، و خروج كثير من هذه البلاد من قبضتهم، و لم تبق سوى حكومتى المنصورة و الملتان، إلى وقت حملة الغزنوى.

و كانت بوادر بزوغ فجر الدولة الهبارية قد لاحت فى إبتداء عهد الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك و ذلك عند ما تقرر تعيين تميم بن زيد مكان الجنيد بن عبد الرحمن المرى، حاكما على السند، و كان ضعف تميم قد تسبب فى اختلال نظام الحكم فى السند، حتى أخذ الولاة و المسئولون فى كل من السند و الملتان فى ترك مراكزهم، و هجر

مدنهم ، فرفع الرجوات الهندوس رؤوسهم و تطلعواللاستيلاء على الحكم
و لذلك أصبحت هناك ضرورة ملحة لتعيين حاكم قوى ، فرأى هشام
بن عبدالملك بعد وفاة تميم اسناد الأمر إلى الحكم بن عوانة الكلبى فى
سنة ١٠٥ ه و قد اجتهد الحكم بمعاونة عمرو بن محمد القاسم فىالسيطرة
على البلاد و اصلاح أمورها ، و كان من أول الاعمال التى قام بها انشاء
مركز للقيادة العسكرية فى "المحفوظة" و أحكم تحصينها من كل
الجوانب و عمر المنصورة ، و اتخذها دارا للامارة ، و عاصمة للحكومة ،
حتى صارت فيما بعد مقرا للولاة ، و العمال الأمويين ، و العباسيين ، و قد
ركز الحكم كل طاقته فىالمنصورة ، و المحفوظة ، و حصل على فتوحات
فى السند ، و استرد المناطق التى كانت قد خرجت من أيدى المسلمين ،
فاطمأن العامة ، و عاشوا فى هدوء و أمان.

و لكن بعد مقتل الحكم لحق الضعف مرة أخرى بالحكومة
الأموية فى السند و عادت حالة الفوضى و الاضطراب ، والاختلال ،
إلى ما كانت عليه قبل و بعد مقتل الخليفة المتوكل ، استطاع الهباريون
الاستيلاء على المنصورة و إعلان حكومتهم فيها ، و كانت تسيطر على
كل منطقة السند ، و أعلن مؤسسها عمر بن عبدالعزيز الهبارى استقلاله
بالأمر ، و عمل على اقرار الأمن و حكم بنجاح كبير .

و كان من أكبر المؤثرات فى سوء الحالة فى بلاد السند الحروب
القبلية بين العرب بعضهم بالبعض ، فقد شاع الشقاق بين اليمنيين و
و الحجازيين أى بين النزارية ، و القحطانية ، ما أعطى فرصة للأعاجم
للدس و الفتنة و بث الفساد ، و بذلك نجحت دعوة الشعوبيين ، و كان
العلويون والخوارج و من يتعلق بها ، قد اتخذوا من السند مركزا
لتدبير المؤامرات ، و حاربوا ، و حاولوا سرا و جهرا ، من كرمان و
مكران إلى الملتان و فى وسط تلك التيارات و الفتن الداخلية و الخارجية
قامت حكومتا المنصورة و الملتان فأحدثتا نظاما جيدا و أمنا مستتبا.

استقلال الدولة الهبارية

يرى المؤرخون ، و الرحالة العرب أن الحكومة العربية التي قامت في البنجاب (الملتان) والأخرى التي قامت في المنصورة ، كانتا حكومتين مستقلتين و قد وصفوها دائما بهذه الصفة و كتب المسعودي ما يأتي :

و صاحب مملكة بلد الملتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤي بن غالب و كذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الأسود و الملك في هؤلاء و ملك صاحب الملتان متوارثان من صدر الاسلام . (٣٦)

و كان ملوك المنصورة مشهورين بلقب و نسبة خاصة ، يقول المسعودي

و يعرفون ببني عمر بن عبد العزيز و ليس هو عمر بن عبدالعزيز مروان الأموي (٣٧).

و قد لقب الزبير بن بكار و ابن حزم الحكم هناك (بالوالي) ، أما الاصطخري و ياقوت فقد استعملا لهم لفظ (ملك) ، و استعمل المقدسي لقب (سلطان) ، و المسعودي أطلق عليهم (ملوك المنصورة) و صاحب المنصورة .

الدعاء في الخطبة للخلفاء العباسيين

مع أن الحكام الهباريين كانوا مستقلين ، و لهم الحرية المطلقة ، و السيادة الكاملة في الداخل ، فانهم كانوا يرتبطون بالخلافة العباسية في بغداد و يخطبون باسمها ، و يدعون للخليفة فيها ، و كانوا يعتقدون أن ذلك أصلح لشأنهم ، و أدعى لثباتهم ، و استقرارهم ، على نحو ما كان في ذلك الوقت في العراق ، و الجزيرة ، و جهات أخرى من العالم الاسلامي ، في رجوعها كلها إلى مركز الخلافة .

و لما كان الهباريون من أهل السنة و الجماعة يقلدون مذهب الظاهر فانهم وقفوا مع الخلافة العباسية ضد العلويين ، و الخوارج ،

و الشيعة ، فى السند. و يصرح المؤرخون فى هذا ، بأن آل هبار كانوا يدعون فى خطبهم للخليفة العباسى ، و قد كتب الاصطخرى فى حق المنصورة :

و ملكهم من قريش يقال إنه من ولد هبار بن الأسود
تغلب عليها هو و أجداده إلا أن الخطبة للخليفة (٣٨)

كما كتب بشارة المقدسى :

و أما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعباسى(٣٩)

و قد صرح بعض المؤرخون و الرحالة بأن كل منطقة السند بما فى ذلك المحروسة ، و المقبوضة كانت داخلة تحت حكم بنى عمر بن عبدالعزيز بصفة حكامها نائبين عن الحكم الهبارى ، حتى إننا لنجد أنه عند ما بايع الخليفة المتوكل على الله ابنه محمد المستنصر بالله سنة ٢٣٥ھ بولاية العهد كانت هذه البلاد آنذاك تضم السند و مكران و قندابيل و فرج بيت الذهب (الملتان)(٤٠) على حين أنه عندما أسند الخليفة المعتمد ولاية العهد لابنه جعفر فى شوال سنة ٢٦١ھ فإننا لا نجد فى المرسوم الذى منحه اياه ، و كتبه له ، غير اسم "السند"(٤١) و السبب فى ذلك أن مكران و قندابيل و غيرها قد انفصلت ، و استقلت ، و صار حكامها لا يعترفون بنيابة الخلفاء العباسيين .

و لكن لما قامت الدولة الهبارية فى حدود سنة ٢٣٧ھ فانها كانت تقرأ الخطبة باسم الخليفة العباسى ، حتى إنها كانت تعد كجزء من الخلافة العباسية .

الخطبة باسم عضدالدولة

منذ ابتداء الحكومة الهبارية إلى نهايتها ، كانت الخطبة تجرى على اسم الخلفاء العباسيين فى بغداد ، و لكن حدث فى وسط ذلك أن دعى لعضد الدولة الحاكم الثانى لبنى بويه ، وهو ابن ركن الدولة بن بويه الديلمي المتوفى سنة ٣٧٢ھ .

و قد كتب بشارة المقدسى :

و أما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعباسى و قد كانوا خطبوا على عضد الدولة و رأيت رسولهم قد وافى إلى ابنه و نحن بشيراز(٤٢)

و يظهر من بعض العبارات فى حواشى أحسن التقاسيم أن الدعاء لعضد الدولة لم يتعد المدن الساحلية فى السند ، و أن أحد أبناء عمر بن عبدالله كان قد ذهب إلى شيراز عند ابن عضد الدولة يطلب معونته لأن غلاما قد خرج ضد الحكومة الهبارية فى المنصورة ، و قد سبق القول بأنه فى عهد عبدالله بن عمر ثانى الحكام الهباريين خرج غلام من بنى كندة و يدعى أبوصمة لغزو المنصورة و الاستيلاء عليها ، و أن عبدالله بن عمر حاربه ، و أجلاه عنها ، و بناء على هذا فيمكن القول بأن الدعاء فى الخطبة باسم عضد الدولة كان فى هذه الأثناء سنة ٣٧١ھ تقريبا .

و فى عام ٣٦٨ھ أمر الطائع بالله تحت ضغط الديلميين أن يخطب على جميع المنابر باسم عضد الدولة فى جميع دور السلطنة (٤٣) و يمكن أن يكون قد دعى له كذلك فى المنصورة ، فى هذا الوقت و هى التى فى الحقيقة فى طاعة الخليفة العباسى ، و كان قد دعى بالكوفة فى سنة ٣٧٥ھ باسم عضد الدولة بدلا من عز الدولة ، و الغرض أنه قبل المقدسى يعنى سنة ٣٧٥ھ لم يخطب باسم عضد الدولة ، و عند ما وصل المقدسى السند كان يخطب للسلاطين العباسيين فى المنصورة .

و يتضح من بعض الروايات أن أحد الحكام الهباريين كان يخطب و يدعو لنفسه ، فقد كتب أبو دلف الينبوعى البغدادى عن حالات المنصورة ما يأتى :

''والخليفة الأموى مقيم بها يخطب لنفسه'' (٤٤)

و قد أخطا أبودلف فى تعبيره بالخليفة الأموى ، فانما هو أحد الحكام الهباريين يحيى بن محمد صاحب المنصورة ، لأن أبا دلف كان

فيما بين سنة ٣٣١ ه الى سنة ٣٧١ ه اذا صحت هذه المعلومات التى ذكرها أبودلف.

كما يتضح كذلك من الهدايا و التحف القيمة التى أرسلها موسى بن عمر بن عبدالعزيز الهبارى للخليفة المعتمد فى سنة ٢٧١ ه كما صرح بذلك القاضى رشيد بن الزبير و التى تدل على مدى صفو العلاقات بين الهباريين و الخلفاء العباسيين .

الخلفاء العباسيون الذين دعى لهم فى الخطبة فى عهد الهباريين

على امتداد مائة و سبعين سنة من سنة ٢٤٧ إلى سنة ٤١٧ ه هى فترة حكم الهباريين فى المنصورة بلغ عدد الخلفاء الذين دعى لهم فى الخطبة (١٥) خمسة عشر، آخرهم الخليفة أبوالعباس القادر بالله أحمد المتوفى سنة ٤٢٢ ه ، والذى دامت خلافته (٣١) احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، على حين أن غيره ممن سبقه من الحكام كان قصير العمر فى الحكم و فيما يأتى أسماء هؤلاء الخلفاء :

(١) المنتصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل
— المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٢٤٨ ه .

(٢) المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المتوكل—خلع سنة ٢٥٢ ه .

(٣) المعتز بالله أبو عبدالله محمد بن المتوكل
—المتوفى فى شعبان سنة ٢٥٥ ه

(٤) المهتدى بالله أبو محمد اسحاق — المتوفى فى سنة ٢٥٦ ه .

(٥) المعتمد بالله أبوالعباس أحمد بن المتوكل—المتوفى فى سنة ٢٧٩ ه.

(٦) المعتضد بالله أبو العباس أحمد — المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٢٧٩ ه.

(٧) المكتفى بالله أبو محمد محمد — المتوفى فى ذى القعدة سنة ٢٩٥ ه.

(٨) المقتدر بالله أبوالفضل جعفر — قتل فى سنة ٣٢٠ ه.

(٩) القاهر بالله أبو منصور محمد — خلع سنة ٣٢٢ ﻫ .

(١٠) الراضى بالله أبو العباس محمد — المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ﻫ.

(١١) المتقى بالله أبو اسحاق ابراهيم — خلع فى محرم سنة ٣٣٣ ﻫ.

(١٢) المكتفى بالله أبوالقاسم عبدالله— ,, ,, سنة ٣٣٤ ﻫ .

(١٣) المطيع لله أبوالقاسم فضل — ,, ,, سنة ٣٦٤ ﻫ.

(١٤) الطائع بالله أبو بكر عبدالكريم—,, ,, سنة ٣٨١ ﻫ.

(١٥) القادر بالله أبوالعباس أحمد — المتوفى سنة ٤٢٢ ﻫ .

العلاقات الخارجية لحكام المنصورة

عرفنا أن ملوك المنصورة كانوا يدعون فى الخطبة للخليفة العباسى و يعودون إليهم فى بعض أمورهم ، و لكنهم كانوا مستقلين استقلالا تاما فى الشئون الداخلية ، و الخارجية ، و كانت لهم علاقات ببعض الممالك تكشف عن مدى شهرتهم ، و عظمتهم ، و من بين تلك العلاقات التى تستحق الذكر تلك الصلات التى كانت قائمة بين آل هبار ، و آل ابن أبى الشوارب فى بغداد و قد كتب المسعودى :

و بين ملوك المنصورة و آل ابن أبى الشوارب القاضى قرابة و صلة نسب(٤٥)

و كان ابن أبى الشوارب قاضى القضاة فى بغداد ، و كانت أسرته فى عهد العباسيين هى التى تتضلع بعلوم الدين ، و كان أثرهم و قدرهم فى صف طبقة الحكام و توارثوا منصب القضاة عن جدهم الأمجد عتاب بن أسيد رضى الله عنه ، الذى كان الرسول قد أسند إليه القضاء فى مكة عقب فتحها ، و يظهر من وجود تلك العلاقات على المستوى القائم بينها آنذاك ، مدى اعتزازهم بهم ، كما تكشف عن معيار ارتفاع حياتهم الدينية و العلمية .

وكان آل بويه فى هذا الوقت يتمتعون بقوة ، وشوكة ، حتى آلت اليهم جميع أمور الخلافة من أسودها وأبيضها ، بعد أن استولوا على مركزها بغداد ، وكان للحاكم الثانى عضدالدولة علاقات بالهباريين وقد أشرنا قبل هذا إلى ما ذكره بشارة المقدسى من سفر مندوب من المنصورة إلى عضد الدولة فى شيراز(٤٦).

وقد طوقت شهرة الهباريين الآفاق و وفد إليهم وعلى بلادهم حكام وأمراء دول أخرى ، يقول المسعودى :

و رأيت بها رجلا سيدا من العرب و ملكا من ملوكهم و هو المعروف بحمزة (٤٧)

المراجع

(١) جاء فى جمهرة أنساب العرب للامام ابن حزم طبعة مصر ص ١١٩ ما يأتى : و هبار هذا كان يهجوالنبى صلى‌الله عليه و سلم أيام كفره فلما أسلم محا كل ذلك بمدحه و حسن اسلامه .

(٢) وهوالذى نخس زينب بنت الرسول اذا حملت من مكة الى المدينة فأسقطت جنينا ــ أنظر الاصابة ٨٩٣٠ و فى السيرة ٤٦٧ فروعها هبار بالرمح و هى فى هودجها و كانت المرأة حاملا فيما يزعمون فلما ريعت طرحت ما فى بطنها .

(٣) الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ٣ ص ٥٦٧ طبع مصر .

(٤) و فى جمهرة أنساب العرب للامام ابن حزم طبعة مصر ص ١١٩ ما يأتى : و اسماعيل بن هبار هو الذى قتله مصعب بن عبدالرحمن بن عوف و قتل معه قوم غيلة.

(٥) كتاب المجرص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، طبع حيدر آباد .

(٦) فتوح البلدان ص ٤٣٢ ، طبع مصر .

(٧) هى ”بانية“ التى كانت تبعد عن المنصورة بمسافة قليلة .

(٨) قرقسيا : بلد على نهر الخابور كذا وردت في الأصول بباء واحدة و الذي ذكره ياقوت وكذا القاموس أنها تقال بباء واحدة يعني الباء الأولى لا الثانية ، و أنشد ياقوت لذلك :

لعن سخطه من خالق أولشقوة

تبدلت قرقسيا من دارة الردم

(٩) جاء في جمهرة انساب العرب ص ١١٨ طبع مصر ما يأتي : فمن ولد هبار الشاعر بن الاسود عمر بن عبدالعزيز بن المنذر بن الزبير بن عبدالرحمن بن الاسود صاحب السند وليها ابتداء الفتنة اثر قتل المتوكل و تداول اولاده ملكها الى أن انقطع امرهم في زماننا هذا ايام محمود بن سبكتكين صاحب ما دون النهر من خراسان وكانت قاعدتهم المنصورة و كان جده المنذر بن الزبير قد قام بقرقسيا ايام السفاح فأسر و صلب.

(١٠) فتوح البلدان ص ٤٣٢.

(١١) كتاب الذخائر و التحف ص ١٨٥ طبع الكويت.

(١٢) جمهرة انساب العرب ص ١١٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩٩.

(١٤) نسب قريش ص ٢٢٠.

(١٥) جمهرة انساب قريش ج ١ ص ٥٢٠.

(١٦) جمهرة انساب العرب ص ١١٨.

(١٧) كتاب صور الارض بحوالة رجال السند و الهند.

(١٨) المسالك و الممالك ص ١٧٣.

(١٩) جمهرة انساب قريش.

(٢٠) كان هذا شائعا بين العرب و قد تكلم عن ذلك شارحو احاديث عند الكلام على قول الرسول في غزوة حنين "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب" و أخذوا من ذلك جوازه شرعا.

(٢١) تاريخ اليعقوبي بحوالة رجال السند و الهند ص ١٨٠.

(٢٢) جمهرة انساب العرب.

(٢٣) عجائب الهند طبع أوروبا ورجال السند و الهند ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ و فيه كذلك ان مهروق بن رابق كان من رجال المائة الثالثة.

(٢٤) كتاب الذخائر و التحف ص ٣٧ طبع الكويت.
(٢٥) مروج الذهب ج ١ ص ٩٩.
(٢٦) مروج الذهب ص ١٦٧.
(٢٧) الفرسخ السندى يساوى ثمانية أميال.
(٢٨) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٧—١٦٩.
(٢٩) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٨، ٤١٩ طبع مصر.
(٣٠) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٨، ٤١٩.
(٣١) جمهرة انساب قريش.
(٣٢) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٧١.
(٣٣) جمهرة انساب العرب ص ١١٨.
(٣٤) تاريخ الكامل ج ٩ ص ١١٩.
(٣٥) تاريخ ابن خلدون.
(٣٦) مروج الذهب ج ١ ص ٩٩.
(٣٧) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٥.
(٣٨) المسالك و الممالك ص ١٧٣.
(٣٩) احسن التقاسيم ص ٤٨٥.
(٤٠) الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٦.
(٤١) الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٩١.
(٤٢) احسن التقاسيم ص ٣٨٥.
(٤٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ذكر الطائع لله.
(٤٤) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩.
(٤٥) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨.
(٤٦) احسن التقاسيم ص ٣٨٥.
(٤٧) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٧.

Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 6:2 (1971)

الحكومات العربية في الهند و السند

(٤)

تأليف : القاضي أطهر مباركپوری

ترجمة : الأستاذ عبد العزيز عزت عبد الجليل

العلويون في المنصورة و حالة الأمن

كان الهباريون حجازيين ، و جدهم و عميدهم عمر بن عبد العزيز الذى انحاز للحجازيين في مقابلة اليمنيين بالسند أيام الفتن ، و قد طاب للحجازيين الاقامة في السند فاستوطن كثير منهم هناك ، كما وجد العلويون من بلاد السند ملجأ طيبا لهم ، لأنهم كانوا يحسون الخطر من الخلافة العباسية ، و كان الهباريون يحبون العلويين ، فأفسحوا لهم صدورهم و وسعوا أمامهم المجال ، فكثروا في المنصورة ، و كان أغلبهم ممن ينتمى لعلى بن أبى طالب .

و قد كتب المسعودى : " وبها خلق من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم من ولد عمر بن على و ولد محمد بن على(١) " .

النظام والأمن الداخلي و الخارجي

من استعراضنا السابق ، يتضح أمامنا أن منطقة السند قبل عهد الهباريين كانت ميدانا للثورات ، ومرتعا خصبا للانقلابات ، و أن الخلافات القبلية بين العرب قد أخذت صورة الحرب الأهلية ، التى أريقت فيها الدماء ، و كان

---

١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨ .

الشيعه" العلويون يقضون حياتهم فى قلق و لكن الحال تغير بقيام الدوله" الهباريه" فعاد إلى البلاد كل من كان قد تركها ، أو نزح عن داره ، و ترك مركزه ، و نعمت كذلك الولايات الهندوسيه" المجاورة للمنصورة بالأمن والطمأنينه" ، خاصه" حكومه" '' ألور ''.

و قد كان تدين الهباريين ، و ورعهم ، و سيرهم ، فى إدارة البلاد على هدى من الدين و عمل بالاسلام ، مما له أكبر الأثر ، فعم الأمن والأمان ، و فشا العدل والانصاف ، والرخاء و شعر أهل السند لأول مرة بذلك فتعلقت نفوسهم و قلوبهم بالحكم الجديد ، و قد لخص لنا ابن حوقل تلك الصورة فى عبارته الاتيه" : '' و ساسوهم سياسه" أوجبت رغبه" الرعيه" فيهم وايثارهم على من سواهم غير أن الخطبه" لبنى العباس(١)''.

و لهذا لانجد أى دليل على قيام ثورة صغيرة ، أو كبيرة ، طوال مدة الـ ١٧٠ (مائه" و سبعين سنه") ، من سنه" ٢٤٧ إلى سنه" ٤١٧هـ ، هى مدة حكم الهباريين .

ثورة والقضاء عليها

غير أنه فى بدايه" الدوله" قامت ثورة صغيرة ، استطاع الحاكم الموجود فى هذا الوقت اخمادها ، و من المناسب أن نذكر شيئا من التفصيل عن تلك المحاوله" ، فنقول : إنه فى أول حكم آل هبار وصل إلى السند غلام من بنى كندة ، يدعى أبوصمه" من العراق مرافقا للحاكم العباسى داؤد بن يزيد بن حاتم ، و عمل على الاستيلاء على السلطه" ، و فى ذلك كتب البلاذرى :

---

١) كتاب صورالارض بحواله" رجال السند والهند ص ١٨٠.

'' و كان معه أبوصمة المتغلب اليوم و هو سولى لكندة (١) ''.

و من تلك العبارة يتضح أن ذلك كان بعد منتصف القرن الثالث ، لأن عام تصنيف كتاب فتوح البلدان هو ٢٥٥ھ و أن أباصمة كان قد استولى على منطقة ما فى بلاد السند ، ثم حاول فى سنة ٢٧٩ھ الاستيلاء على المنصورة أثناء حكومة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهبارى الذى استطاع أن يخرجه و بعد تلك الواقعة قرر الانتقال من '' بانيه '' مقر سكن آبائه وأجداده واستقل بالمقام فى المنصورة ، التى تبعد عن بانيه بفرسخ واحد ، و بعد تلك الحادثة لم نسمع عن وقوع أى ظاهرة أخرى من هذا القبيل ، أو أية اضطرابات تخل بالأمن ، أو تدعو لعدم الاطمئنان.

و عند ما توجه السلطان محمود الغزنوى نحو المنصورة تأهبت الحكومة هناك ووقفت فى الميدان ، و كانت الفتن آنذاك قد نخرت فى مكران و كرمان ، و تعدت إلى الملتان ، و عمت ثورات العلويين كل طرف وناحية ، وصار لدعاتهم و مبلغيهم مراكز كثيرة فى تلك الجهات ، و لما استولى الاسماعيليون على زمام الحكم فى الملتان ، انبثقت من هناك الدعوة الباطنية الاسماعيلية ، ودعى فى الخطبة باسم الحكام الفاطميين فى افريقيا ، و كان للخوارج مجهودات لا تقل أثرا أو خطرا و قد تمركزوا فى طوران ، و قزدار ، و مكران ، و قندابيل ، واستطاع الخوارج اقامة حكومة لهم فى قزدار ، واريقت هناك دماء القرامطة ، وزاد من سوء الحالة النزاع القبلى بين العناصر العربية ، و لكن يقظة الحكام الهباريين قضت على كل تلك الثورات ، و هذا عمل خالد يحفظه لهم التاريخ

---

١) فتوح البلدان ص ٤٣٢ ،

لقد كان الهباريون يقلدون مذهب أهل الظاهر ، و يتبعون داؤد الظاهرى و تشددوا فى ذلك كالحنابلة ، وكان بجوارهم فى طوران و قزدار الخوارج المتشددون و فى جانب آخر الشيعة الباطنية الذين كانوا قد خلفوا بنى سامة فى الملتان ، و فىالمنصورة عدد وافر من العلويين ، و وسط كل هذه التيارات لم تحدث أى مشاغبات من ناحية أى جماعة من أولئك ، هذه ميزة للحكومة الهبارية و لا يمكن لأى حكومة أخرى أن تنافسها فيها من الحكومات المعاصرة لها كما لا يتأتى لاى مؤرخ انكار حسن سياستهم ، وجودة تدبير أمور حكومتهم .

خطر عارض و قتل الأتراك

و كان بينهم و بين آل بويه علاقات أخوية ، و صداقة و مودة ، و لهذا لم يسمحوا المتمردين و الثوار ضدهم باللجوء إلى بلادهم ، أو أن يتخذوا منها كهفا يأوون اليه ، و كانوا يعتقدون أن الثوار على حكومة الديلميين يشكلون خطرا عليهم . و قد كتب الوزير أبو شجاع محمد بن حسن ظهير الدين روذراورى المتوفى سنة ٤٨٨ فى حاشية تجارب الأمم: أن صمصام الدولة الديلمى قد أمر فى سنة ٣٨٥ بقتل الأتراك الذين لجأوا إلى بلاد فارس فصارت لهم هناك مذبحة عامة فى شيراز ، ولذلك قامت ثورة كبيرة فى هذه المنطقة من بلاد فارس ، فأدبهم صمصام الدولة و تعقبهم حتى أجلاهم الى كرمان ، ولما لم ينعموا هناك بالأمن ، استأذنوا حاكم السند فوفدوا عليهم فقتلهم و فى هذا الشأن كتب صاحب ذيل تجارب الأمم مايأتى : " فدفعتهم الضرورة إلى قصد بلاد السند و استأذنوا ملكها فى دخول بلده و أظهر لهم القبول و خرج لاستقبالهم و رتب أصحابه صفين و رجاله و داقفهم على الايقاع بهم اذا دخلوا

بينهم ففعلوا ذلك و لم يفلت منهم الا نفر قليل حصلوا بين القتلى و هربوا تحت الليل(١) ،،.

و لعل هؤلاء كانوا قد أرادوا المجئ إلى السند لاحداث فتن و قلاقل بها كما فعلوا مع حكومه آل بويه من اضطراب فيها و تخريب فى أرضها ، ولذلك قضى عليهم بذلك.

القوة الحربيه و الأفيـال

و فى سبيل القضاء على الفساد و المفسدين من أرباب الفتن ، اهتم آل هبار بالجيش ، فأحكموا نظامه ، ودعموا قوته ، و يمكن تقدير تلك القوة من بيان المسعودى الاتى : '' ولملك المنصورة فيله حربيه هى ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائه راجل وأنه يحارب ألوفا من الخيل على ما ذكرنا(٢)،،.

و كان من بين تلك الفيله الحربيه الفيلان اللذان ذكر نا هما و هما سنفرقليس و حيدرة و كان اذا خرجت الأفيال تقدمها سنفرقلس و من ورائه حيدرة ، ثم كل الفيله و كان من عادة الحكام و المهراجات فى انزال الأفيال إلى ساحات القتال ، و سيادين الحرب ، أن يعمد إلى أقواها فتحدد أنيابه ويشد خرطومه ، و تغطى كل مقدمته بالدروع ، و يلف جسمه بها ، و يسير معه خمسمائه جندى ، و يكفى ذلك لمنازله مابين خمسة أو سته آلاف فارس ، فيكر و يفر ، و يقتحم صفوفهم ثم يخرج منها ، و هكذا على نحو ما كان يروح

---

١) ذيل تجارب الامم ص ٢٦٤، ٢٦٥.

٢) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨.

فى الحروب بالأفيال وقتها(١).

وبناء على هذا فيمكن لنا بعملية حسابية تقدير مدى القوة الحربية لتلك الحكومة الهبارية التى كانت تملك ثمانين فيلا كل واحد منها يلزمه خمسمائة مقاتل فهذا يعنى أن جملة المحاربين بالفيلة يبلغ أربعين ألفا.

الآلات الحربية و الأسلحة

كانت السيوف و النبال هى الالات الحربية العامة المستعملة فى هذا الوقت، و لكن ما هى آلات الحرب التى كان يملكها الهباريون ؟و يحاربون بها؟ لعلهم قد استعملوا نفس الأسلحة التى كان يستعملها الولاة العباسيون فى السند من قبلهم.

و قد كتب القاضى رشيد بن الزبير عن العثور على آلات حربية فى مخازن حاكم المنصورة عمران بن موسى البرمكى الذى قتل فى ذى الحجة سنة ٢٢٧هـ عبارة عن الأشياء الاتية :

(١) سبعمائة سيف هندى مدهونة و مطلية بالزيت.

(٢) دروع.

(٣) ألبسة حربية من أجود الأنواع و أعلى الأقسام.

(٤) دروع تبتية للصدر.

(٥) دروع أخرى واقية للصدر.

(٦) دروع لوقاية الجانب.

(٧) دروع أخرى حافظة للأرجل.

---

١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٦، ١٦٧.

(٨) خوزات للرأس.

(٩) دروع للخيل.

و فضلا عن كثير مما لم يتناوله العد، و يظهر من هذا أنهم كانوا يستعملون تلك الأنواع من الأسلحة"(١).

الصلح مع الحكومات المجاورة

و يبدو أن فترة حكم الهباريين كانت فترة صلح و مصالحة" وهدوء و ان كانت قد حدثت فى عهد حاكمهم الثانى محاولة" أبى صمه" التى تكلمنا عنها، و كان يعاصر الهباريين حكام الملتان الأقوياء، من بنى منبه و لكن لم تقع خلافات بينهما، نظرا لتوافق سياستهما، و كون الطرفين من أهل السنه" و الجماعه" و قد استطاع الهباريون تجنب احتكاك حكومه" ،، ألور،، الهندوكيه" بهم على خلاف ما كان بين راجا قنوج، وبنى منبه فى الملتان، فان الهباريين أمنوا ذلك الجانب بكياستهم و سياستهم، و لكنهم استمروا يقاومون الميد على سواحل السند.

محاربه" الميد

على المناطق الساحليه" من بلاد السند حتى بلاد الهند كان ينتشر قوم يعرفون بالميد قراصنه" بحار، ولصوص سفن، و كتب الاصطخرى:

إنه يوجد على حدود الهند قوم يسمون الميد، و آخرون يدعون البدهه" و إن الميد ينتشرون على كل السواحل من الملتان إلى نهر

---

١) كتاب الذخائر والتحف ص ١٨٧.

السند ، أما المنطقة التى كانت تقع بين قامهل و نهر السند فانها هى مراعيهم و سكناهم و هم عدد كبير (١).

و لم تقتصر قرصنة الميد و سرقاتهم على سواحل السند والهند فقط ، بل امتدت إلى سقوطرة فى بحر العرب ، و قد ذكر المسعودى أنه فى سنة ٣٣٢ﻫ كانت سفن اللصوص الهنود تأتى حتى سقوطرة لسرقة سفن التجار المسلمين و قطع الطريق على السفن المتجهة للهند و الصين ، على نحو ما كان يفعل القراصنة الأوربيون فى البحر الأبيض المتوسط ، فى الحملات على السفن الاسلامية و نهبها (٢).

و قد ظل أولئك القوم الاشرار ينازعون الهباريين ، و يقلقون راحتهم و فى ذلك كتب المسعودى : "و فيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم الميد و هم نوع من السند و غيرهم من الأجناس و هم ثغر السند (٣).

و لكن بفضل مقاومة الهباريين لهم ، و محاربتهم إياهم ، و مكافحة خطرهم ، أمنت التجارة البحرية ، و سارت فى طريقها فى أمن منهم ،

المذهب الرسمى للحكومة الهبارية

حصل عهد الهباريين من ناحية الدين على مركز رفيع ، فكانوا بأنفسهم سنيون مقلدون ، مطيعون للخلافة العباسية ، و بينهم و بين

---

١) مسالك الممالك ص ١٧٦.

٢) مروج الذهب ج ا ص ٢٠.

٣) مروج الذهب ج ا ص ١٦٨.

أسرة" قاضى القضاة" ابن أبى الشوارب علاقات قديمة" ، و لكنا لم نجد ما يكشف عن مسلكهم الفقهى ، ولكن يظهر من بعض القرائن القويه" أنهم كانوا يتبعون الامام داؤد الظاهرى المتوفى سنه" ٢٧٠هـ ، الذى انتشر مذهبه فى القرن الرابع الهجرى فى شرق العالم الاسلامى ، و أخذ مكانه" المذهب الحنبلى مما دعا المقدسى إلى عد مذاهب أهل" السنه" الأربعه" على الوجه الاتى :

الحنفيه" و المالكيه" ، والشافعيه" ، و الداؤديه" ، بدون ذكر للحنبليه"(١). و كتب عن مذاهب أهل السنه" أن كثيرا منهم من أصحاب الحديث ، و أنه قابل القاضى أبا محمد المنصورى و كان داؤدى المذهب ، و اماما فيه صنف عنه كتبا عديدة جيدة.

أما اهل الملتان فكانوا من الشيعه" ، و لكن المدن الكبيره" لم تخل من الفقهاء الأحناف و ليس بها مالكيه" أو معتزله" أو حنبليه" و أن المسلمين هناك يسيرون على مسلك طيب ، و تمسكهم بدينهم يستحق الثناء ، خاصه" و أنهم تجنبوا الغلو فيه ، و التعصب له (٢).

و لم ينحصر المذهب الظاهرى فى بلاد السند ، أو المنصوره" فقط ، و انما تجاوز تلك المنطقه" فأخذ حظه فى اقليم فارس ، و تولى العلماء الظاهريون مناصب القضاء و غيرها ، و كان عضد الدوله" من المعتنقين لهذا المذهب و قد كتب المقدسى : ان مدارس الفرقه" الداؤديه" فى

---

١) احسن التقاسيم ص ٣٧.

٢) احسن التقاسيم ص ٤٨١.

اقليم فارس و لهم فيها مجالس ، و هم كثرة ، و علماء الظاهر قابضون على مناصب القضاء و الاعمال الاخرى ، و ان المعتضد بنفسه من المقلدين لهذا المذهب (١).

و غرضنا من ذلك ايضاح أن المذهب الظاهرى كان له مقام فى كل من السند و فارس فى وقت واحد ، و أن الظاهرية قد شاعت علومهم ، و فنونهم ، و امتد مذهبهم إلى بلاد أخرى مجاورة ، فراج فى عمان وصارت لهم فيها مدارس و مجالس (٢) ، و كان العلماء الظاهريون مسيطرين على مناصب القضاء كذلك فى السند و قد ذكر المقدسى أن قاضى المنصورة فى وقته وهو أبو محمد الداؤدى كان يعتبر امام المذهب الداؤدى فى هذه الفترة ، و له مصنفات جيدة متعددة ، كما أن أبا العباس احمد بن محمد التميمى المنصورى كان قاضيا و ألف عدة كتب.

و كان اقليم السند يتبع المذهب الحنفى ، و كان هو المذهب الغالب ، و قد كتب ياقوت: أن المذهب الغالب فى أهل السند هو مذهب الامام أبى حنيفة (٣).

القضاء و اجراء القصاص

سبق لنا القول أن الهباريين كانوا أهل دين ، و أنهم ساسوا مملكتهم على هدى منه ولذلك نفذوا حدوده ، و ساروا على دستوره ، فأقاموا الحدود ، و طبقوا التعزيرات فى كل أنحاء البلاد ، و فى ذلك كتب أبو دلف عن حاكم

---

١) احسن التقاسيم ص ٤٣٩.
٢) احسن التقاسيم ص ٩٦.
٣) معجم البلدان ج ٥ ص ١٥١.

المنصورة فى زمنه ما يأتى : و يقيم الحدود (١).

أثر ديانة الهباريين و معاملتهم للرعايا من غير المسلمين

و كان الجمهور العام فى السند من غير المسلمين ، ممن يعبد الأوثان و مع هذا فبحسن سياسة الهباريين عاش الجميع فى سلام ، و زالت من أدمغة كثير من الناس المعانى الخاطئة عن الاسلام ، و تبدلت نظرتهم إلى الاسلام و المسلمين و من أول هؤلاء راجا مهروق حاكم ألور ، و حاكم آخر و هو الذى أهدى للكعبة نذرا (٢).

اللباس الملكى

و على الرغم من تقيد الحكام الهباريين بالدين ، و تمسكهم بمذهب أهل السنة فان لباسهم و زيهم كان يشبه إلى حد كبير لباس الرجوات الهندوك و حديثهم و كلامهم لا يظهر فيه فرق كبير و كتب الاصطخرى : ،، و زيهم زى أهل العراق إلا أن زى ملوكهم يقارب زى ملوك الهند من الشعور و القراطق (٣) ،،.

و كان من عادة رجوات الهند اطالة الشعر ، وارتداء الجلباب و كذلك كان يفعل السلاطين الهباريون .

---

١) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩.

٢) ذكرالفاكهى أنما أهدى الى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت مع ياقوتة خضراء أرسله ملك السند لماأسلم فى سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض امره على المعتمد على الله فامر بتعليق مافى البيت الشريف فعلقت "الاعلام باعلام بيت‌الله الحرام" نسخة خطية بمكتبة الازهر،

٣) مسالك الممالك ص ١٧٢.

الــــوزارة

من الضرورى لكل حكومة من وزارة ، و قد كان للهباريين شعبة مستقلة للوزارة كانت تسند إلى الاكفاء ، و أصحاب الرأى والفطنة ، و قد مر بنا كلام المسعودى من ذكر مقابلة للوزير رباح فى المنصورة(١).

العملة و الأوزان و الغلات

كانت العملة الرائجة المشهورة فى عهد الهباريين تسمى '' قاهريات ،، وتفوق قيمتها الدراهم العادية المعروفة ، فالقاهرى الواحد كان يساوى خمسة دراهم ، كما كانت هناك عملة أخرى رائجة أيضا تسمى '' طاطرى ،، و كل طاطرى يساوى درهيمن من الدراهم العادية العامة و كان عليها تصوير ، و فضلا عن رواج تلك العملتين ، القاهرى و الطاطرى ، فقد كان للدينار بجانبهما رواج و عموم(٢).

و لم تقع أعيننا على أى ذكر للأوزان و المكاييل و المقاييس السائرة فى الحكومة الهبارية و لكن المقدسى قد كتب بعد ذكره للسير المكى: ''ان هذا السير رائج فى المنصورة و الملتان و الهند فيقول :'' و منهم بطوران مكى و كذلك بالملتان و السند و الهند ،،(٣).

كما كتب أنه كان يروج فى طوران وزن أو كيل يطلق عليه ''كيجى،، يساوى أربعين سيرا بالسير المكى ، و ثمن كيجى واحد من القمح مابين أربعة دراهم إلى ثمانية ، كما كان بالملتان وزن يطلق عليه ''سطل،، و كان يساوى

---

١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٧.
٢) احسن التقاسيم ص ٤٨٢.
٣) احسن التقاسيم ص ٤٨٢.

اثنی عشر سیرا قمحا ، و الغالب أن هذه الأوزان كانت هی الرائجه فی المنصورة ولا یتضح لنا مقدار ما كان تحصل علیه الدوله الهباریه من ضریبه الجمارك إلا أننا نستطیع تقدتر ذلك من جمارك الدول المجاورة لها و قد كتب المقدسی عن ذلك فمن شاء ذلك فعلیه بمصادره.

حدود الدوله و الأماكن المشهورة

ذهب الجغرافیون القداسی إلی أن اقلیم السند یقع فی شرقه بحر العرب و فی الغرب صحراء كرمان و سجستان ، و فی الشمال بلاد الهند ، و فی الجنوب صحراء بلوجستان و مكران.

و قد قسم بشارة المقدسی إقلیم السند إلی خمس مناطق ، وعد أكبر المدن فی السند علی الوجه الاتی : المنصورة وهی دار السلطه ، الدیبل ، زندریج ، كدار، مایل ، تنبلی ، نیرون قالری ، انری ، بلری ، مسواهی ، بهرج ، بانیه ، منجابری ، سدوسان الرور (ألور) سوبارة المتصله ببوسبای ، كیناص، صیمور (بوسبائی) (١) كما عد الاصطخری اقلیم السند علی هذا الوجه ولكنه كتب بدلا من نیرون بیرون، ولم یعد سوبارة وصیمور من بلاد السند(٢). و ذكر أن هناك حكومات مستقله معاصرة للدوله الهباریه فی نواحی السند ، حكومه بنی منبه فی الملتان ، و آل المغیرة فی قصدار ، و آل معدان فی مكران ، ولكنها جمیعا لیس لها من الأهمیه ما لحكومه الهباریین فی المنصورة.

و قد بلغ من سعه هذه الدوله ما نلمحه من تصریح المسعودی الاتی:
" و جمیع ما للمنصورة من الضیاع والقری یضاف إلیها ثلثمائه ألف قریه

---

١) احسن التقاسیم ص ٤٧٦ - ٤٧٧.
٢) مسالك الممالك ص ١٧١.

ذات زروع و أشجار و عمائر متصله"(١)،،.

و هذه هي سعتها في البر ، وأما سعتها في المناطق البحريه" فلا تقل عن ذلك ، فقد كانت كل المنطقه" الساحليه" من الديبل إلى سوبارة وصيمور تحت حكم الهباريين ، وبناء على ذلك فانهم يكونون قد حكموا كل السند برا و بحرا، وقد كتب أبو دلف عن يحيى بن محمد صاحب المنصورة : ،، و يملك السند كله بره و بحره ،،(٢).

وبناء على هذا فقد قامت الدوله" الهباريه" في المنصورة و سيطرت على جميع منطقه" السند ، برطبها ويابسها ، وضمت بين جنباتها ثلثمائه" ألف قريه" و ضيعه" على الأقل ، كان أغلبها يتصل بعضه ببعض أو يفصل بينها مسافات قليله" على نحو ما هو موجود في زماننا الان من ضياع الرأسماليين والاقطاعيين

و مع أن مدينه" ،،فهرج،، كانت خارج حدود السند، فانها كانت تتبع الدوله" الهباريه" و كانت مدينتا صيمور و سوبارة تعدان من بلاد الهند ولكنهما كانتا تتبعان الحكومه" الهباريه" في المنصورة و كان هناك حكام محليون في بعض مقبوضات الدوله" الهباريه" يستقلون بالحكم فيها على شرط التزامهم بتأديه" الخراج ، و بعض الالتزامات الأخرى ، على نحو ما كان موجودا في الهند أيام الاحتلال الانجليزى ، و تحت هذا الشعار كانت تسير حكومه" ،، الور،، مع حكومه" المنصورة .

المنصورة مركز الحكومه" الهباريه"

و كانت بالسند مدينه" قديمه" تدعى ،، بهنوا ،، و هي التي اصطلح

---

١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨ .
٢) معجم البلدان ج ٩ ٤١٩ .

الجغرافيون و السياح على تسميتها ''برهمنا''، و قد أتت عليها يد الدهر و درست آثارها و على أنقاضها أنشئت المنصورة التى اتخذها الهباريون عاصمة لدولتهم ، و كانت تقع فى الاقليم الثالث من حيث التقسيم فى نظر الجغرافيين القدامى ، و طول البلد بجهتها الغربية ٩٣ درجة ، و عرض البلد من الجنوب ٢٢ درجة ، و الخليج الخارج من نهر السند يحيط بها من ثلاث جهات ، حتى جعل منها شبه جزيرة و مع أن الجو كان معتدلا فى جوانبها وأطرافها ، فان المدينة ذاتها كانت درجة الحرارة فيها مرتفعة جدا ، و كانت تحصل على مياه الشرب من خليج نهر السند و يكثر فيها البق و فيها النخل و القصب بكثرة ، وبها من الفاكهة المانجو والليمون ، و هى على مسافة ١٢ مرحلة من الملتان و خمس عشر مرحلة من طوران.

والسؤال هو متى عمرت المنصورة ؟ و ما وجه تسميتها بالمنصورة؟ والجواب أن هناك آراء مختلفة حول تلك الأمور ، و لعل أصح تلك الاراء ماروأه البلاذرى من أن خالد بن عبد الله القسرى حاكم العراق كان قد أرسل الحكم بن عوانة الكلبى فى سنة ١٠٥ ﻫ كحاكم على السند ، و جاء معه عمرو بن محمد القاسم الثقفى ، الذى أسند إليه الحكم مهام أمور الحكم وأمره على الغزوات فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك ، و قد عمر مدينة بالسند أسماها ''المحفوظة''، واتخذها مقرا له ، و منها انبثقت مجهودات حربية تحت قيادة عمرو بن محمد بن القاسم و بعد أن استقرت الأحوال وتم النصر عمر وراء بحيرة تقع خلف نهر السند مدينة أسماها المنصورة وهى التى صارت فيما بعد مركزا للحكام الأمويين والعباسيين ، بدلا من المحفوظة(١). و لما أعلن

---

١) فتوح البلدان ص ٤٣١ .

الهباريون استقلالهم اتخذوا المنصورة عاصمة لهم .

و هناك رواية تذهب إلى أن عمرو بن حفص عامل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور قد وطن ألف رجل بتلك المدينة وسماها المنصورة على اسم الخليفة العباسى ولكن هذه الرواية غير صحيحة .

أما المسعودى فقد ذكر أنها سميت بالمنصورة على اسم العامل الأموى فى السند ''منصور بن جمهور'' و مما يضعف ذلك الرأى أن المنصورة قد عمرت قبل وفود المنصور بن جمهور إلى السند لأنه لما قامت الخلافات ضد الخلافة العباسية فقد أرسل أبو العباس السفاح موسى بن كعب التميمى لتأديبه ، وكان ذلك فى سنة ١٣٤ھ ثم عينه حاكما و كان أول عمل قام به هناك هو ترسيم مدينة المنصورة و توسيع مسجدها(١) .

و كان بشارة المقدسى قد وصل إلى المنصورة قبل زوال دولة الهباريين بأربعين سنة تقريبا و كتب عنها و عن عظمتها و ذكر أنها أكبر مدينة فى هذا الاقليم ، و أنها تساوى فى سعتها مدينة دمشق وأن منازلها من الطين و الخشب ، وفيها مسجد جامع وسط السوق ، مبنى بالطوب و الحجر و أعمدته من خشب الساج و طوله و عرضه كمسجد عمان ، ولها كذلك أربعة ابواب: (١) باب البحر (٢) باب طوران (٣) باب سندان (٤) باب الملتان .

والناس هناك ارباب مروءة وشرف، معاملاتهم طيبة ومنهم كثير من اهل العلم وهم أذكياء فطناء يكثرون الصدقات الخ (٢) . وكانت اللغة العربية شائعة فى المنصورة ونواحيها وتسير مع اللغة السندية جنبا الى جنب . و خلاصة القول

---

١) فتوح البلدان ص ٤٣١ .

٢) احسن التقاسيم ص ٤٧٩ .

ان المنصورة صارت منذ سنه‍ ١٠٥ھ إلی سنه‍ ٢١٦ھ مرکزا للحکام و مرآة تتجلی فیها آثار الثقافه‍ الاسلامیه‍ وأنها قد بلغت شأوا کبیرا فی عهد الهباریین وقد جاء فی''آئین أکبری،، مایدل علی أن المنصورة کانت من أکبر المدن فی السند.

الدیبل

ثانی المدن الکبیرة بعد المنصورة فی الدوله‍ الهباریه‍ ، وکانت تقع علی الساحل وقد کتب یاقوت الحموی ان هذه المدینه‍ تقع فی الاقلیم الثانی و طول البلد من الغرب ٩٢ درجه‍ وعشرون دقیقه‍ وعرض البلد من الجنوب ٢٤ درجه‍ وثلاثون دقیقه‍ وکانت الدیبل سیناء تجاریا ویجری فی أنحائها نهرالملتان و لاهور الذی یصب فی بحر العرب وکان بها کثیر من العباد والزهاد والمحدثین والقراء وبعض رواة الحدیث ینسبون الیها فیقال فلان الدیبلی(١) و فی تصریح للقلقشندی ان بضائع الدیبل کانت تصدر الی البلاد الاخری و فی '' تقویم البلدان ،، أن الکتان یزرع هناك بکثرة ویأتی الیها تمر العراق و فی کلام للبلاذری انه فی عهد عمر بن الخطاب رضی الله عنه سنه‍ ١٥ ھ قد وجه حاکم البحرین و عمان ، مغیرة بن أبی العاص الثقفی أخاه عثمان بن أبی العاص الثقفی الی الدیبل فحارب هناك وانتصر وقد ذکر مثل تلك الروایه‍ یاقوت الحموی(٢).

و کان محمد بن القاسم قد أقام فی مکران لعدة أیام ثم توجه لفتح قنزبور وارمائیل وفی یوم الجمعه‍ التالی وصل الی الدیبل فحفر الخنادق ونصب المنجنیق ورفع الرایات فوق القنوات وکان فی الدیبل معبد کبیر فیه أصنام ، و یخفق علیه علم کبیر ، و کان أول عمل له أنه قام بضرب هذا العلم فأسقطه فروع بذلك قلوب القوم هناك ثم خرج بعد ذلك لمقابلتهم

---

١) معجم البلدان ج ٤ ص ١١٨.
٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨١.

فهزمهم ودخل المسلمون المدينه" فاتحين ففر ''داهر،، و وطن فيها محمد بن القاسم أربعه" آلاف من المسلمين وبنى بها مسجدا (١).

و فى عهد الخليفه" المعتصم أقام عنبسه" بن اسحاق الضبى سجنا من أحجارمينارة معبد أصنام الديبل بعد ان هدمت كما استعملت أحجارها فى ترميم مدينه" الديبل كذلك وقد عزل هذا الوالى قبل اتمام هذا العمل و خلفه هارون بن أبى خالد المروزى (٢).

وكانت الديبل قد تعرضت فى عهد الهباريين لزلزال عنيف و تفصيل ذلك تجده فى كتاب المنتظم للعلامه" ابن الجوزى الذى يقول انه قد وصل الى مركز الخلافه" فى بغداد سنه" ٢٨٠ خبر من الديبل يفيد أنه فى ليله" ١٤ شوال حديث خسوف للقمر استمر حتى ألجزء الأخير من الليل وأعقب ذلك أظلام شديد مع اشراقه" الصباح و فى عصر اليوم هبت عاصفه" هوجاء سوداء استمرت حتى ثلثالليل الاخير من الليله" الثانيه" ثم وقع زلزال خرب الديبل فلم ينج من منازلها وعمائرها إلا مائه" بيت تقريبا ودفن باقى سكانها أحياء بين أنقاض المنازل والفجوات التى أحدثها الزلزال وكان هذا الخبر قد وصل إلى مركز الخلافه" فى بغداد فى ذى الحجه".

ويقال أنه قد اخرجت جثث ثلاثين ألفا ممن قبروا فى هذا الزلزال ودفنوا فى مكان آخر بعيد ويعد هذا الزلزال العنيف الشديد تعرضت هذه المدينه" خمس مرات أخرى للزلــزال و تذهب بعض الروايات إلى أن عدد الذين اخرجوا من بين الانقاض قد بلغ مائه" وخمسين ألفا من الضحايا.

---

١) فتوح البلدان ص ٤٢٤، ٤٢٥.

٢) فتوح البلدان ص ٤٢٥.

وقد تناول العلامة السيوطى فى تاريخ الخلفاء الحديث عن هذه الزالزل المهلكه باختصار وذكر أنها كانت فى عهد المعتضد بالله العباسى (١).

وأما بالنسبة لمركزها العلمى والثقافى الاسلامى فكان فى المرتبة الثانية بعد المنصورة.

وقد اطلق على الديبل فيما بعد " تهتها "، التى تقع الان قريبا من مدينة كراتشى الحالية(٢).

بـوقـــان

كتب ياقوت الحموى أن مدينة بوقان من بلاد السند و فى رواية للبلاذرى أن زياد بن أبيه قد قرر أباالأشعث منذر بن الجارود العبدى على ثغر الهند فحارب فى بوقان و قيقان و انتصر المسلمون هناك كما أرسل من بعده عبيد الله بن زياد حرى بن حرى الباهلى واليا و غازيا و قد شاءالله تعالى أن يفتح على يديه الأمصار هناك.

و فى رواية أخرى أن حرى بن حرى كان أميرا للجيش مع سنان بن محبق الهذلى و قد تناول شاعر عربى ذلك فى بيته الاتى :

لولا طعانى ببوقان مارجعت منه سرايا ابن حرى بأسلاب

و عمرت بوقان بالمسلمين فى القرن الثالث. و فى عهد المعتصم بالله عمر عمران بن موسى البرمكى مدينة أسماها " البيضاء " فى بوقان ، و كانت بوقان مركزا و منها علماء و محدثون .

---

١) كتاب المنتظم ج ٥ ص ١٤٣ و تاريخ الخلفاء ذكر معتضد.

٢) سبق أن المصنف أورد كلاما للاستاذ محمد سليم شاه يرد هذا عند الكلام على الاسماء الحديثة لبعض الامكنة والبلاد القديمة فى نهاية الكلام عن الدولة الماهانية انظر ص ٥١.

قيقـــان

قيقان وهى معربة" من '' جيجان ،، و كان اسما للمنطقة" كلها فى قلات وغيرها و كانت تعد من بلاد السند و فى عهد على بن أبى طالب (رض) فيما بين سنة" ٣٨ — ٣٩ﻫ استأذنه الحارث بن مرة الكلبى فى الحملة" على بعض مناطق فى الهند فأذن له فحارب و انتصر و غنم و لكن الحارث و رفاقه استشهدوا فى قيقان سنة" ٤٢ و بعد ذلك حارب هناك المهلب بن أبى صفرة فى سنة" ٤٤ﻫ و فى عهد معاويه" رضى الله عنه حمل عبد الله بن سوار الذهبى على قيقان وفتحها و سافر إلى معاويه" يحمل معه الهدايا التى اشتملت على الخيل وأشياء أخرى ثم رجع و استدعى الأمر الاشتباك مع أهلها مرة أخرى ولكنه استشهد فى هذه المرة وصارت الغلبة" لعدوه (١).

سيوستـان

ذكر ياقوت أن سيوستان منطقة" كبيرة فى السند و أنها تقع فى أطراف نهر السند على حدود الهند خيراتها كثيرة و حولها مدن و قرى كثيرة وكانت بها حكومة" رجوات '' ألور ،، و كان يطلق عليها سيوان و سهوان و سيستان على اسم حاكم سندى معروف.

الرور أو ألور

ألور من المدن القديمة" فى بلاد السند وكانت مقرا لحكومة" أسرة ''رائى،، و العرب تكتب عنها '' الرور ،، و كانت هذه المدينة" على ساحل نهر السند بين الحدائق و العيون و كانت حكومتها قديما كبيرة جدا تمتد فى الشرق إلى كشمر و قنوج و فى الغرب إلى مكران و الديبل الى ساحل البحر و فى الجنوب

---

١) فتوح البلدان ص ٤٢١

كجرات إلى سورات و فى الشمال قندهار كرسان و جبل سليمان و كانت قلات تدخل فيها.

و فى تصريح للبلاذرى أنه عندما توجه محمد بن القاسم إلى ألور و بغرور فان أهل ساوندرى قد خرجوا لمقابلته لطلب الأمان منه فأمنهم و حتى القرن الثالث كان بها عدد من المسلمين.

ولما تقدم محمد بن القاسم نحو " بسمد "، خرج أهلها كذلك لطلب الأمان كما فعل أهل " ساوندرى "، ثم وصل الى " ألور "، وكانت مدينة جبلية فحاصرها مدة طويلة استمرت شهورا و تم له فتحها أخيرا بشرط ألا يقتل أحدا من أهلها وألا يتعرض لمعابدهم، و وضع عليهم الخراج و بنى هناك مسجدا (١). و قرر له خطيبا و ظلت تلك الوظيفة قرونا تتنقل بين أفراد و عائلة هذا الخطيب.

و فى عهد الهباريين صارت (ألور) مدينة لها رونقها و مركزها و قد كتب ابن حوقل ان هذه المدينة تبلغ فى مساحتها " الملتان "، كما صرح أبو الفداء فى تقويم البلدان بحوالة الوزير المهلبى بأن حكومة ألور كانت تحت المنصورة و أن من بين سكانها مسلمون فيقول : " و أهلها مسلمون فى طاعة صاحب المنصورة (٢) ".

و قد عرفنا سابقا قصة حاكمها راجا سهروق الذى طلب من يعلمه و يرشده للاسلام و تذكرها الكتب العربية باسم (الرور واارا وازور) و سكانها الحالى مدينة سكهر الموجودة الان ببلاد السند.

---

١) فتوح البلدان ص ٤٢٦.

٢) تقويم البلدان ذكربلاد السند.

بيرون أو نيرون

بيرون من مدن الكبيرة و كانت تقع بين الديبل و المنصورة و كتب القلقشندى ان بيرون تقع قريبا من المنصورة فى حكومة الديبل و أنها فى الاقليم الثانى وطولها ٩٤ درجة و ثلاثون دقيقة و عرض البلد ٢٤ درجة و ٤٥ دقيقة و كان وقوعها على خليج بحر العرب مما جعلها ميناء تجاريا و بينها و بين المنصورة أربعة مراحل و خمسة عشر فرسخا ، و قد فتحت صلحا على يد محمد بن القاسم فعندما وصل قريبا منها أرسل اليه أهلها مندوبين عليهم لاجراء محادثات للصلح و قد صاحب الوفد إلى داخل المدينة مع التكريم و التعظيم و تم الصلح على شرائط (١).

---

١) فتوح البلدان ص ٤٢٥.

Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 6:3 (1971)

الحكومات العربيه" فى الهند و السند

(٥)

تاليف : القاضى أطهر مباركپورى
ترجمه" : الأستاذ عبد العزيز عزت عبد الجليل

و أصبحت هذه المدينه" من مراكز الهباريين فيما بعد و كان يوجد بها قلعه" متينه" ، و عموم أهلها مسلمون و قد كتب الوزير المهلبى فى شأنها : ,, و أهلها مسلمون ،، و يذكرها بعض المؤرخين و الرحاله" باسم نيرون بدلا من بيرون بالباء و هى الان مدينه" فى حيدرآباد (السند).

بانيه"

كانت مدينه" صغيرة فى جنوب المنصورة ، و تقع على مسافه" مرحله" واحدة ناحيه" قاسهل ، و كان يقيم بها عمر بن عبدالعزيز عميد آل هبار و مؤسس حكومتهم و كانت كذلك وطن آبائه .

سد و سان

و كانت تقع فى غرب نهر السند ، و قد فتحت فى زمن محمد بن القاسم على الصورة الاتيه" :

قام محمد بن مصعب بن عبدالرحمن الثقفى و معه بعض الفرسان و الجنود متوجهين نحوها فلما علم أهلها بذلك أرادوا الصلح و توسط

بين الفريقين أهل " سمنى "، فأعطاهم الأمان مع وضع الخراج عليهم ، و وضع الزط الموجودين هناك عنده رهنا و كان عددهم أربعة آلاف ، ثم جندهم و جعل منهم محمد بن القاسم فيما بعد حاكما منهم على سدوسان و كانت فى عهد الهباريين خصبة تفيض بالخير (١).

بهرج

كتب الاصطخرى أن مسواهى ، وبهرج و سدوسان تقع فى غرب نهر السند ، و قد عدها المقدسى من المدن الخاضعة لحكومة المنصورة ، كما ذكرها ياقوت بحوالة الاصطخرى عند الكلام عند فهرج البصرة و فارس كما ذكرت باسم " بهره "، مدينة فى مكران و مما يبعث على العجب انه لم يرد أى ذكر لمدينة بهرج فى السند .

أنرى و قلرى

كلتا البلدتين كانتا تقع فى شرق نهر السند على مسافة بعيدة و كانت أنرى على مسافة مرحلتين و بين قلرى إلى المنصورة مرحلة.

بلرى

بلدة كانت تقع فى غرب نهر السند و كانت تتصل بالخليج الذى يخرج منه و يمر خلف المنصورة .

منجابرى

بلدة كانت تقع فى مقابل المنصورة فى غرب نهر السند و كان لابد لمن

---

١) فتوح البلدان ص ٤٢٥.

يذهب إلى الديبل إلى المنصورة من المرور عليها .

بنبلى

عند خليج نهر السند و كانت لها شهرة خاصة في التجار البحريين و الرحالة.

را هوق

منطقة من بلاد السند تتصل بالمنصورة و هناك تطيب الحقول و تكثر المواشى و ان كانت الفواكه هناك قليلة.

بغرور

و كانت قريبة من ألور و ذكرها موجود فى فتوحات السند .

تنر

و كانت مثل الديبل على ساحل البحر و كان لموقعها اعتبار كبير.

قبيلا

مدينة بالسند و كانت تقع على مسافة أربعة مراحل من الديبل.

تنبلى

و كانت تقع على ساحل البحر وبها قلعة و المسلمون بها قلة و التجار بها أقل. و من المدن الشهيرة كذلك كيفانة و مسواهى و سوباره و صيمور.

المسافات بين المدن المختلفة

من المنصورة إلى الديبل	(٦)	ستة مراحل
" " الملتان	(١٢)	اثنا عشر مرحلة

من المنصورة إلى طوران (١٥) خمس عشرة مرحلة
" " الى حدود البدهه (٥) خمس مراحل
" " قند ابيل (٨) ثمانى مراحل
" " قاسهل (٨) ثمانى مراحل
" " قلرى (١) مرحلة واحدة
" " بانيه (١) مرحلة واحدة
" " قصدار (٨٠) ثمانون فرسخا
" " انرى (٣) ثلاث مراحل
" " الور (٦) ست مراحل

و قد كتب المقدسى أن المسافر من المنصورة إلى الملتان يمر فى جزء من الطريق يبلغ حوالى أربعين فرسخا آهل بالسكان ، و ان الطريق كله آمن و بعد أن يتجاوز المسافر تلك المنطقة العامرة يمضى فى مسافة مائة فرسخ فى الصحراء التى يقل بها العمران .

من الديبل إلى قنبلى (٤) مراحل
من الديبل إلى بيرون (٤) مراحل
من الديبل إلى ارمائيل (٤) مراحل (١)

و من المعروف أن المرحلة سفر يوم ، و أن الفرسخ (١٢) اثنا عشر ألف ذراع و الذراع عشرون إصبعا و الاصبع ست عقد ، و ثلث الفرسخ ميل.

---

١) انظر التفصيل فى مسالك الممالك ص ١٧٨ - ١٧٩ ، و أحسن التقاسيم ص ٤٨٦ .

الطبيعة و المحصولات و التجارة و السكان

الطبيعة

اقليم السند حار فى مجموعه و معتدل فى بعض مناطقه و فيه فصول ثلاثة ، الشتاء و الصيف و المطر ، أما المنصورة فكان هواؤها عليلا ، و مطرها معتدلا ، وقد يغزر أحيانا و فى موسم الشتاء ينزل بالبلاد مطر أطلقوا عليه " بسار " و كل المنطقة صحراوية جبلية ، و كانت ألور جبلية ، و كان سكان المنصورة ضخام الأجسام معتدلو القامة.

الأنهار

امتدت الحكومة الهبارية إلى بحر العرب الذى يأخذ من السند حتى سواحل كجرات و سوبارة ، و صيمور ، وينعطف نحو الشرق من مكران ويمر قريبا من الديبل حيث يوجد نهر السند الذى تطلق عليه العرب " سهران " و يتصل بالبحر و يعتبر نهر السند من أكبر الأنهار و يشبه نهر النيل فى مصر ، فماؤه عذب للغاية و هو من ناحية الملتان ، و يجرى من عند المنصورة و يصب فى البحر قريبا من الد يبل و تنبت الحقول على جانبيه و فى أوديته بعد فيضانه .

و يوجد نهر آخر يقال له " سند رود " على مسافة ثلاث مراحل من الملتان و ماؤه أيضا عذب و يصب فى نهر السند ، و عند الديبل خليج يقال له " خورد بيل " و هو الذى هجم منه سنة ١٥ ه المغيرة بن أبى العاص على الديبل ، و هناك أيضا خليج آخر يخرج من نهر السند و يقع قريبا من سواحله مدينة " بنسلى " و خليج ثالث يتفرع من نهر السند و يدور

حتى يحيط بمدينه" المنصورة من أطراف ثلاثه" .

المحصولات و الثروة الحيوانيه"

كانت المنطقه" التى يحكمها الهباريون فى اقليم السند خصبه" و لو أنها كانت تشمل مناطق صحراويه" ، و جبليه" كبيرة ، و كان بها النخيل و القصب والليمون و النار جيل والموز والكتان والمانجو وعسل النحل وغير ذلك بكثرة ، كما كانت هناك مراع فسيحه" ، و لجاسوس المنصورة ، و ابل السند شهرة كبيرة ، و كانت تنتشر بها الحدائق و البساتين و فضلا عن ذلك كله كانت تنبت فى أرضها عقاقير طبيه" على جانب كبير من الأهميه" و قد كتب المسعودى عن ذلك كما ذكر المقدسى أن بالسند مراع كبيرة و سواش كثيرة ، و ان كانت المراعى ليست كلها خضراء ، ثم أردف يقول و يوجد بها المانجو و الليمون و جميع أنواع البلح و الموز والأرز ، و ان منطقه" صيمور و كهمبائت خصبه" عامرة و حالها رخاء .

أما الاصطخرى فقد كتب عن سندان و صيمور فقال إن هذه المنطقه" واسعه" خضراء ، يكثر بها المانجو و الموز وجوز الهند ، و عسل النحل ، و ليس بها نخيل . و على حدود المنصورة منطقه" راهوق و ليس بها زراعه" و بها سواش كثيرة .

وفيما يتعلق بالمنصورة فقد ذكر أن الأسعار فيها منخفضه" . وأن الأشياء التى تمتاز بها بلاد السند ولها شهرة فى كل الدنيا: المانجو و الليمون و النعال الكنبائتيه" ، و الجمال ذات السنامين ، التى لايستعملها إلا

الملوك (١) و هناك نوع من الفاكهة يكون مثل التفاح يقال له "ليمون"، شديد الحموضة و فاكهة أخرى تشبه الخوخ يقال لها أنبه أو أنبج، و طعمها يشبه الخوخ .

و كتب المقدسي ان بالسند من الفواكه المشهورة الليمون و هو مثل المشمش ولكنه شديد الحموضة، وأخرى مثل الخوخ يقال لها الأنبج وهي فاكهة لذيذة. أما كيف كان أهل السند يستعملون تلك الفواكه و على أي وجه كانوا يأكلونها فانه أمر مشوق ، كتب عنها صاحب لسان العرب و كتب أن بالهند ثمرة تصنع مربى في العسل كا لخوخ .

و في تصريح لأبي حنيفة الدينوري أن في نواحي "عمان"، من البلاد العربية توجد أشجار المانجو بكثرة و أن المانجو قسمان أحدهما يكون حلوا من أوله و تكون ثمرته على شكل اللوز و الاخر حامض و يكون على شكل البرقوق و يكون حامضا من بدايته ثم يصير حلوا طيب الرائحة و هناك كذلك شجر الجوز الذى تشبه أوراق أشجاره ورق شجر المانجو (٢).

البرتقال والجوافة

كتب المسعودي أنه بعد القرن الثالث انتقلت شجرتا ، الجوافة و البرتقال إلى خارج الهند وكان أول مكان انتقلتا إليه عمان ، و ذلك لقربها من السند ، ثم انتشرتا في العراق و الشام و غيرهما و بلغ من حب الناس لهاتين الفاكهتين ، و استحسان الأهالي لتلكما الثمرتين في الشام و طرسوس و

---

١) عن المسالك و الممالك ، ومروج الذهب ، واحسن التقاسيم ملخصا.

٢) احسن التقاسيم ص ٤٨٢.

أنطاكيه" و فلسطين و مصر ، أن زرعوها فى المنازل لزيادة الاعتناء بها .

التمر الهندى

و يسمى فى الهنديه" (إملى) و يطلق عليه فى العربيه" (حمر و حومر) و تنتشر أشجار الحومر فى سلسله" جبال السراة إلى اليمن فى الجنوب كما توجد بكثرة فى بلاد عمان و أوراقها تشبه ورق الصفصاف و قد ذكر أبو حنيفه" الدينورى أنه قد رأى شجر الحومر بين مسجدى عمان ، و أنها مثل شجرة اللوز و ثمرها على هيئه" القرون (١).

و فى مكان كان يدعى العقيق بالقرب من سواكن من بلاد بجاة بأفريقيا كان يصدر التمر الهندى .

الجمال

كانت جمال السند (فالج) مرتفعه" القيمه"، وكان لا يركبها إلا الملوك والأمراء و هى جمال مزدوجه" السنام بين العربيه" و البختيه"، وفى صحاح الجوهرى أن هذه الجمال ذات سنامين و أنها تجلب من بلاد السند ، و قد ورد ذكرها فى الحديث الشريف (٢) .

الطاووس

من الطيور التى تجذب الانظار و القلوب الطاووس ، و قد كتب المسعودى فى ذلك و عن خصوصياته و قدره فى بلاد الهند (٣).

---

١) لسان العرب ج ٤ ص ٢١٤ مادة حمر .

٢) لسان العرب مادة فلج ج ٣ ص ٣٤٦.

٣) مروج الذهب ج ١ ص ٣٧٧ ، ٣٧٨.

و كان من ضمن الهدايا و التحف التى أرسلت فى سنه" ٣٠٥ ه للخليفه" المقتدر بالله ، من قبل حاكم عمان طائر أسود اللون يتكلم الفارسيه" و الهنديه" أفصح من الببغاء (١) .

النعال الكنبائتيه"

و من المصنوعات الخاصه" التى اشتهرت بها بلاد السند : " النعال الكنبائتيه" "، و كان من بينها قسم يطلق عليه " صرارة "، تحدث صوتا أثناء المشى و كان يستعملها أعيان القوم .

الرخاء و فراغ البال

توفرت الضروريات اللازمه" للحياة فى عهد الهباريين و عمت الرفاهيه" كل الطبقات و قد كتب المقدسى يثنى على ذلك فهو يطلق عليه اقليم الذهب ، و الخير ، و الفلاح ، فكل شئ فيه رخيص ، وعدل و عداله" و انصاف ، و التجارة فيه رائجه" ، و الناس هناك أمناء ، يحبون الأمن ، و طباعهم سليمه" ، كما كتب مثل ذلك عن المنصورة (٢).

التجارة البريه" و البحريه"

كانت الهند منذ قديم الزمان مركزا هاما لكل أنواع التجارات البريه" و البحريه" و فى عهد الهباريين كانت تجارة السند بسبب عدلهم و انصافهم ، و الأمن الذى شمل البلاد و أظلها. و قد كتب كثير من المؤرخين و

---

١) تاريخ الخلفاء للسيوطى.

٢) احسن التقاسيم ص ٤٨١.

الرحالة عن الرفاهية و التجارة فى السند ، خاصة و ذكروا أن القوافل فى داخل البلاد و خارجها كانت لا تنقطع سواء فى البر أو البحر . و قد ذكر المسعودى أنها تمتد إلى صغد و الصين و التبت و خراسان.

و مما دعم التجارة البحرية فى عهد الهباريين مكافحتهم للميد ، كما ذكرنا آنفا ، فقد أمنوا بذلك الطرق و البحار ، و أصبحت الديبل ملقى التجار، يتبادلون تجاراتهم ، ويبيعون و يشترون السلع المختلفة ، ولأجل مزيد من التفصيل فى هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى ما كتبه ابن حوقل و ابن سعيد .

و كانت المنصورة هى المركز الثانى للتجارة البحرية بعد الديبل كما كان ميناء نيرون الذى كان يقع بالقرب منها من الموانئ التجارية الهامة.

و قد تناول المقدسى فى كتابه ذكر خصوصيات مختلف الأقاليم فى البلاد الاسلامية (١) .

و قد طوقت شهرة تجار المنصورة و الديبل الافاق و من بين هؤلاء التجار ، التاجر العالم حسن بن محمد بن حامد الديبلى المتوفى سنة ٤٠٧ھ و كان يقيم فى بغداد ، وله فى "درب الزعفران"، قصر باسمه يسمى "سرآى خان بن حامد"، و كان محدثا و أديبا و شاعرا (٢).

كما أن التاجر سيابوقة الديبلى قد بنى "سراى"، فى سنة ٦١٥ھ فى

---

١) لاجل مزيد من التفصيل فى ذلك تراجع الكتب الآتية: المسالك والممالك ، تقويم البلدان، أحسن التقاسيم وغيرها .

٢) تاريخ بغداد .

,, سونسه ،، بين الموصل و نصيبين و وقفها (١).

و قد ذكر بزرك ابن شهريار أن رجلا من المنصورة ذهب إلى ,,ساركين،، التى على مسافة فرسخ من بلاد الا سئون وهناك التقى مع راجا هندوكى يدعى ,, لهلوا ،، فقال له المنصورى إنه توجد على جبال ساركين الحيات و الثعابين الملونة التى إذا بادرت المرء بالنظر أماتته على التو و اذا سبقها هو بالنظر إليها أماتها ، و لو تصادف و أن كليهما نظر إلى الاخر فى وقت و احد فانهما يموتان معا (٢).

الرعايا الذميون فى عهد الهباريين و الحرية الدينية

فى القرن الرابع الهجرى كان العالم الاسلامى يضم بين جنباته كثيرا من أهل الذمة ، من اليهود و النصارى ، كما كان هناك مجوس و صابئة و كانت جميع هذه الفرق تتمتع بكامل حقوقها الوطنية ، و القومية ، الاجتماعية و الانفرادية و المذهبية ، و قد عاشر جميع أولئك فى حرية تامة فى عهد الهباريين ، و قد بلغ من اطمئنانهم تفضيلهم للحكام المسلمين عن الحكام الذين يشاركونهم عقيدتهم ، و كان الحكام الهندوك يجلون الحكام المسلمين كثيرا ، و قد عرفنا ذلك من الصور التى ذكرناها سابقا وقد كتب المؤرخون و الرحالة عن مدى تمتع غير المسلمين بمزاولة عباداتهم (٣).

و أورد المقدسى حكاية تفيد أنه التقى مع شخص كان قد ارتد عن الاسلام لمزاولته السحر و عاد إلى عقيدته فزاول عبادة الأصنام مدة اقامته فى

---

١) معجم البلدان ذكر سونسه.

٢) عجائب الهند ص ٥٠.

٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٧.

السند و لما عاد إلى نيسابور تاب و أناب و رجع إلى دينه و اسلامه. و هذه الواقعة تشير من طرف إلى رجل ضعيف الاعتقاد كما تشير فى الوقت نفسه إلى مدى تجاوز الهباريين لأنهم سمحوا لمرتد عن الاسلام بمزاولة عبادته مع علمهم بموقف الاسلام و حكمه فى هذا الشأن ، خاصة و أنه كانت لهم محاكم قائمة تنفذ الأحكام و تقيم الحدود. فلو أنهم أقاموا الحد تنفيذا للشريعة الاسلامية فمن ذا الذى كان يمكنه أن يغل أيديهم.

اسلام راجا من السند و تقديمه نذرا للكعبة

كتب الامام تقى الدين الفاسى المكى فى "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" بحوالة الفاكهى أن حاكما سنديا قد أسلم فى سنة ٢٥٩ هـ و أرسل بطوق من الذهب نذرا و هدية للكعبة ، كان يبلغ وزنه ٢١ مثقالا و محلى بالماس و الزمرد و درة كبيرة من الياقوت تزن ٢٤ مثقالا ، و قد علقت هذه الهدية مع غيرها على الكعبة بأمر من الخليفة المعتمد (١).

اسلام راجا "ألور" مهروق بن رائق

سبق الكلام على اهتمام راجا "ألور" مهروق بن رائق بالاسلام و رغبته الشديدة فى التعرف على أحكامه ، و طلبه من عبدالله بن عبدالعزيز الهبارى ارسال من يعلمه و يرشده.

و قد استجاب لذلك عبدالله و أرسل إليه من يعلمه و يفسر له القرآن باللغة الهندية ، و ظل معه لمدة ثلاث سنوات ، و تركه مسلما ، و لكنه

---

١) شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ج ١ ص١١٧ ، ط. مصر ١٩٥٦ م .

لم يعلن اسلامه نظرا لأحوال سلطنته ، و كان قد أهدى إلى هذا المرشد العالم بضعة أمنان من الذهب.

العلوم الاسلامية و العلماء

كان العالم الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى يفيض بالنشاط الدينى و العلمى الاسلامى، كما كان مهد الظهور شخصيات بارزة فى مختلف العلوم و الفنون فى الشرق و الغرب و على مستوى القرية و المصر .

و كان الهباريون يجلون العلماء ، و يقدرون أرباب الحجة و القلم ، و مع أن مسلكهم كان ظاهريا فلم يمنع هذا من وجود كثير من العلماء الأحناف فى مجتمعهم وكانت اللغة العربية تسير مع اللغة السندية و أصبحت مدينة ''بيرون،، مرآة صادقة للمدن الاسلامية ، و الديبل مركزا للعلماء و الفقهاء ، وبدت المنصورة كجزء من بغداد فشاعت فيها الرسوم و العادات الرائجة فى العراق آنذاك . و قد كتب المقدسى: مذاهبهم، أكثرهم أصحاب حديث و لا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة رحمه الله و ليس به مالكية و لا معتزلة و لا عمل للحنابلة انهم على طريق مستقيم و مذاهب محمودة و صلاح و عفة قد أراحهم الله من الغلو و العصبية و الفتنة (١).

كما كتب ياقوت الحموى عن مذاهب أهل السند : و مذاهب أهلها الغالب عليها مذهب أبى حنيفة(٢).

و كتب المقدسى فى شأن المنصورة: و للاسلام طراءة و العلم و أهله

---

١) احسن التقاسيم ص ٤٨١.
٢) معجم البلدان ذكرالسند ج ٥ ص ١٥١.

كثير و الرسوم تقارب العراق مع ذكاء و حسن أخلاق (١).

و كتب ياقوت عن الديبل: '' و قد نسب إليها قوم من الرواة،، (٢).

أما صيمور و سوبارة فقد استمرتا تتعلقان و ترتبطان بمركز الحكومة في المنصورة مع بعد الشقة بينهما ، و كانت حالة المسلمين الدينية فيهما على ما يرام و كان يقيم بهما كثير من العرب و يفد عليهما التجار ، و في عهد الهباريين أقيمت في كل منهما محكمة خاصة بالمسلمين تحت رعاية الحاكم المحلى هناك و في ذلك كتب ياقوت : إلا أن صيمور ، و كتامة ، من بلاد فيها مسلمون و لا يلي عليهم من قبل بلهرا إلا مسلم و بها مسجد جامع تجمع فيه الجماعات (٣).

و اتخذ الوعظ العام و التذكير بالدين صورة عامة فتعددت حلقاته و اختلفت طرقه و لكن بلاد السند لم يكن بها اهتمام بذلك و في هذا كتب المقدسي : '' و ليس للمذكرين به صيت و لا لهم رسوم تذكير،، ، و لعل السبب في ذلك يعود إلى أن الحالة الدينية هناك كانت قوية مطمئنة (٤).

العلماء والمحدثون في اقليم السند

سنذكر فيما يلي نبذا مختصرة عن بعض العلماء والفقهاءوالمحدثين والشيوخ الذين عاصروا الدولة الهبارية من سنة ٢٤٧ إلى سنة ٤١٦ هـ ، و قد كتبنا

---

١) أحسن التقاسيم ص ٤٧٩.
٢) معجم البلدان ج ٤ ص ١١٨.
٣) معجم البلدان ج ٥ ص ٤٠٧.
٤) احسن التقاسيم ص ٤٨١.

عن حالاتهم بالتفصيل فى كتابنا ,, رجال السند و الهند الى القرن السابع ،،.

و مما تجدر الاشارة اليه أن بعض هؤلاء العلماء لم يكونوا فى عهد الحكومة العربية و انما فى عهد الغزنويين.

(١) أبوبكر احمد بن السندى بن حسن بن بحر الحداد السندى البغدادى المتوفى سنة ٣٠٩ﻫ و كان محدثا مستجاب الدعاء ، عابدا زاهدا ، و كان يقيم فى محلة قطيعة الحداد ببغداد.

(٢) أحمد بن سندى بن فروخ مطرز البغدادى المولود سنة ٣٠٠ﻫ و كان يقيم فى بغداد و روى الحديث فى البصرة و كان محدثا جليلا.

(٣) أحمد بن سندى الرازى و كان من علماء الحديث فى القرن الثالث الهجرى و كان يسكن الرى فى خراسان.

(٤) أبو بكر احمد بن القاسم بن سيما بيع معدل البغدادى ، كان من رواة الحديث فى القرن الرابع الهجرى و اشتهر بكنية ابن السندى ,, و بيع،، يعنى دلال تجارى ,, و معدل ،، يعنى يوثق أو يجرح شهود القضاء.

(٥) أبوالفوارس أحمد بن محمد بن حسين بن سندى المصرى المتوفى سنة ٣٤٩ﻫ و اشتهر بلقب ,, مسند ديار مصر ،، و كان له فى الحديث مقام عال.

(٦) ابراهيم بن على السندى البغدادى ، الذى روى عن محمد بن عبدالله بن يزيد المعرى.

(٧) أسلم بن سندى ، و قد روى عنه أبو الحسن بن حسن السيازى البخارى.

(٨) أبو ابراهيم اسماعيل بن سندى الحلال البغدادى ، و كان من كبار المحدثين فى القرن الثالث و الخلال لانه كان يبيع الخل و كان يسكن فى محلة" باب الشام.

(٩) اسماعيل بن عيسى بن فرخ السندى مولى بن يقطين.

(١٠) اسماعيل بن محمد بن رجاء السندى النيسابورى.

(١١) حبيش بن سندى البغدلدى وكان من تلاميذ الأمام احمد بن حنبل.

(١٢) أبومحمد خلف بن سالم السندى البغدادى المتوفى سنة" ٢٣١ﻫ من حفظه" الحديث و أعيان بغداد.

(١٣) ابومحمد رجاء بن السندى النيسابورى وكان من محدثى القرن الثالث.

(١٤) أبوبكر السندى الخواتيمى البغدادى وكان من تلاميذ الامام أحمد بن حنبل.

(١٥) سندى بن أبى‌هارون، وكان من المحدثين فى‌القرن الثالث.

(١٦) أبونصر السندى بن ابان البغدادى المتوفى سنة" ٢٨١ﻫ وكان من قدماء المحدثين المشهورين فى روايه" الحديث.

(١٧) سندى بن عبدويه" الكلبى الرازى وكان من المحدثين فى القرن الثالث.

(١٨) عبدالله بن‌حسن بن السندى الاندلسى المتوفى سنة" ٣٣٠ﻫ وقد هاجر من السند و أقام فى الاندلس.

(١٩) عثمان السندى البغدادى وكان من كبار المشايخ فى القرن الرابع.

(٢٠) أبو نصر فتح بن عبدالله السندى وكان من فقهاء ومتكلمى القرن الرابع.

(٢١) أبو العباس فضل بن سكين بن سميت السندى البغدادى ، من رواة الحديث فى بغداد .

(٢٢) أبو عبدالله محمد بن رجاء السندى النيسابورى وكان يقيم فى اسفرائن.

(٢٣) عبدالله بن حسن السندى الاندلسى المتوفى سنة ٣٣٥ﻫ واشتهر بنسبة السندى والدمشقى.

(٢٤) أبوالحسن محمد بن عبدالله السندى البصرى ، من محدثى القرن الثالث.

(٢٥) أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء السندى الجرجانى المتوفى سنة ٢٨٦ﻫ ، و كتب "مستخرج على البخارى".

(٢٦) أبو القاسم منصور بن محمد السندى الاصفهانى ، و كان من القراء المشهورين فى القرن الرابع .

(٢٧) أبو محمد موسى بن السندى الجرجانى البكراباذى وكان من المشهورين فى رواية الحديث.

(٢٨) أبو الحسن نصرالله بن أحمد بن القاسم بن سيما السندى البغدادى ، و كان من أئمة الحديث و توفى سنة ٣٣٤ ﻫ .

(٢٩) هبةالله بن سهل السندى الاصفهانى ، و كان من المحدثين .

(٣٠) أبو جعفر السندى ، من رواة الحديث فى القرن الثالث .

(٣١) أبو على السندى البغدادى ، و من شيوخه بايزيد البسطامى ، و من أرباب الكشف .

(٣٢) يزيد بن السندى ، و قد حصل على مقام رفيع فى مصر فى عهد الفاطميين ، جاء ذكره فى كتاب الولاة ، و كتاب القضاة ، و الغالب أنه كان من الشيعة الامامية .

(٣٣) على بن عبدالله بن السندى ، من المحدثين المشهورين فى القرن الرابع الهجرى .

كل هؤلاء العلماء الذين سبق ذكرهم كانوا ينسبون إلى السند و لكنا لم ندر ماهى أمكنتهم فيها و أين كانت إقامتهم و لم نجد مايدل على ذلك و لهذا ذكرنا كلا منهم على حدة .

Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 7:1 (1972)

الحكومات العربية فى الهند و السند

تأليف : القاضى اطهر مباركپورى

ترجمه : الاستاذ عبدالعزيز عزت عبد الجليل

(٧)

أبوالفرج الأصفهانى صاحب الأغانى

من المعروف أن أبا الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى ليس بمؤرخ ولا بعالم أنساب و ليس كتابه كذلك كتابا تاريخيا ، أوحاكيا للأنساب ولكننا نجد فى قصصه ورواياته بعض الأشياء التى تلقى أضواء على بنى سامه ، وتشير إليهم ، فى بعض الأحاديث ، ولذلك فانه من المناسب هنا نقل شئ من ذلك فنجده فى سلسله كلامه عن الشاعر على بن الجهم يذكر أن نسبه يتصل بغالب بن لؤى بن سامه بن عبد البيت بن الحارث فيقول : و هكذا يدعون و قريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بنى ناجيه و ينسبون إلى أسهم ناجيه و هى امرأة سامه بن لؤى[١٧].

ثم يستطرد قائلا إن سامه كان قد غضب من حديث لأخيه كعب بن لؤى فنزح إلى البحرين و فى الطريق شردت به ناقته إلى العشب و الكلا لتأكل ، وما ان مدت رقبتها و وضعت رأسها حتى أمسك ثعبان كبير بفمها ، و لدغها فارتجفت ، وناخت ، فعض الثعبان سامه فى رجله فمات على الفور. فلما سمع بذلك أخاه كعب قال فى رثائه :

عين جودى لسامه بن لؤى	علقت ساق سامه العلاقه
رب كأس هرقها ابن لؤى	حذر الموت لم تكن مهراقه

١٧) الاغانى ص ٣١٥.

و منكرو نسب بنى سامه" يقولون : إن ناجيه" سامه" كانت معه فى البحرين ، و لما توفى سامه" تزوجها رجل من البحرين ، فولد لها الحارث وقد مات والده ، وهو صغير ، ولما شب أرادت أمه أن تلحقه بقريش ، فقالت له : إنك ابن سامه" بن لؤى ، و لما سمع ذلك توجه الحارث إلى كعب فى مكه" و قال له : إننى ابن أخيك فسأله عن أمه فلما ذكر له اعترف بنسبه ، و مكث حارث عنده مدة ، و فى هذه الاثناء تصادف أن وصلت قافله" من البحرين ، و عند ما رأى أصحابها حارثا سلموا عليه و تحادثوا معه ، فسأله كعب : أين عرفت هؤلاء القوم ؟ فأجابه إن هذا الشخص و كان يقصد أحدهم هو ابن فلان من بلدى ثم قص عليه ما كان من أمره ، و بعد سماعه ذلك أخرج كعب حارثا وأمه ناجيه فرجعا إلى البحرين ، وهناك تزوج حارث ، و كان له الاولاد الذين ذكرنا هم آنفا و يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " عمى سامه" لم يغضب " .

و كان بنو ناجيه" قد ارتدوا عن الاسلام ، و لما ولى على بن أبى طالب الخلافه" دعاهم إلى الاسلام فأسلم بعضهم واستمر الباقون على الردة فسباهم واسترقهم (لم يبين مأخذ هذا النص) وقد اشتراهم منه فيما بعد مصقله" بن هبيرة و أدى جزءا من الثمن ، وأقر بالباقى لديه ، ولكن بعد تحريرهم هربوا ليلا الى معاويه" فحررهم و بقى فى ذمه" مصقله" باقى أثمانهم ولهذا هدم على بن أبى طالب جزءا من منازلهم و فى روايه" أخرى أنه هدم كل المنازل و لم يذهب مصقله" إلى الكوفه" طيله" مدة حياة على بن أبى طالب و فى قول لابن الكلبى أن ابن سامه" بن لؤى هو غالب و امه ناجيه" و بعد موت سامه"

ورث حارث ناجيه" و مات غالب و حارث ابنى سامه" بدون أن يعقبا أولادا ، و بذلك يكون نسل ناجيه" بنت جرم بن ريان العلاف هم بنو سامه" بن لؤى وأسهم هى بنفسها ناجيه" أرسله" سامه" وينسبون إلى حارث بن سامه" و هم بأنفسهم الذين اشتراهم مصقله" من على بن أبى طالب واذا أردنا الاستدلال على ذلك فاننا نورد فيما يلى قول علقمه" الخضمى التميمى :

زعمتم أن ناجى بنت جرم عجوز بعد مابلى أنسام

فان كانت كذلك فألبسوها فان الحلى للأنثى تمام

و مثل هذا القول أيضا ورد عن هيثم بن عدى ولكن الزبير بن بكار قد عدهم فى قريش و قال : " هم عازبه" قريش " و لهذا يطلق عليهم عازبه" ، و لنفس هذا السبب صاروا منعزلين ، وقد نسبوا إلى أسهم ناجيه" بنت جرم بن ريان و كان علافا .

أما اسم ناجيه" فهو، ليلى وحدث أنها كانت ذاهبة" مع ريان فى الصحراء مرة ولما عطشت طلبت الماء فقال لها إن الماء أمامك ، وأشار إليها على السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، فظلت تمشى حتى وجدت الماء ، فشربت ونجت من موت محقق .

وقد ألحقهم زبير بن بكار بقريش نظرا لمسلكه ، فقد كان مخالفا لعلى بن أبى طالب و يميل لبنى ناجيه" ، و هذا أمر مشهور و معروف عن زبير . وقد تبين من التفصيل الذى ورد فى كتاب الاغانى أن سامه" بن لؤى لم يسكن فى عمان ، وانما أقام فى البحرين ، و هذا يخالف جميع التصريحات التى جاءت فى هذا الشأن . والدليل الذى ساقه القائلون باخراج بنى ناجيه" من قريش

انه بعد وفاة سامة" بن لؤى تزوجت أرسلته بشخص من البحرين فولدت منه الحارث وأن غالب لم يرث زوجة" أبيه ناجية" بعد وفاته ، وأهل الأنساب فى ذلك الحين قد اتفقوا على أن الذى ورث ناجية" والدة غالب بن سامة" هو الحارث بن سامة" شقيقه و منه تسلسل أولاد بنى ناجية" ، ولا يكتفى الأصدقاء بذلك وانما زينوا قصصا وبالغوا حتى وضعوا أحاديث نسبوها للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أنكر ابن الكلبى وهيثم بن عدى أولاد غالب و حارث ، وقالا : إنها لم يعقبا ولم يمتد نسلهما وأن الرهط الذين اشتهروا باسم بنو ناجية" كانوا ينتمون إلى أى قبيلة" وهم الذين قتلهم على بن أبى طالب و سجنهم و نرى صاحب الأغانى يميل إلى هذا الرأى ، و يظهر رجحانه ، و يرى أن الزبير بن بكار قد سعى لالحاق بنى ناجية" بقريش لاظهار عدم رضائه عن اسلوب على كرم الله وجهه ، و هذا توجيه يتبع ذوق الكاتب كما ذكر صاحب كتاب الاغانى أن هناك اجماع على عداوة بنى ناجية" لعلى بن ابى طالب و من اهم ما يجب ذكره ان بنى ناجية" الذين وصفوا بالارتداد كانوا قد انحرفوا عن الاسلام قبل ذلك بكثير و ان ارتدادهم ليس له علاقة" بسياسة" او خلافة" على أو التحكيم ، ولما تولى على الخلافة" قاتلهم فاشتراهم منه مصقلة" ولا تعلق لمعقل بن قيس بذلك . و فيما سيأتى من كلام المسعودى ومصعب الزبيرى سنجد أنهما قد صرحا باسم قيس ، ولكن ابن حزم قد قرر أن وقوع تلك الحادثة" كان فى عهد على بن أبى طالب ولم يدرج اسم معقل بن قيس وكتب أن على هو الذى حاربهم و سجنهم ، و أن مصقلة" الشيبانى قد اشتراهم منه و الذى يجمع عليه المؤرخون والنسابة" فى أقوالهم وتصريحاتهم أنه كان لبنى سامة" فى عمان رقى و مكانة" ، و كان من بينهم أصحاب الفهم والفراسة" الذين ظهر منهم فيما بعد أرباب السياسة"

و أهل الفضل والكمال فكان منهم المحدث ، والشاعر ، و الحاكم و أصحاب المناصب العاليه في الحكومه ، و بلغ من كثرتهم أن كل شخص منهم تفرع وتشعب نسله حتى انتشروا في كل عمان و ما حواليها منهم بنو ناجيه و بنو الحارث و بنو سعد و بنو عبد البيت ، ورهط أسلم بن كرب ، ورهط منصور بن منجاب ، و غيرهم من القبائل المشهورة .

و بنو ناجيه خاصه هم الذين ملكوا و حكموا و لذلك طعن فيهم وحدهم ، وقد ظهرت قوتهم لأول مرة في معيه على كرم الله وجهه التى انتهت بواقعه التحكيم وانفصالهم عنه سنه ٣٨ ﻫ و في المرة الثانيه سنه ٢٠٠ ايام احتكاك حاكم الموصل مع بنى ثعلبه ، أما المرة الثالثه التى كشفت عن مدى قوتهم و شوكتهم فهى عند ما أقاموا حكومه لهم في عمان أولا ثم في الملتان في عهد الخليفه المعتضد من سنه ٢٧٩ إلى سنه ٢٨٦ ﻫ و كان محمد بن قاسم بن منبه السامى قد اتخذ حاكمين على هاتين الحكومتين في كلتا الجهتين من بنى سامه ، و كان يطلق على حكام " بنو سامه " في الملتان " بنو منبه " ، و من قبل ذلك بكثير كان الفضل بن ماهان قد حصل على الحريه وصار عتيقا منهم وأقام حكومه في سندان ، ظلت قائمه حتى عهد المعتصم .

ذكر " بنى سامه " على لسان الرسول

لقد صرح الأمير ابن ماكولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال للقيط بن عباد بن بجيد السامى : " أنت منى وأنا منك " ، وأنه أيضا قد قال عند مقابلته لوفد بنى سامه : " هؤلاء قوم لد " .

وفضلا عن ذلك فان الامام السمعانى قد كتب في مقدمه كتاب

الأنساب حادثة وبين سندها و ساق دليلها ، فيذكر أن عبد الرحمن بن حارث قد سأل مرة فى مكان يقال له العقيق سعيد بن زيد بن عمر فى شأن سامة بن لؤى فأجابه : إننا سألنا رسول الله فقلنا :يا رسول الله سامة منا أم نحن منه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " بل هو منا ألم تسمعوا قول شاعر الناقة "

و يذهب ابن اسحاق إلى أن الرسول كان يقصد بقول شاعر الناقة الأبيات الاتية :

أبلغا عاسرا و سعدا رسولا	ان نفسى إليكما مشتاقة
ان فى عمان دارى فاننى	ماجد ما جرحت عند فاقة
رب كأس هرقها ابن لؤى	حذر الموت لم تكن مهراقة
لا أرى مثل سامة بن لؤى	يوم حلوبه قتل الناقة [١٨]

والبيت الثالث من هذه الأبيات مذكور فى كتاب الأغانى و كان قد أنشده كعب بن لؤى بعد علمه بلدغ الحية لأخيه سامة ، ولأن كعب قد قص فى هذه الأبيات حادثة الناقة فقد سمى بشاعر الناقة.

دعوة الاسلام فى سنة ٨ بعمان

و قبول سامة الاسلام

فى السنة الثامنة أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم عمرو بن العاص وأبا زيد الأنصارى الى عمان للدعوة للاسلام ، وقد قبل كل من الأخوين الحاكمين هناك آنذاك وهما عبيد بن الجلندى و جيفر بن الجلندى الاسلام عن رضا ورغبة و لم يقفا عند هذا و انما قاما بالدعوة بين أهل عمان

١٨) كتاب الانساب للسمعانى ورق ٤ طبع اوروبا .

للاسلام ويقول البلاذرى : و دعوا العرب هناك إلى الاسلام فأجابوا إليه ورغبوا فيه [١٩] .

والظاهر أن بنى سامة المستوطنين فى عمان كانوا قد أسلموا قبل ذلك .

مقابلة وفد بنى سامة و خريت بن راشد للرسول

ليس من المعلوم على وجه اليقين والتحديد ، متى أسلم بنو سامة ولكن الثابت أن وفدا منهم قد قابل الرسول ، و تذكر لنا كتب التاريخ ثلاثة أسماء من هذه القبيلة ، أحدهما خريت بن راشد الناجى ، وثانيهما لقيط بن عباد بن بجيد ، وثالثهما منجاب بن راشد الناجى رضى الله عنهم .

و قد كتب الامام أمير ابن ماكولا فى الاكمال ما يأتى .

الخريت بن راشد الناجى لقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بين مكة والمدينة فى وفد بنى سامة فاستمع لهم [٢٠] و قال لقريش هؤلاء قوم لد [٢١] .

و فى مكان آخر كتب الحافظ ابن حجر فى الاصابة : خريت بن راشد الشامى

---

١٩) فتوح البلدان ص ٨٧ .

٢٠) الاكمال ج ٢ ص ٣٢ .

٢١) الاصابة ج ١ ص ٤٢٣ .

(السامى) له ادراك[٢٢] .

وفادة لقيط بن عباد السامى عند الرسول

وقد روى الامام الأمير ابن ماكولا مايأتى :

ولقيط بن عباد بن بجيد بن بكر بن عمرو سواءة بن سعد بن عبيدة بن الحارث بن سامة بن لؤى. ذكر أبو الفوارس السامى أنه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم و قال له أنت منى وأنا منك ـ ذكره شبل فى نسب سامة بن لؤى [٢٣] .

و فى الاصابة : لقيط بن عباد السامى بالمهملة قال ابن ماكولا له وفادة [٢٤] .

لقاء منجاب بن راشد الناجى لرسول الله

و مما هو ثابت أيضا أن منجاب بن راشد الناجى شقيق خريت بن راشد قد مثل أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وكتب الحافظ ابن حجر : منجاب بن راشد الناجى. ذكره أبو الحسن المدائنى و سيف بن عمرو فيمن أسر على كور فارس فى خلافة عثمان ممن لقى النبى صلى الله عليه وسلم و آمن به هو وأخوه الخريت[٢٥].

---

٢٢) الاصابة ج ١ ص ٤٥٥ .

٢٣) الاكمال ج ١ ص ١٨٨ .

٢٤) الاصابة ج ٣ ص ٣١٢ .

٢٥) الاصابة ج ٣ ص ٤٣٨ .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم و انتشار الردة فى عمان كالوباء كان من بين القبائل التى ارتدت قبيلة أزد و مهره بن حيدان و القبائل الأخرى ، ولكننا لانلمح اسم بنى سامة فى المرتدين ، فى أى كتاب من الكتب المعتبرة ، بل إنه يظهر من بعض الروايات أن خريت بن راشد كان يقاتل المرتدين، و فى الاصابة :

و روى سيف عن القاسم بن محمد أنه كان على بنى ناجية فى حروب الردة و كان أحد الأمراء حينئذ [٢٦] .

و فى مقابلة هذه الرواية فان قول صاحب الأغانى من أن بنى ناجية قد ارتدوا عن الاسلام وأن عليا فى خلافته دعاهم إلى الاسلام فأسلم بعضهم واستمر الباقون على الردة فقبض عليهم ، غير معتبر [٢٧] .

قوة بنى سامة فى عهد الخلفاء الراشدين

كان لخريت وأخيه ، منجاب شأن كبير فى الحكومة أيام الخلفاء الراشدين و كان لهما ايضا دخل فى السياسة ، خاصة خريت الذى كان أمير قومه بنى ناجية ، اذ كان حكمه فيهم مطاعا ، وأمره بينهم نافذا ، كما كان على هذه الصفة زمن الردة فجمع قومه ، وقاتل المرتدين ، و حصل فى النهاية على الامارة والسيادة فيهم و صار مسئولهم ، وقد ولاه عبد الله بن عامر منطقة فى فارس ، وتذهب بعض الروايات إلى أنهم كانوا منحازين إلى عثمان بن عفان و فى حروب الجمل وقف خريت بصفته أميرا على القبيلة "مضر"، و حارب

---

٢٦) الاصابة ج ١ ص ١٨٨ .

٢٧) الاكمال ج ٢ ص ٤٣٢ .

مع طلحة والزبير [٢٨] . و فى خلافة عمر رضى الله عنه عين منجاب أخاه واليا على منطقة فى فارس ، كما صرح بذلك ابن ماكولا ، ولكن الحافظ ابن حجر قد ذكر أن إمارته على منطقته فى فارس كانت فى عهد عثمان فكتب : " و كانا عثمانيين فهربا من على " [٢٩] و قد انحاز كلا الأخوين فى مشاجرات الصحابة إلى عثمان رضى الله عنه . ولما كان خريت بمثابة زعيم ورئيس لبنى سامة فان التهم كلها ألصقت ببنى سامة جميعهم .

موقف خريت وبنى سامة فى عهد على رض

على ضوء أقوال المحدثين

فى عهد على كرم الله وجهه عرضت قصة خريت و بنو سامة فى ثوب جديد فوصموا بالارتداد و طعنوا فى نسبهم ، و وصفوا بعداوتهم لعلى ، على نحو ما ذكرنا سابقا ، ولكن المحدثين و العلماء و الرجال و الرواة قد تناولوا تلك المسألة باحتياط فائق وبشعور من المسئولية الكبيرة و قد كتب الأمير ابن ماكولا مايأتى :

و كان الخريت على مضر يوم الجمل مع طلحة والزبير رضى الله عنهما و كان عبد الله بن عامر قد استعمله على كورة فارس قاله سيف و قال المدائنى هرب الخريت من على رضى الله عنه فسرح إليه معقل بن قيس الرياحى فهزمه و خرج إلى مكران أخوه المنجاب بن راشد استعمل على كورة فارس فى خلافة عمر رضى الله عنه [٣٠] .

---

٢٨) الاغانى ج ١ ص ٢١٦ .

٢٩) الاصابة ج ٣ ص ٤٣٨ .

٣٠) الاكمال ج ٢ ص ٤٣٢ .

و يظهر من ذلك ان خريت كان قد انحاز الى عثمان فى حرب الجمل سنه ٣٦ وأنه ترأس قبيله مضر ، واشترك معه أخوه منجاب ، و لخوفهما من على رض فيما بعد فانهما هربا ، كما ذكر ذلك ابن حجر و كتب عن منجاب ما يأتى:
و كانا عثمانيين فهربا من على فأما الخريت فانه أفسد فى الارض فسير إليه على جيشا فأوقعوا ببنى ناجيه [٣١].

و نقل ابن حجر قول سيف بن عمر فى شأن خريت بن راشد من أنه كان زعيما لكل قبيله مضر فى حرب الجمل فكتب : " قال سيف و كان الخريت على مضر كلها يوم الجمل "، كما نقل بعد ذلك قول الزبير بن بكار من أن خريت كان مع على حتى واقعه التحكيم سنه ٣٨ ه ثم خالفه بعد ذلك ، و ذهب إلى فارس و لما أغار على بجيوشه ، التحم معها و قاتل ، و فيما يلى ما كتبه ابن حجر :

و قال الزبير بن بكار كان مع على حتى حكم الحكمين ففارقه إلى بلاد فارس مخالفا فأرسل إليه معقل بن قيس و جهز معه جيشا فحشد الخريت من قدر عليه من العرب والنصارى فأمر العرب بمنع الصدقه و النصارى بمنع الجزيه وارتد كثير ممن كان أسلم من النصارى فقاتلهم معقل و نصب رايه و نادى : من الحق به فهو آمن فانصرف كثير من أصحاب الخريت فانهزم الخريت فقتل [٣٢] .

والروايات التى أدرجها الحافظ ابن حجر والأمير ابن ماكولا لسيف

---

٣١) الاصابة ج ٣ ص ٤٣٨ .
٣٢) الاصابة ج ١ ص ٤٢٣ .

ابن عمرو المدائنى ليس بها غير أن خريت و شقيقه منجاب كانا ضد على بن أبى طالب وأنهما خالفاه فى حرب الجمل وخرجا ضده مع كل قبيلة" مضر ولخوفهما منه هربا إلى فارس .

ولما كان خريت رئيس قومه، وزعيم رهطه، فقد قام بأعمال تخريبية" مما دعا على لمحاربته بجيش على رأسه معقل بن قيس ، لأن الخريت كان قد جمع قومه و منع المسلمين من تأدية" الزكاة والنصارى من تأدية" الجزية" ، و بذلك ارتد كثير من النصارى الذين كانوا قد أسلموا ، و قد انتصر معقل على خريت وطبقا لكلام ابن ماكولا فان خريت لجأ إلى مكران ، وتبعا لكلام ابن حجر فانه قد مات فى الحرب ، ولكن رواية" الزبير بن بكار فانها تذهب إلى أن خريت كان فى البداية" مع على ، ثم انفصل عنه بعد التحكيم .

و أما هذه الوقائع فان المؤرخين والنسابين قد قرروا ارتداد خريت بناء على أنه أمر قومه بمنع تأدية" الزكاة لعلى ، وقد أفاض فى ذلك المسعودى ولكونه علوى الذهن فانه قد حاول بكل الطرق ، و مختلف الأساليب خفض بنى ناجية" ، و اهدار حقوقهم .

****

الحكومات العربية فى الهند و السند

(٨)

تأليف : القاضى اطهر مباركپورى

ترجمه : الاستاذ عبدالعزيز عزت عبد الجليل

اتهامات خريت و بنو سامه

كتب المسعودى أنه فى سنة ٣٨هـ عندما فرغ على كرم الله وجهه من قتال الخوارج فى النهروان، نزل فى مكان يقال له ''فروكش''، و تفرق الجيش و لم يبق سوى بعض الجند ، و فى هذه الاثناء انشق حارث بن راشد الناجى و معه ثلثمائة من قومه و تنصروا فيما بعد ونذكر فيما يلى ما كتبه المسعودى :

وهم من ولد سامة بن لؤى بن غالب من ولد اسماعيل عند أنفسهم وقد أبى كثير من الناس و ذكروا أن سامة بن لؤى ما أعقب وقد ذكر عن على فيهم ما قد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن على -[1]

و كتب بعد ذلك أن على بن أبى طالب قد أرسل لمعقل بن قيس لتأديبه فقتل حارث بن راشد الناجى وكل من معه من المرتدين فى ساحل البحرين و سبى نساءهم و أطفالهم و وضعهم فى الأهواز - و كان مصقلة بن هبيرة الشيبانى حاكما عليها من قبل على ، فلما رأينه نسوة بنى سامة استعطفنه، وناشدنه أن

---

(١) مروج الذهب، ج ٢، ص ٤١٨ -

يفك سراحهن، فاشتراهن من معقل بثلثمائة ألف درهم، و دفع من ثمنهن مائتى ألف درهم و هرب فيما بعد الى معاوية و لما بلغ ذلك على قال : ان مصقلة قد فعل فعل الأحرار ولكنه هرب كالعبيد ولو أنه لم يهرب لأمهلته فى دفع الباقى ، و لو وجدته معسرا أو مجبورا لأعفيته ، و أطلقت سراحهن و حررتهن، وقد اسف مصقلة على ذلك كثيرا، و ندم على ما فعل، و أظهر ذلك فى البيتين الاتيين :

تركت نساء الحى بكر بن وائل وأعتقت سبيا من لوى بن غالب

و فارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب

كما أنشد عن تلك الواقعة شاعر آخر تناول الموضوع من زاوية أخرى فقال :

و مصقلة الذى قد باع بيعا ربيحا يوم ناجية بن سامة

وأنشد على بن محمد بن جعفر العلوى فى شان المنسوبين الى سامة بن لوى :

و سامة منا فاما بنوه فامرهم عندنا مظلم

أناس اتونا بانسابهم خرافة مصطبح يحلم

وقلنا لهم مثل قول الوصى وكل اقاويله محكم

اذا ما سئلت فلم تدر ما تقول فقل ربنا يعلم

وقد بين المسعودى مثالا على عداوة و انحراف بنى سامة عن على بن أبى طالب من أن الشاعر على بن الجهم الساسى كان يلعن أباه فلما سئل عن ذلك قال : لماذا أسمانى والدى عليا، وهكذا يجرى المسعودى وراء كل ما يجده من الساسيين مخالفا لعلى -١

---

(١) مروج الذهب ، ج ٢، ص ٤١٨ الى ٤٢٠-

القصص حول ارتداد بنی سامه*

کتب مصعب الزبیری عن قصة الارتداد هذه باختصار فقال : و بنو عبد البیت الذین قتلهم علی بن أبی طالب رحمه الله و کان رئیسهم الخریت بن راشد بعث الیهم علی معقل بن قیس الریاحی أحد بنی یربوع وکان الخریت قبل ذلك مع علی رحمهالله ثم فارق حین حکم الحکمین خالف علیا -١

کما کتب الامام بن حزم عن تلك الواقعة ما یاتی : و من بنی عبد البیت أصحاب الخریت بن راشد الذین ارتدوا أیام علی رضی الله عنه فحاربهم و قتلهم و سبی نساءهم و أبناءهم فابتاعهم مصقلة الشیبانی واعتقهم ثم هرب الی معاویة فامضی علی عتقه ایاهم -٢

و کتب المسعودی فی ذلك أیضا ما یاتی : و مضی الحارث بن راشد الناجی فی ثلاثمائة من الناس فارتدوا الی دین النصرانیة -٣

و اول من صرح بارتداد ثلثمائة من بنی عبد البیت من آل بنی سامة هو المسعودی، ولم یشر ابن قتیبة او مصعب الزبیری الی شیٔ من ذلك قبله، و لکن الامام ابن حزم قد کتب عن ارتداد هم بعده ـ ولکنه لم یصرح بتنصرهم ـ

و اننا لا نستطیع فهم او قبول قصة ارتدادالخریت بن راشد و قومه فی عهد علی، فلعل الحکم بارتداد بنی سامة کان لأجل تبریر مسلك معقل معهم، من قتلهم و سبی نسائهم ، وأطفالهم، و بیعهم، بناء علی أن هذه الصورة تنافی القول

(١) نسب قریش، ص ٤٤٠ -

(٢) جمهرة انساب العرب، ص ١٧٣ -

(٣) مروج الذهب، ج ٢، ص ٤١٨ -

باسلامہم ۔ و لذلك نظير فيما كتبه ابن الاثير عن الحكام السنيين من أسرة الغزنوى فى تبرير حملتهم على الهاربين فى المنصورة، من انهم كانوا قد ارتدوا عن الاسلام فان هذه القبيلة قد أسلمت طواعية و اختيارا ولا نجد مستندا لارتدادها، او تنصرها، فى زمن الردة أو بعد مضى ثلاثين عاما على اسلام جميع أفرادها لمجرد غضبهم و سخطهم بعد التحكم، ان الصحيح فى نظرنا و القريب الى فهمنا أنه ليس هناك من ارتد من بنى ناجية، و الذى يمكن قوله، هو أنهم امتنعوا عن دفع الزكاة لعلى و هذا لايمنع من وجود أناس آخرين من طبقة النصارى الذين كانوا قد أسلموا قد ارتدوا، وقد كتب الحافظ بن حجر : ''و ارتد كثير من كان أسلم من النصارى،، ۔

القصص حول مخالفه" بنو سامه" لعلى

ذكر المسعودى أنه بينما يوجد أى فرد من بنى سامة فانه و لاشك عدو لعلى بن أبى طالب فهو يقول : ''ولست ترى ساميا الا منحرفا عن على،، ۔

و يدلل المسعودى على دعواه تلك، بان على بن الجهم الشاعر العربى المعروف كان يلعن أباه لأنه سماه عليا ، و لكن مصعب الزبيرى و ابن قتيبة و ابن حزم لم يذكروا شيئا مثل هذا ، ولو كان شيئا من ذلك قد ثبت لكتب عنه على الأقل الامام ابن حزم، كما تكلم عن ارتدادهم ۔

و قد قرر صاحب كتاب الأغانى الاجماع على عداوتهم لعلى مثل المسعودى و هذا خطأ بين ، فليس كل سامى بمنحرف عن على ، بدليل أن الامام الأمير ابن ماكولا قد صرح فى شان خلاص بن عمرو بن منذر بن أصبح بن عبدالله السامى بالاتى : ''كان فقيها من أصحاب على بن أبى طالب،، ۔[1]

---

(۱) الا كمال، ج ۱، ص ۹۹ ۔

كما أنه لوكان كل ساسى مخالفا لعلى، و عداوته فى قلوبهم و ضمائهم ما كانوا ليجلوا الخوارج فى خلافة المعتضد من عمان، وهم أعداء على، و انما كانوا انضموا اليهم و ساعدوهم بكل طريقة ، و لكنهم كانوا على خلاف معهم، فاخرجوهم من عمان و ألجئوهم الى منطقة جبلية يطلق عليها ''يروى،، و أقاموا حكومة تحت شعار أهل السنة و الجماعة، كما سيأتى ذلك مفصلا فى بيان العلامة ابن خلدون، و مما تجدر الاشارة اليه أيضا هنا أن بنى سامة، المعروفين ببنى منبه فى الملتان وهم من أهل السنة و الجماعة ، لم يتعرضوا للاسماعيليين أو الشيعة و انما تركوا لهم الحرية حتى استطاعوا أخيرا قلب حكومتهم ـ

و لعل العلويين و الشيعة قد عملوا على القضاء على حكومة بنى سامة و اقامة حكومة شيعية لما عرف عنهم، بانهم أعداء على، و عموما فانه لا يوجد أى دليل أو مثال يؤكد انحرافهم اثناء غلبتهم على الملتان و عمان ـ

الامارت و المشيخات الموجودة لبنى سامة فى عمان

حكم بنو سامة فى العهد الأموى و الملتان ثم طوى التاريخ بساط حكومتهم ، و لكن ظل بعض أفراد منهم يملك و يسود فى عمان و حتى هذه الأيام تمتد الحكومة فى نسلهم ـ

وقد كتب عالم مؤرخ معاصر كتابا فى أنساب و قبائل أهل عمان بعنوان : ''اسعاف الأعيان فى أنساب أهل عمان،، و ذكر فيه ان مشيخة عمان الحالية يرجع نسب حكامها الى بنى سامة ـ

و فى عمان اليوم عائلات كثيرة مختلفة من بنى سامة أشهرها ''بنو غافر،، و منطقتهم ''وادى غافر،، و تشتمل على عدة قرى و مركزها ''خفندى،، و

يعتبر آل العطابى فرعا من بنى غافر، وهؤلاء هم أولاد راشد بن حميد بن راشد ابن ناصر الذين كانت لهم حكومة فس حيرين و نهلى -

وفى عام ١٣٣٤هـ أخرج سالم بن راشد الفروضى، السلطان ناصر بن حميد، آخر حاكم لهذه الأسرة فى ''بهلى،، و أولاده الان يقيمون فى احدى المدن خارج قلعة ''جبرين،، أما الفرع الاخر فهم آل صالح بن على أمرآء نباريه و مشرقى عمان و مركزهم ''قابل،، و حكومتهم على سفالة ''أنرى،، -

و الفرع الثالث آل الحارث بن كعب، ولهم السيادة على سالكى وديكى و شبلى وغير ذلك -

و يعتبر الحاكم الحالى الأمير أحمد بن محمد بن عيسى بن صالح من أقرباء سعيد بن تيمور سلطان عمان و مسقط من آل الحارث بن كعب و فضلائهم و الفرع الرابع آل ناصر وهم أمراء على عينبن و درتتين و الفرع الخامس آل عزره و منهم رؤساء و علماء و مركزهم شهراز -١

القصص حول الطعن فى نسب بنى سامة

عرفنا أن اعداء بنى سامة قد حاولوا الطعن فى نسبهم، و أنهم قوم مجهولوا النسب و أن ادعاءهم السامية كذب و بهتان و قد كتب المسعودى : وهم من سامة بن لؤى بن غالب من ولد اسماعيل عند أنفسهم و قد أبى كثير من الناس و ذكروا ان سامة بن لؤى ما أعقب - ٢

كما كتب مثل ذلك العلامة ابن خلدون و لعله قد تاثر بما كتبه المسعودى -

---

(١) اسعاف الاعيان فى انساب اهل عمان / ١٨ - ٢١ -

(٢) مروج الذهب، ج ٢، ص ٤١٨ -

اما ابن قتيبة و مصعب الزبيرى و ابن حزم فانهم لم يكتبوا شيئا عن ذلك بل ان أقوالهم و تصريحاتهم كافية لتكذيب هذا الادعاء ـ و انه لمن العجيب المحير أن يكتب المسعودى و ابن خلدون ما كتبا بينما نجد الامام ابن حزم يصدر كلامه عن ''بنى سامة،، ببيت من الشعر هو:

''وسامة منا فاما بنوه فامرهم عندنا مظلم،،

و هذا البيت لعلى بن محمد بن جعفر العلوى ثم يأتى المسعودى فينقل الينا باقى أشعاره ليدلل بذلك على جهالة نسب بنى سامة ـ

ولا شك أن المحاولات التى قام بها أحد العلويين و ابن الكلبى و هيثم ابن عدى و صاحب الأغانى و المسعودى للنيل من نسب بنى سامة لم تنجح، و ان على بن محمد بن جعفر العلوى بعد أن قال ما قال احترز من تقرير كذبه صراحة ـ

و من العجيب كذلك أن المسعودى عند ما تكلم عن حاكم الملتان من بنى سامة لم يظهر أى شك أو شبهة فى نسبه فكتب يقول: و صاحب مملكة بلد الملتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب ـ١

و فى مكان آخر يكتب عن حاكم الملتان معترفا بقرشيته فيقول: ''و الملك بها أبو اللهاب المنبه بن أسد القرشى،، ـ٢

كما كتب العلامة الاصطخرى العالم الجغرافى المعاصر للمسعودى عن حاكم الملتان: ''و أميرهم قرشى من ولد سامة بن لؤى ،، ـ٣

---

(١) مروج الذهب، ج ١، ص ٩٩ ـ
(٢) مروج الذهب، ص ١٦٧ ـ
(٣) مسالك الممالك، ص ١٧٥ ـ

و يتضح من مجموع ذلك أن الاسماعيليين و العلويين هم الذين حاولوا اضعاف بنى سامة و القضاء على شوكتهم، فاستغلوا تلك الدعوى كحربة قاتلة، حتى لقد تاثر بدعاياتهم بعض المؤرخين، مما يدل عليه قول ابن رسته الاتى : و بالملتان قوم يزعمون أنهم من ولد سامة ابن لؤى يقال لهم بنو منبه -١

ولكن هذا قد يحمل على أنه احتياط من ابن رسته فى دعوى النسب فكلامه هذا لايحمل تكذيبا ولا تشكيكا - و ليس الطعن فى الأنساب أو محاولة الارتفاع بها بشئ جديد فى التاريخ، و لقد كان آل سامان فيما وراء النهر اعاجم النسب و أطلق عليهم الملوك السامانيون و كانوا يدعون أنهم من أسرة سامة بن لؤى، وقد كتب عنهم ابن خلدون : و ينسبون فى الفرس تارة و الى سام بن لؤى ابن غالب أخرى -٢

بينما الناس الذين هم حقيقة من بنى سامة يسعى مخالفوهم للنيل منهم و الطعن فى نسبهم و يتواطأ على ذلك معاصروهم ، من العلويين، و الاسماعيليين، و القراسطة و الروافض - و لنسمعك رواية أخرى عجيبة و مشوقة فى حلقات تلك الروايات المتعددة -

كتب صاحب الأغانى عند ذكره لمروان بن أبى حفظة الأصغر أن على ابن الجهم السامى أراد أن يتزوج بامرأة من قريش فانكر أهلها و لما علم الخليفة المتوكل السبب فى الرفض قال أن" ابابكر و عمر قد قررا خروج بنى سامة من قريش، و لكن عثمان رضى الله عنه أدخلهم فيها، و الحقهم بها ولما كان عهد على اخرجهم من قريش ، و لهذا ارتدوا مع رئيسهم الحارث فقاتلهم على و سجنهم فاشتراهم

---

(١) الاعلامة النفسية لا بن رسته - ص ١٣٥ -

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٣١١ -

مصقلة منه، و لما سمع المتوكل كل هذه القصة ضحك و قال فيها على بن الجهم :
(هذه الدعوى من الرافضة و شتم القوم) ـ

اهم الشخصيات من بنى سامة[1]

لقد ظل بنو سامة على مر العصور لهم شأن، فكان منهم الحكام و الامراء و القضاة و المحدثون، و الفقهاء ، و الشعراء ، ولأنهم قد طعنوا فى نسبهم، فقد دعا ذلك رجال الأنساب بالاهتمام بهم ، و ذكر مشاهيرهم فى العلوم و الفنون و قد عرفنا سابقا ان خريت بن راشد، و شقيقه منجاب كانا حاكمين فى فارس و بعد النزاع بين على و عثمان انضما الى طلحة و الزبير، كما عرفنا ان فقيم بن زياد أحد بنى سامة قد قتل فى حرب الجمل أثناء احاطته بهودج السيدة عائشة رضى الله عنها

وسوف نعرض فيما ياتى نبذا مختصرة عن احوال بعض الأشخاص الممتازين من بنى سامة أخذا من كتاب الاكمال للامير ابن ماكولا حتى نستطيع أن نقف على أعمالهم و أفضالهم

(١) عبدالله ذو الرمحين، و نسبه عبدالله ذو الرمحين بن قطن بن شمر بن حزم بن ذهل السامى و اقب بذى الرمحين لشجاعته و كان بنو سامة يرفعون أصواتهم باسمه فى الحروب للتشجيع و فى اشعار الغزوات :
"يا عبد الله ذو الرمحين"

(٢) عباس بن منصور أحزم و نسبه أبو سلمى عباد بن منصور بن عباد بن سامة بن حارس بن قطن بن مدلج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو

---

(١) الاكمال، ج ١، ص ٣٩ ـ

ابن مالك بن عبيدة بن حارث بن سامة بن لؤى و لقبه أحزم، و كان قاضى البصرة و قد روى الحديث عن الامامين أبو رجاء العطاردى و قاسم بن محمد و روى عنه الامام شعبة و أبو سفيان الثورى و ابن عون -

(٣) سلمة بن عياد بن أبى سلمة بن عباد بن منصور احزم و كان من شجعان البصرة وله شهرة فى ذلك -

(٤) حديد بن عوف بن ذهل بن عوف بن حجزم بن أبى بكر بن عمر و بن عوف عباد بن لؤى بن حارث بن سامة بن لؤى بن غالب بن فهر وقد ذكره الدار قطنى و لكنه ذكر بدلاسن حديد "حديد" -

(٥) أبو فراس الساسى و كان ماهرا فى أنساب بنى سامة وقد استدل ابن ماكولا باقاويله فى أماكن كثيرة وأظهر صحتها -

(٦) خلاس بن عمرو بن منذر و كان فقيها من أعوان على و أصحابه وكانه زاهدا عابدا -

(٧) زياد بن عمرو بن منذر و هو شقيق خلاس و اطلق عليه زياد حوارين نسبة الى حوارين فى البحرين لأنه هوالذى فتحها و له عشرة أولاد -

(٨) نافع بن عمرو بن منذر شقيق زياد و خلاس و من أولاده أبو عمرو حميد بن سعيد بن عبد الله بن حميد بن الحارث بن نافع بن عمرو -[1]

(٩) محمد بن عرعره بن يزيد بن نعمان بن عبدالله بن طلحة بن اقفع بن كرمان بن حارث بن حارثة بن مالك بن سعد بن عبيده بن الحارث بن سامة

---

(١) الاكمال، ج ١، ص ٩٩ -

بن لؤی و کان له اخوة منهم (١) محمد بن عرعره الذی روی عن شعبه ۔

(١٠) عبدالملك بن بشير السامی البصری و ابراهيم بن حجاج السامی و مهنا بن يحيی السامی من رواة الحديث و قد أدرج السمعانی فی کتابه حالات العلماء و المحدثين من بنی سامة کما تناولتهم کتب التاريخ بالذکر ۔

کابس بن ربيعة بن مالك شبيه رسول الله

ذکر العلامة محمد بن حبيب البغدادی فی کتابه تحت عنوان " المشبهون برسول الله صلی الله عليه وسلم من قريش عدة اشخاص "، و من هؤلاء کابس بن ربيعة بن مالك بن عدی بن أسود بن حيثم بن ربيعة بن حارث بن سامة بن لؤی ابن غالب، و قد کتب عبدالله بن عامر بن کرير عامل معاوية علی البصرة اليه انه يوجد بالبصرة شخص من بنی ناجية يشبه رسول الله فی الصورة فکتب اليه معاوية أن يرسله اليه فارسله ؛ فلما قدم علی معاوية ورآه مقبلا قام عن سريره و قبله بين عينيه وسأله ممن انت فقال من بنی سامة بن لؤی فقال کيف کتب الی انك من ناجية فقال و الله يا امير المؤمنين ما ولدتنی و ان الناس لينسبوننی اليها ۔(١)

وقد أکرمه معاوية کثيرا و منحه ضيعة علی مسافة ثلاثة فراسخ من البصرة ۔

ولا شك ان وجود شخص من بنی سامة شبيها بالرسول لأمر عظيم يدعوهم للفخر و ان کانت هذه القصة لم تخل روايتها من الاشارة إلی تجريح قرشيته ۔

عمرو بن نافع و عبدالجبار بن شجرة السامی فی الهند

لم ينحصر اهل العلم و ارباب الفضل من بنی سامة فی البلاد العربية فقط ۔

---

(١) کتاب المنحق، ص ٥٣٦، طبع حيدرآباد، سنة ١٩٦٥ ۔

و انما انتشروا فی کل الجهات ، فذهبوا الی الهند، وغیرها، وقد کتب الأمیر ابن ماکولا فی الاکمال عن بعض من اولئك : و أما خریز فهو خزیر بن عبید ابن بکار بن کعب من ولد سامة بن لؤی ومن ولده عمرو بن نافع و عبدالجبار بن شجره وهم بالسند قاله ابوفراس السامی -(١)

ولا یتضح من ذلك أن خریز بن عبدالله السامی قد جاء الی السند بنفسه أم لا ولکن هذا یثبت ان أولاده کانوا موجودین هناك و من أشهرهم عمرو بن نافع و عبدالجبار بن شجرة و الظاهر أن نسلهم قد امتد فی السند ـ

بدءالعلاقات السیاسیة بین بنی سامة و الهند

من الواضح أن عمان لیست ببعیدة عن الهند کثیرا، و یغلب علی الظن أن بنی سامة کانت لهم علاقات قدیمة بمکران و السند، و أن خریت بن راشد قد وفد الی الهند فی أول عهد الا سلام ، و تدل روایة الأمیر بن ماکولا أنه جاء الی مکران بعد حربه مع معقل بن قیس فی نصف القرن الأول، و فی النصف الثانی یکشف لنا التاریخ عن سیطرة أحد أفراد بنی سامة هو حمیم بن سامة بن ساقی فی جهة ما من الهند، فبعد هزیمة ابن أشعث جاء محمد بن الحارث العلافی و معه حمیم بن سامة الی الهند و لما فتح محمد بن القاسم السند لجأ هذا الشخص الی " راجا جی سنج "، و عند ما هرب هذا الراجا الی کشمیر ظل معه حمیم، و کان حاکم کشمیر قد أقطع هذا الراجا الهارب من وجه محمد بن القاسم منطقة هناك وقد توفی بدون أن یعقب خلفا و لهذا خلفه علی تلك البلاد حمیم و استمر أولاده

---

(١) الاکمال، ج ٢، ص ٨٨ -

يتناوبون الحكومة فيها من بعده الى فترة من الزمن و بعد مائة عام تقريبا أقام الفضل بن ماهان الذى كان غلاما لبنى سامة حكومة فى سندان ـ

حكومة غلام بنى سامة س ١٩٨ — ٢٢٧

كانت الاكثرية فى عمان ''لبنى الأزد ،، الا ان الحكم والأثر و القوة كان لبنى سامة، وقد استطاع الفضل بن ماهان أحد عتقاء بنى سامة الوصول الى الهند، و تاسيس حكومة مستقلة بها، قبل مواليه بمئات السنين و كانت الحالات فى بلاد السند آنذاك مضطربة، فقاست عدة حكومات مستقلة فى عهد الماسون من سنة ١٩٨ — ٢١٨ھ وقد مربنا الحديث عن الحكومة الماهانية و حكامها الثلاثة، و عرفنا ايضا ان الحروب الأهلية و الخلافات التى وقعت بين الأخوين هى التى عصفت بتلك الحكومة، و كتب البلاذرى عن ذلك فى فتوح البلدان، وقد أفردنا بابا خاصا للدولة الماهانية فى صدر هذا الكتاب، و سياتى الكلام على تاسيسهم حكومة فى عمان موطنهم الأصلى بعد مرور ستين سنة على حكومتهم التى أقاسوها بالهند ـ

واقعة الموصل سنة ٢٠٠ھ

فى الوقت الذى كانت حكومة غلام بنى سامة الفضل بن ماهان قائمة فى الهند حدث أن كشف بنو سامة فى الموصل عن قوتهم و ذلك عند ما اشتبكوا[٨] فى معركة ضمت ألف شخص من شباب بنى ثعلبة، و تفصيل تلك الواقعة تذكره فيما يلى : فى سنة ٢٠٠ھ قاست معركة بين بنى سامة و بنى ثعلبة لأمر ما من الأسور فلجأ بنو ثعلبة الى محمد بن حسن الهمدانى شقيق أمير الموصل فى ذلك

الوقت و كان منحازا لبنى ثعلبة بل انه هوالذى حضهم على الخروج لمقابلتهم، فلما تصدى لهم بنو سامة ، و وقفوا فى مواجهتم استطاعوا أن يلحقوا بهم هزيمة منكرة و تتبعوهم حتى حصروهم فى ''العوجاء،، فلما وصل الخبر عند حاكم الموصل، انتصر لبنى ثعلبة، فهلك كثير من بنى سامة ، و قبض على عدد كبير منهم و آخرا تم صلح بين الطرفين -[١]

٭٭٭٭

(١) الكامل ابن الاثير، ج ٦، ص ١٠٨ -

Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 8:2 (1973)

الحكومات العربية في الهند و السند

(١٠)

تأليف : القاضى اطهر سباركپورى

ترجمة : الاستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل

بنو سامة في الملتان

سبق القول بان حكام بنى سامة فى الملتان كانوا من اهل السنة والجماعة وقد صرح العلامة ابن خلدون ان محمد بن قاسم بن سنبه قد خطب باسم الخلافة العباسية، وقد ورثه ابناؤه فاظهروا السنة ولو أنه لا يوجد اى نص يدل على انهم ساروا على نهج أبيهم فى مسلكه ولكن القرائن القوية تدل على ذلك لأنهم من اسرة سنية و من جهة اخرى أنهم خطبوا كذلك باسم الخليفة العباسى ودعوا له على منابرهم فضلا عن انهم كانوا يهتمون باداء صلاة الجمعة و يخرجون لها فى موكب و ذلك من اقوى الا دلة على انهم كانوا من اهل السنة والجماعة و هو نفس السبب الذى دعا الا سماعيليين على تفويض حكومتهم ـ وقد كتب ابو دلف فى شان الملتان مايتى : والمسجد الجامع مصاقب لهذه القبة والاسلام بها ظاهر والا مر بالمعروف والنهى عن المنكر شامل[١] كما كتب ابن رسته : وهم يدعون لامير المومنين و كتب الاصطخرى : ولا يطيع صاحب المنصورة

---

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩

(٢) الاعلاق النفسية ص ١٣٥

الا أنه يخطب للخليفة(١) أما آخر تصريح فى شان بنى منبه فى الملتان فهو لا بن حوقل الذى يقول : وهو ليس فى طاعة احد و خطبته لبنى العباس(٢)

والغرض أن حكام بنى سامة فى‌الملتان كانوا احرارا فى اسورهم الداخلية و تصريفها ـ

الخلفاء الذين دعى باسمهم

و نذكر فيما يلى اسماء الخلفاء الذين دعى لهم فى الخطبة من فجر حكومة بنى سامة الى نهايتها وهم :

(١) أبو العباس أحمد	المعتضد بالله	من سنة ٢٧٩هـ المتوفى سنة	٢٩٥هـ
(٢) أبو محمد على	المكتفى بالله	المتوفى	٢٩٥هـ
(٣) أبو الفضل جعفر	المقتدر بالله	قتل	٣٢٠هـ
(٤) أبو منصور محمد	القاهر بالله	خلع	٣٢٢هـ
(٥) أبو العباس	الراضى بالله	توفى	٣٢٩هـ
(٦) أبو اسحاق ابراهيم	المتقى بالله	خلع	٣٣٢هـ
(٧) أبو القاسم عبدالله	المكتفى بالله	خلع	٣٣٤هـ
(٨) أبو القاسم فضل	المطيع لله	توفى‌اوخلع	٣٦٤هـ
(٩) أبو بكر عبدالكريم	الطائع‌لله	خلع	٣٨١هـ

القوة الحربية لبنى سامة

ذكر ابن رسته ما يدل على أن بنى سامة قد جمعوا كل قوتهم، و عبأوا كل

---

(١) مسالك الممالك ص ١٧٥

(٢) صور الارض بجوالة الرجال السند و الهند ص ٢٤٦

جيوشهم فى أول أيامهم، و ذلك لموا جهة غارات جيرانهم من الحكام الهندولك كما كتب المسعودى عن قوة صاحب الملتان ما يأتى : و هو ذو جيش و منعة و هو ثغر من ثغور المسلمين الكبار (١).

و كان راجا قنوج هو أشد الجيرن عداوة، و خطرا و كان له جيش قوى تدل عليه عبارة المسعودى التى ذكر فيها أن لراجا قنوج أربع فرق من الجند و كل فرقة تشتمل على ما يقرب من تسعة آلاف جندى و أنها أى هذه الفرق الاربعة مشغولة فى جهات المملكة الأربعة بالدفاع عنها و على حدودها.

مع المسلمين و يستطرد المسعودى قائلا : فيحارب بجيش الشمال صاحب الملتان و من معه فى تلك الثغور من المسلمين (٢)

و معنى هذا ان سلاطين الملتان كانوا يقا و مون قوة كبيرة لا تقل عن تسعة آلاف جندى ومن أجل هذا جعلو معسكرهم فى ''جندراور،، قريبا من الملتان وقد استطاعوا أخيرا ان يخضعوا قنوج يقول المسعودى : وصارت اليوم فى حيز الاسلام وهى من أعمال الملتان(٣)

وقد كتب بشارة المقدسى : أنه قبل سنة ٣٧٥ كان فى أطراف قنوج أشجار و بساتين يتوسطها المسجد الجامع، واللحم بهارخيص ، و غذاء المسلمين العام القمح، و بها كثير من العلماء والشخصيات، وللمسلمين حاكم و سلطان مستقل مع أن الا كثرية من غير المسلمين، و من ثنايا هذا الكلام نستطيع أن نستنج

---

(١) مروج الذهب ص ١٦٧ ج ١

(٢) مروج الذهب ص ١٦٧ ج ١

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٦

كم كانت قوة بنو سامة ؟ و كيف انتشرت فى أرجاء سلطنتهم العلوم الدينية بسرعة فائقة ـ

حكمة هارون بن موسى

يقول المسعودى : وقد كان بالملتان من أرض السند رجل يدعى هارون بن موسى مولى الأزد وكان شاعرا شجاعا ذا رياسة فى قومه و منعة بأرض السند مما يلى أرض الملتان و كان فى حصن له(١)

وكان عند ما يحمل الهندوك على الملتان يخرج إليهم موسى بن هارون هذا ويحارب مع المسلمين وحدث ذات مرة انه اتخذ حيلة اثناء احدى المعارك فقد أخفى فى ثوبه قطة و تقدم من الراجا الذى كان يحارب على فيله ثم اطلق القطة فجأة فذعر الراجا وولى هاربا ، ومن ورائه جميع الفيلة وقد انشد موسى قصيدة على تلك الواقعة مطلعها :

أليس عجبا بأن قلقه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ له فطن الاسد فى جرم فيل

وقد نقل المسعودى كل أبيات هذه القصيدة و شرح الفاظها الصعبة ـ

النقود والاقيسة والأوزان

راج فى الملتان السير المكى وكذلك " المطل "، ولم نحصل على معرفة نوع السكة التى كان يستعملها الساميون، والغالب أنها كانت مثل الدرهم الفاطمى فى مصر و أفريقيا شكلا ووزنا كما كانت سكة الغزنويين " الضهرى "، التى تشبه "قروض اليمن"، و كانت هناك عملة أخرى رائجة يطلق عليها "قروية"،(٢)

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ١٧٩
(٢) احسن التقاسيم ص ٤٧٢

الحدود و أوهم الا مكنه

يطلق لفظ الملتان على كل المنطقة، والملتان كذلك مدينة عدها بعض الجغرافيين من بلاد السند والان منطقة فى الهند وقد ذكر الوزير المهلبى ماياتى : اعمال الملتان واسعة من الغرب الى حدود مكران و من الجنوب إلى حدود المنصورة(١)

و كتب المسعودى أن الملتان و كل المناطق العامرة التى ترتبط بها من السند فيقول : وحو ثغر الملتان من ضياعه و قراه عشرون ومائة الف قرية مما يقع عليه الا حصاء والعد -(٢)

والمسافة بين الملتان والمنصورة ٧٥ فرسخا سنديا ، والفرسخ السندى ثمانية أميال و بهذا الحساب تكون المسافة بين كلتا العاصمتين ٥٦٠ ميلا - وقد عد المقدسى المنصورة فى اقليم السند، وكذلك الملتان و مكران و قنوج - والبنجاب، و ذكرأن الملتان هى عاصمة الحكومة وان كل المملكة تسمى بها و من خلال هذه التصريحات نعرف مدى اتساع رقعة حكومة بنى سامة خاصة و اذا كانت قنوج قد دخلت فيها، ويؤيد ذلك أن المسعودى قد كتب أن على قنوج أمير و سلطان و مقرر من طرف ملوك بنى سامة -

الفتوحات الاسلاميه فى اقليم الملتان

لقد وصلت اقدام الغزاة العرب والفاتحين أول الأمر إلى مكران والسند، و كان أول قدم بهم فى الملتان فى الثلث الأخير من القرن الأول تحت قيادة

---

(٢) تقويم البلدان ص ٣٥٠ طبع باريس

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨

محمد بن القاسم، الذى عند ما وصل هناك اشتبك معهم فى معركة كبيرة فاقتحم عليهم الملتان، وحاصر المدينة كلها لمدة طويلة حتى كادت ان تنفذ المواد التموينية للجيش و الأشياء الضرورية له، و فى هذه الأثناء خرج احد الملتانيين طالبا الأمان من محمد بن القاسم وأطلعه على حقيقة الحال داخل الحصار واوضح له انهم يشربون من مياه خليج (نهر مجد) فجعلوا فى داخل المدينة بركة يغذ يها هذا الخليج بمائه، فقام محمد بن القاسم بسد هذا الخليج عليهم على الرغم من عمقه، فاضطر المحاصرون الى الخضوع والتسليم، وقد امر بقتل المحاربين و سجن الباقين و من بينهم ستة آلاف من سدنة بيت الأصنام والمتصقين به، واستولى المسلمون على كمية كبيرة من الذهب كانت موجودة بخزانة النذور التى بلغ طولها عشرة أذرع و عرضها كذلك و كان فى أعلاها فتحة تسقط منه قطعات الذهب، و لما كان المسلمون آنذاك فى ضيق مادى شديد فقد أطلقوا على الملتان "فرج بيت الذهب"۔

و فى هذا كتب ابن خرداذبه : أصاب فى بيت بها أربعين بهارا ذهبا وللبهار ثلثمائة و ثلاثون منا فسميت فرج بيت الذهب والفرج الثغر يكون مبلغ ذلك الذهب ألفى ألف و ثلثمائة الف و سبعة و تسعون و ستمائة مثقال(١)۔

و فى رمضان سنة ٩٥ھ وصل إلى محمد بن القاسم نبأ وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى و كان قد توجه الى الور و بغرور(٢) وتم فتح هذه المنطقة فى عهد الوليد بن عبدالملك اثناء ولاية الحجاج على يد محمد بن القاسم، و ظلت تعد كجزء من الخلافة الاسلامية فى العصرين الاموى و العباسى

---

(١) المسالك والممالك ص ٥٦

(٢) فتوح البلدان

مدينه‍ الملتان

و كانت دولة الملتان فى عهد بنى سامة تضم بين جنباتها مائة و عشرين ألف قرية و مدينة ولكننا لم نقف الا على اسماء اهم المدن التى ذكرها المقدسى، وقد تنطق الملتان بالطاء بدلا من التاء ''المولطان،، و قد ذكر ابن رسة ان نهر السند يجرى وسطها، وانه يساوى دجلة أو يقرب منه، ولكن الاصطخرى عدها من بلاد الهند، و أوضح أنها فى عمارتها و عمرانها على النصف من المنصورة و بها القصدير، و تسمى ''بيت فرج الذهب،، ـ

أما المقدسى فقد كتب أن الملتان مثل المنصورة، ولكن المنصورة اكثر عمرانا وان عمارات الملتان تشبه بيوت سيراف من حيث اشتمالها على عدة طوابق و تسقيفها بخشب الساج، و استطرد يقول : و ليس بها زناة ولا شاربو خمر، واذا ضبط منهم أحد يقترف ذلك فيقام عليه الحد الشرعى، و من أخلاقهم أنهم لا يكذبون فى التجارة، ولا يغشون فيها، و حكامهم عادلون ولا تقع عينك على امرأة سافرة، أو رجل يكلم سيدة فى الأسواق، واللغة الفارسية مستعملة، والناس اجسامهم صحيحة و أبدانهم قوية،،(١) ـ

المسافات بين الملتان الى مختلف الامكنه‍

من الملتان إلى غزنين ثمانون فرسخا، وتقطع هذه المسافة احيانا فى ثلاثة شهور و من الملتان الى المنصورة طريقان : احد هما يمر بالعمران والقرى، و مسافته أربعون فرسخا، والآخر يمضى فى الوديان قليلة العمران و طوله مائة فرسخ ـ

و من الملتان إلى باكس عشر مراحل

---

(١) احسن التقاسيم ص ٤٨٠.

و من الملتان إلى قندابيل	عشر مراحل
و من الملتان إلى بسمر	مرحلتان
و من الملتان إلى قصدار	عشرون مرحلة
و من الملتان إلى زرنج ''كستان،،	مسافة شهرين(١)

و كتب المسعودى عن قنوج أنها فى عهد بنى سامة أصبحت تحت سيطرتهم ـ و قد صارت اليوم فى حيز الا سلام وهى من اعمال الملتان(٢) ـ

و لعل هذا هو السبب الذى دعا كل المؤرخين والجغرافيين إلى الكتابة بالتفصيل عن قنوج، و بعضهم ذكر أن مسا حتها كانت ٩٦٠ ميلا طولا و مثلها عرضا، و عد المقدسى منها قدار، ابار، كهاره، بارد، جين، اوره، زهوهر، برهير و غيرها ـ

كتب ياقوت الحموى فى شأن لاهور: وهى مدينة عظيمة فى بلاد الهند(١) ـ

و كتب القلشندى: وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير خرج منها جماعة من أهل العلم ـ و طول البلد مائة درجة و عرضها(٢)

و فى سنة ٤٤ أثناء خلافة معاوية توجه المهلب بن أبى صفرة إلى الهند و اشتبك مع الأعداء فى بنه ولاهور و حقق نصرا، و يغلب على ظننا أن كهارة التى عدها المقدسى من مملكة قنوج هى بنفسها لاهور ـ

و كتب المقدسى عن أهل الملتان: يحبون الغرباء و أكثر هم العرب ـ

---

(١) احسن التقاسيم والممالك وغير هما

(٢) مروج الذهب ج ـ ١ ص ١٦٥

و كتب المسعودى عن أحوال التجارة : و القوافل فيها إلى خراسان متصلة ـ

الحالة الدينية والاخلاقية

حسبنا أن نذكر هنا ما كتبه أبودلف فى حق الملتان وأهلها فيقول : والاسلام بها ظاهر و الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بها شامل(١) ـ

وانه لمن دواعى الأسف اننا لم نستطع الوقوف على حالة العلماء والمحدثين فى عهد حكومة بنى سامة فى الملتان مع انهم كانوا كالشموس والأقمار ـ

الرعايا غير المسلمين

كان أغلب سكان الملتان من غير المسلمين، و كان المسلمون يقيمون فى المدن، وقد تمتعت كل الفرق الدينية والطوائف المذهبية بحرية كاملة، و زوال الهندوس عباداتهم بحرية تامة، وابيح لهم الحج إلى بيت الاصنام، والمعابد الاخرى التى كانوا يهرعون اليها كلما حزبهم أمر، وكان للصنم الموجود فى ''بهيرو،، طلسما بحيث إذا أراد انسان أن يلمسه لا تصل اليه يده، كما كانت هناك عين ينساب منها ماء أكثر برودة من الثلج، يلثم الجروح، و يشفى القروح و كانت نفقات السدنة تدفع لهم من أجور البغايا فقد كان من المروج أن الشخص الذى يحب ابنته كثيرا يهبها لهذا المعبد ـ

''راجا قنوج،،

ذكر المسعودى فى سنة ٣٠٣ أن مملكة راجا قنوج قد دخلت تحت سيطرة

---

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩

حكومة الملتان الغربية و تبدلت العداوة بالصداقة بل تعمقت الى حد أن سوباتك(١) راجا قنوج الذى توفى سنة ٣٣٣ ادعى الصحبة، وأنه ذهب إلى مكة وأن الرسول أنفذ إليه حذيفة واسامة و صهيبا لد عوته الى الاسلام فأسلم۔

وقد كتب كل من اسحاق بن ابراهيم الطوسى و ابو سعيد مظفر بن اسد الله الحنفى و غير هما انهما قد سمعا ذلك شفويا من سرباتك۔

ولكن الحافظ بن حجر قد كذب تلك الدعوى فى الاصابة، كما ادعى شخص آخر فى القرن السادس الهجرى الصحبة ويدعى ''رتن الهندى،،(٢) وقد رد الحافظ كذلك تلك الدعوى ايضا۔

---

(١) جاء فى الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٣ ص ١٧٧ ج ٢ ص ٢٢٥ ماياتى :

سرباتك بفتح اوله و سكون الراء ثم موحده و بعد الالف مثناة ملك الهند روى أبو موسى فى الذيل من طريق ميسر بن احمد الا سفرانينى صاحب يحيى بن يحيى النيسابورى حد ثنا مكى بن احمد البردعى سمعت اسحاق بن ابراهيم الطوسى يقول هوا بن سبع و تسعين سنة قال : رأيت سرباتك ملك الهند فى بلدة تسمى قنوج بقاف و نون ثقيلة وواو ساكنة و بعد ها جيم و قيل ميم بدل النون فقلت له كم اتى عليك من السنين قال سبعمائة و خمس و عشرين سنة وزعم ان النبى صلى الله عليه وسلم انفذ اليه حذيفة واسامة وصهيبا يدعونه للاسلام فأجاب و أسلم و قال الذهبى فى التجريد هذا كذب واضح ۔

وقال أبو حاتم احمد بن محمد بن حامد البلوى أنبانا بالويه بن بكر بن ابراهيم سمعت ابا سعيد مظفر بن اسد الحنفى المطيب سمعت سرباتك الهندى يقول : رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم مرتين بمكة و المدينة و كان من أحسن الناس و جهاربعه من الرجال قال مات سرباتك سنة ٣٣٣ ثلاثة و ثلاثين و ثلمائة و هوا بن ٨٩٤ سنة قاله مظهر بن اسد ۔

(٢) الاصابة المجلد الثانى ص ١٢١ :

قال الحافظ بن حجر رتن بن عبدالله الهندى ثم البترندى و قال البرندى و قال رطن بالطاء بدل التاء ابن ساهوك بن جنكد ربو هكذا وجدته مضبوطا بخط من أثق به و ضبط بقاف بدل الواو و قال رتن بن نصر بن كربال، قيل رتن بن مندن بن هندى شيخ خفى خبر بزعمه دهرا طويلا الى

العلماء الملتانيون

لا شك أن العلوم و الفنون قد ارتقت فی عهد ''بنی سامة،، وانبتت ارض الملتان كثيرا من العلماء المسلمين الذين فاضت بر كاتهم وعم نفعهم۔

وقد كتب الامام الذهبی المتوفی سنة ٧٤٨ھ فی كتاب المشتبه فی الرجال واسمائهم و أنسابهم ''الجزء الثانی ص ٦١١ طبع مصر مایاتی :

الملتانی نسبة الی الملتان مدينة بالهند ما علمت من ينسب اليها۔

ولكننا فيما بعد عهد السامیین نجد ذكرا لبعض العلماء وحا لاتهم و منهم شيخ الاسلام زكريا الملتانی، و كذلك الحال بالنسبة لمملكة قنوج فلم نحصل على اسماء العلماء القداسی ولكن كان منهم فيما بعد كثير ذكر هم ابن الجزری فی ''غاية النهاية فی طبقات القراء،،

و من علماء لاهور:

(١) الشيخ اسماعيل اللاهوری الذی اسلم علی يديه خلق كثير و توفی سنة ٤٤٨ ۔

أن ظهر على رأس القرن السادس فادعی الصحبة فروی عنه ولداه محمود و عبدالله و موسی بن مجلی بن بندار السد تری و الحسن بن محمد الحسينی الخراسانی والكمال الشيرازی و اسماعيل العارفی وابو الفضل عثمان بن أبی بكر بن سعيد الارملی۔

وقد ذكره الذهبی فی التجريد فقال: رتن الهندی شيخ ظهر بعد ستمائه بالشرق وادعی الصحبة فسمع منه الجهال ولا وجود له بل اختلق اسمه بعض الكذابين و انما ذكرته بعجب كما ذكر أبو موسی سرباتك الهندی بل هذا ابليس اللعين۔

و ذكره الذهبی فی ميزان الاعتدال فقال: رتن الهندی وما أدراک مارتن ؟

شيخ دجال بلا ريب و قد قيل انه مات سنة اثنتين و ثلاثين و ستمائة و مع كونه كذابا فقد كذبوا عليه۔

(٢) أبو الفتح عبد الصمد بن عبدالرحمن اللاهورى و ذكره السمعانى و توفى سنة ٤٢٩ ـ

(٣) أبو حسن على بن عمر بن حكم اللاهورى و كان محدثا و شاعرا واديبا ـ

(٤) عمرو بن سعيد اللاهورى وقد ذكره ياقوت الحموى وروى عنه الحديث عدة رجال ـ

ا ه الدولة السامية و تليها الدولة المعدانية ـ



Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 8:3 (1973)

الحكومات العـربيـة فى الهنـد و السنـد
(١١)

تأليف : القاضى أطهر مباركپورى
ترجمة : الأستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل ـ

الدولة المعدانية في مكران

عرفنا فيما سبق أن أقدام المسلمين الفاتحين قد وصلت إلى حدود مكران فى عهد عمر بن الخطاب و أن الفتح المنظم فى بلاد الهند و السند كان فى عهد معاوية، وتذكر الكتب التى تناولت الفتوحات أن زياد بن أبى سفيان قد أرسل فى عهد معاوية سنان بن محبق الهذلى ليحكم تلك المنطقة وكان سنان رجلا تقيا ورعا صاحب فضل و كمال وقد فتح الله تعالى على يده المباركة مكران(١)،

(١) وقال ابن الكلبى كان الذى فتح مكران حكيم بن جبلة العبدى وقال أعشى همدان فى مكران

وأنت تسيـر إلى مكـران ... فقد شحط الورد والمصدر
ولم تك من حاجتى مكران ... ولا الغزو فيها ولا المتجر
و حد ثت عنها ولم آتها ... فما زلت من ذكرها أخبر
بأن الكثير منها جامع ... أون القليل بها معـسور

وقال الحموى أكثر ماتجئ فى شعر العرب مشددة الكاف و اشتقاقها فى العربية أن تكون جمع ما كر مثل فارس و فرسان و يجوز أن تكون جمع مكر مثل وغد و وغدان وماه كرمان هو الذى اختصروه فقالو مكران و كان قد افتتحها الحكم بن عمر التعلبى فى أيام عمر فقال :

لقد شبع الأرامل غير فخر ... بفئ جاء هم من مكران
أتا هم بعد مسغبة و جهد ... و قد صفر الشتاء بالدخان
فانى لايذم الجيش فضلى ... ولا سيفى يذم ولا سنانى
غداة أدفع الأوباش دفعا ... إلى السند العريضة والمدان
و مهران لنا فيا أردنا ... مطيع غير مسترخى العنان

و فى ذلك كتب البلاذرى ـ فأتى الثغر ففتح مكران عنوة ومصرها وأقام بها و ضبط البلاد(١)

واتخذ ابن محبق من مكران مركزا للعمال والحكام حتى صارت مقرا للولاة فى العهد الأموى ـ

ولما تولى راشد بن عمرو الحديدى الأزدى قبل زياد بن أبيه استطاع أن ينطلق من هناك ففتح قيقان فى نواحى قلات فقد أسندت إليه الفتوحات هناك ليتفرغ سنان لأحوال الرعية ونظام الدولة وسار سنان بالحكم مدة سنتين على أحسن مايكون مما هيأ للحكام والعمال الأمويين أمنا وطمأنينة ـ

الفتنة وانتشار الفوضى

ولما تولى الحجاج بن يوسف الثقفى أمر العراق فانه أرسل سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى ليكون حاكما على مكران و نواحيها، وفى أثناء تلك المدة ساءت الحالة هناك واشتعلت نيران الفتنة، فقد أعلن كل من معاوية بن الحارث العلافى، وأخيه محمد بن الحارث العلافى العصيان ضد سعيد، و خرجا خلافه مما أدى إلى موت سعيد بن أسلم واستلاء كلا الأخوين على مكران، و يعتبر ذلك أول خروج على الخلافة الأموية فى مكران، بل فى بلاد السند كلها، مما أحدث فيها حالة اضطراب و فوضى نتج عنها قيام عدة حكومات صغيرة، و كان على رأس الجماعة المتطرفة محمد بن الحارث العلافى ـ

وفى سنة ٨٢هـ ثار عبدالرحمن بن محمد بن أشعث وسعه جماعة من القراء والزهاد ضد نظام الحجاج ولكنهم فشلوا فلجأوا إلى مختلف البلاد والأمصار ـ

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٨١

وقد نجحوا في المجاهرة بالخلاف ضد الحجاج، وشجعوا غيرهم في ذلك و كان محمد بن الحارث العلافي يؤيد ابن أشعث في حركته، وكان قد أتى من عمان و أقام في كنف راجا داهر بن صصه في السند، وكان يحكم مكران في ذلك الوقت سعيد بن أسلم الذي قتل شخصا يدعى صفوى بن لام الحمامى، على جرم فعله، وكان هذا الشخص ينتمي إلى قبيلة محمد بن الحارث العلافي، وكان ذلك من الدوافع التي حركته للخروج ضد أسلم، فاستغل ذلك وجها استثاربه العصبية القبلية فانضم إليه أخوه و جماعة معه، و قتلوا سعيد بن أسلم، واستولى هو على مكران، ولما علم الحجاج بذلك أرسل عاملا آخر هو مجاعة بن مسعر التميمي فاستطاع الاستيلاء على مكران، وفر محمد بن الحارث وأخوه و من معهما - الى ''الور،، في سنة ٨٥ھ و اتخذوها ملجأ -

وعند ما هاجم محمد بن القاسم ''الور،، و قتل داهر بالسند فقد أحس محمد بن الحارث بالخطر يلا حقه ففر من هناك و لحق ''ببرهمنا آباد وراجا جى سنج،، -

وتدل بعض الروايات على أنه رجع من هناك طالبا الأمان من محمد بن القاسم فأمنه -

وقد استطاع مجاعة بن مسعر التميمي توسيع دائرة فتوحاته بعد أن أخرج العلافين وأرجع لمكران مركزها، وقد أنشد شاعر في ذلك :

مامن مشاهدك التي شاهد تها الا يزينك ذكرها مجاعا

ولكن مما يؤسف له أن مجاعة تو في بعد عام واحد من قدومه إلى السند

فأكمل محمد بن القاسم أعماله الخالدة(١) -

وتدل بعض الروايات على أن الحجاج قد أرسل بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمرى فأكمل فتوحات مكران واستولى أولاده فيما بعد عليها -

''عيسى بن معد ان حاكم مكران،،

وفى وسط القرن الرابع الهجرى تغيرت الحالة فى مكران فقد استولى عليها عيسى بن معدان وأعلن استقلاله بالحكم فيها، ولقب ''بمهاراج،، ويعتبر مؤسس الدولة المعدانية وأول من تكلم عنه وجاء بذكره هوالاصطخرى فى العبارة الآتية : والمتغلب عليها رجل يعرف بعيسى بن معد ان ويسمى بلسانهم ''مهاراج،، ومقامه بمدينة كيز(٢) -

وقد نقل ياقوت الحموى نفس عبارة الاصطخرى وزاد عليها تعيين تاريخ حكم عيسى بن معدان هذا فيقول : والمتغلب عليها فى حدود سنة ٣٤٠ رجل يعرف بعيسى بن معد ان و يسمى بلسانهم مهاراج الخ(٣) -

ويؤخذ من هذا أن عيسى بن معدان كان من المعاصرين للاصطخرى كما يفهم من كلا التصريحين السابقين للاصطخرى و ياقوت أن عيسى بن معدان هو أول حاكم متغلبى فى مكران، وأنه استولى عليها بالقوة، ولم يخطب باسم الخلفاء العباسيين -

ولم يكن عيسى هذا ينتمى إلى أسرة معروفة، أو قبيلة مشهورة، فليس فى

---

(١) فتوح البلدان

(٢) مسالك الممالك ص ١٧٨

(٣) معجم البلدان ج ٨ ص ١٣٢

كتب التاريخ مايدل على ذلك، ومع كل هذه الاعتبارات، فانه قد تمكن من اقامة حكومة ناجحة ومستقلة، حتى لقبه العامة هناك بلقب ''مهاراج،،، الذى يعنى ملك الملوك ، ومن المحتمل أنه هو الذى خلع على نفسه هذا اللقب وروجه وأشاعه ـ

ومما يستحق النظر ذلك التوجيه الذى ساقه ياقوت بشأن الاسم العربى، واللقب الهندى لعيسى بن معدان، فانه قد ذهب إلى أنه كان بين كابل و غزنين مدينة يطلق عليها ''بان،، سكانها من الخوارج الذى حاربهم المهلب بن أبى صفرة، وأجلاهم عن العراق و غيرها، وأن هؤلاء قد ظلوا حتى القرن السابع على مذهب آبائهم وأجدادهم وأصبح منهم التجار وأصحاب رؤس الأموال والعلماء والأدباء إلى أن يقول : ولكل واحد من رؤسائهم اسم بالعربية واسم بالهندية (١) ـ

وحقيقة فان مكران كانت بلد الخوارج الذين استد نشاطهم من العراق إلى مكران و طوران فمن الجائز أن يكون عيسى بن معدان من أولئك القوم الذى استوطنوا مدينة ''بان،، وأنه استولى من هناك على مكران لقربها منه، واشتهر فيما بعد باسمه العربى ولقبه الهندى ـ

ومما يستحق النظر كذلك فى شأن عيسى بن معدان ما ذكره القاضى أبو على التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ه فى كتابه (نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة) نقلا عن القاضى أحمد بن سيار الذى حكى أنه قابل فى عمان رجلا من مكران ماهرا فى أسور البحار ذكر له أن أحد الخوارج فى الهند رفع راية العصيان، واستولى

---

(١) معجم البلدان

على الحكومة فى مكران، وسير الأمرهناك على أحسن ما يكون ولكن الحاكم الموجود هناك جهز جيشالمقا بلته ومحارتبه وأراد أن يقابله بنفسه فمنعه وزراؤه من ذلك قائلين له لا تفعل ذلك حتى لا تقضى قوة الخوارج على جيشك فان هذا الخارجى ذو قوة كبيرة فلا تخرج بنفسك لمحاربته ولكن هذا الحاكم لم يسمع نصيحة وزرائه و مضى فى غلوائه، و خرج لمقابلة هذا الخارجى فمات واستولى الخارجى على قصر الملك، وزمام الأمرفى الدولة، وسار بالأمر على نحو حسن، فطوقت شهرته الآفاق فى هذه المنطقة، فجمع العقلاء والحكماء الموجودين فى مملكته، وكان قد كتب إلى ولاته وعماله أن يرسلوا إليه من كل مدينة بمائة عاقل و مفكر، فلما وصلوا جمعهم إلى بلاطه وقام بنفسه باختيار عشرة من بينهم، وعشرة من أبناء العاصمة، وحدثهم قائلا: إنه يجب على الانسان العاقل أن يبحث عن عيوبه، و يفتش عن نقائصه، حتى يمكنه العمل على تلافيها وإيمانا منى بهذا المبدأ فاننى أطلب إليكم إذا وجدتم فى شخصى عيبا، أو فى حكومتى نقصا أن تطلعوننى عليه، و بعد أن فكروا جميعا، وتباحثوا اتفقوا على القول بأنهم لايرون عيبا ولا يلمسون نقصا، سوى شئ واحد مرهون بالاذن لهم فيه فأجازهم بكل سرور فقالو له: إننا نرى فيكم كل جديد، يرمون بذلك أنه ليس من أسرة حاكمة فقال لهم: اذكروا لى كيف كان ملككم فردوا جميعا إنه كان ابن ملك فقال: وكيف كان أبوه؟ فقالوا ابن ملك كذلك، ومازالوا هكذا حتى عدوا عشرة أجيال ووصلوا إلى الجد الذى حصل على الملك بالغلبة والثورة والاقتدار فعند ذلك اعتدل قائلا: وأنا هذا الملك و سيكون الأمر على نحو ما ذكرتم، فأطرق جميع العقلاء مفحمين بجوابه.

و بعد تلك الواقعة عظم أمره، وسار ذكره، ولكن القصة لم تفصح عن

اسم هذا الملك الخارجى ولا مكانه، وان كان يظهر من بعض القرائن وتوجيه الواقعة أنها تعنى عيسى بن معد ان المتغلب، وأنها حدثت فى سنة ٣٤٠هـ وتدل بعض الروايات على أن جيش عضد الدولة قد استولى على تيز و مكران فى سنة ٣٦٠ عند ما توجه لتأديب البولصيين ـ

وقد كتب ابن مسكويه فى تجارب الأمم أنه فى عهد عضد الدولة اتفق البلوصى مع بنوناجية على الثورة تحت قيادة أبو سعيد البلوصى وأولاده فأرسل إليهم عضد الدولة (كور كير بن جستان و عابدين على) لتأديبهم فحملا عليهم فى ١٠ صفر سنة ٣٦٠هـ و قتلوا منهم خمسة آلاف من بينهم اثنان من اولاد أبو سعيد، وبعد هذا استطاع عابدين القضاء على مراكز القوة عند هم و هجم على هرموز واستولى عليها و تم له الاستيلاء كذلك على تيز و مكران ـ

و يقول صاحب تجارب الأمم عن ذلك فى الجزء الثانى ص ٢٨٩، ص ٢٩٩ و كذلك ابن الأثير فى الجزء التاسع ص ١٤٣ ما يأتى : ''واستولى على بلاد التيز و مكران،، ـ

ولكن ليس من الواضح هل هذه الغلبة كانت على الباغين من بنى بويه ؟ أم على الثائرين البلوصين فى تيز و مكران ـ

معدان بن عيسى بن معدان

ويكشف لنا التاريخ عن اسم حاكم معدانى على تيز مكران فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى وأنه كان يسكن فى تيز مكران و توفى سنة ٤٢٢ أو قبل ذلك وقد كتب ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢٢ ما يأتى : و فى هذه السنة سير السلطان مسعود بن محمود بن سبكتيكين عسكرا إلى التيز فملكها وما جاورها

و سبب ذلك أن صاحبها معدان توفى وخلف ولدين(١)

ولم نعثر على أى معلومات أخرى فى شأن هذا المعدانى أكثر مما ورد فى هذه العبارة والظاهر أنه ابن عيسى بن معدان وقد سمى حسب الذوق العربى باسم جده وأنه حكم بعدوالده و توفى فى سنة ٤٢٢ أو قبل ذلك ـ

"عيسى بن معدان بن عيسى بن معدان"

وهذا هو الحاكم الثالث فى الدولة المعد انية، ويتضح مما كتبه ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢٢ عن حملات السلطان مسعود على مكران أن سبب هجومه على تيز مكران هو وفاة ملكها الذى ترك ولدين أحد هما يدعى أبو العساكر والآخر يسمى عيسى، الذى استولى على الخزانة وأقام حكومته، أما أبو العساكر فقد توجه إلى خراسان ليطلب من السلطان مسعود معاونته على أخيه، فأرسل معه جيشا وأمره بالتمكين لأبى العساكر أو التوفيق بينه و بين أخيه ـ ولما وصل الجيش إلى مكران دعا عيسى للطاعة أولا ، فأبى وأنكر، و خرج فى ثمانية عشر ألف محارب فتقابل الجيشان، ولما رأى عيسى أن جانبا كثيرا من جيشه قد انضم إلى أخيه أبى العساكر، هرب ثم عاد مرة أخرى مع أبنائه وجمهرة كبيرة من رجاله، ولكنه قتل فى المعارك ،واستولى أبو العساكر على مكران ـ

وتلك الواقعة تبين لنا مقدار قوة هذا الحاكم الثالث فى الدولة المعدانية الذى استطاع أن يتصدى لجيش السلطان الغزنوى وجحافله ، ولكنه لم يجد فرصة للحكومة والحكم إلا لعدة أيام ـ

---

(١) الكامل لا بن الاثير

أبو العساكر حسين بن معدان بن عيسى بن معدان

كما يتضح من بيان أبن أبى اصبيعة أن كنيته أبو العسكر واسمه حسين وكان له ولع بعلم الطب خاصة وقد كتب فى طبقات الأطباء مايأتى: نسخة الدستور الذى أنفذه أبو العسكر الحسين بن معدان ملك مكران فى حالة علة الفالج فى شقه الأيسر و جواب ابن رضوان له(١)

وكتب العلامة ابن خلدون: واستولى أبو العساكر على البلاد و ملكها و خطب فيها للسطان مسعود و ذلك سنة سنتين و عشرين (٢)

وعلاوة على أسماء هؤلاء الحكام الأربعة المعد انيين فلا يظهر أما منا غير هم، ولم نستطع الوقوف على سواهم، وكانت نهاية حكم أبو العسكر سنة ٤٧١ تقريبا وذلك عند ما استولى السلطان الغورى على السلطة فى مكران۔

نهاية الدولة المعدانية فى مكران

فى عام سنة ٣٦٦ﻫ قامت الدولة الغزنوية واستمرت حكومتها زهاء ٢١٣ سنة فكان بنو الحسن فى ذلك الوقت يحكمون بلاد الغور تحت ظل السلطنة الغزنوية وكان من بين بنى الحسن أربعة اولاد لهم قوة وجاه وشوكة منهم:

(١) محمد ثورى

(٢) حسين شاه

(٣) سام

(٤) علاءالدين الغورى

---

(١) طبقات الاطباء بحوالة رجال السند و الهند ص ١٠٦

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٣٨٠

الذى توفى سنة ٥٠٦ بعد أن كان قد نصب ملكا فخلفه على عرش غزنين ابن أخيه أبو الفتح غياث الدين الغورى، فقضى على الحكومات الموجودة آنذاك فى طوران و مكران، وقد كتب عن ذلك العلامة ابن خلدون فقال: واستفحل أمر غياث الدين فسار إلى غزنة سنة إحدى وسبعين فى عساكر الغورية والخلج والخراسانية ولقى الغز فهز سهم و ملك غزنة من أيديهم وسار إلى كرمان وشنوران فملكهما و كرمان هذه بين غزنة والهند وليست كرمان المعروفة ثم سار غياث الدين الى لهاور ليملكها من يد خسرو شاه بن بهرام شاه(١)

ويؤخذ من عبارة أخرى أنه ذهب من غزنين إلى كرمان وشنوران واستولى عليهما، وان كرمان هذه كانت تقع بين الهند وغزنين وليست هى كرمان الملك المشهور-

وكلا التصريحين السابقين أمرهما يبعث على العجب لأن موًرخا عالما محققا مثل ابن خلدون يقرر أن مكران هى كرمان، ويذهب إلى أنها كانت تقع بين غزنين والهند وليست كرمان المملكة المشهورة، والحقيقة أنها هى مكران نفسها التى توجه منها غياث الدين إلى لاهور و شنوران والغالب أنها طوران ومما يزيد العجب كذلك انه قد ورد ذكر مكران و طوران فى تاريخ ابن خلدون صحيحا بدون تحريف وفى مكان آخر يذكر هما محرفين ويبدى صحة ذلك من فحوى كلامه و توجيهه-

و مهما يكن من أمر فان الدولة المعد انية فى مكران قد قامت فى حدود

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٣٩٩

سنة ٣٤٠هـ وانتهت فى عام ٤٧١ على يد السلطان غياث الدين الغورى، وبلغت فترة حكمها ١٣١ عاما ـ

نظام الدوله" المعدانيه"

سار نظام الحكم فى الدولة المعد انية بمكران بطريق الوراثة وكان مؤسسها معدان بن عيسى قد اتخذ مدينة كيز مركزا و مقاماله وكذلك فعل ابنه معدان من بعده ـ

ولكننا لاندرى السبب الذى جعل المعدانيين يعدلون عن الاقامة فى "بنجبور"، مركز السلطة القديم فلعلهم قلد وا فى ذلك الحكام الهباريين و بنى سامة لكى يعيشوا فى جو مفتوح و حياة غير مغلقة حسب الطبيعة العربية ـ

" الاستقلال الكامل "

لم نجد فى تصريحات المؤرخين أو الرحالة ما يفيد بأن الحكام المعدانيين خطبوا باسم الخليفة، أو ما يدل على وجود أى ارتباط لهم بالخلافة العباسية، فان كل الروايات تشير إلى أنهم كانوا مشتغلين داخليا وخارجيا ولعل السبب فى ذلك أنهم لم يكونوا من أهل السنة والجماعة كحكام المنصورة و الملتان، ولم يكونوا كذلك من الشيعة حتى يتبعون الخلافة الفاطمية التى قامت فى مصر و إنما كانوا من الخوارج فلم يدعوا لأحد ولهذا السبب أيضا لم يستطيعوا انشاء علاقات صداقة ودية أوعقائدية مع غيرهم، و إذا كان السلطان أبو العساكر قد خطب باسم السلطان الغزنوى فان ذلك لا يدل على سياسة الدولة أو خطة الحكومة و إنما رعاية لما قدمه السلطان الغزنوى إليه من مدد مكنه من السلطة ـ

''بنو معدان من الخوارج،،

وقد كتب المسعودى فى شأن مكران فى زمانه مايأتى : ''بلاد مكران وهى أرض الخوارج الشراة،،(١)

وكان بنو معدان من هؤلاء الخوارج الذين نزحوا وأقاموا فى هذه المنطقة و خرجوا على الخلافة العباسية تبعا لعقيدتهم، و من استعراضنا السابق لأحوالهم يتبين لنا أنهم كانوا من الخوارج يقينا، والقول بأنهم ليسوا من الخوارج أمر ظنى يحتاج إلى دليل قوى يدعمه وهو غير موجود ـ

الانصاف مع الرعيه``

وكان الحكام المعدانيون عادلين منصفين شرفاء، ولما كان مذهبهم يعتبر ارتكاب الكبيرة كفرا فقد احتاطوا فى حكومتهم و عدلوا فى معاملاتهم وقد كتب المقدسى فى شأن حاكم منهم على مكران مايأتى : على مكران سلطان عليحده وهو متواضع عادل لاترى مثلهم (٢)

و تدل جميع الروايات على عدلهم وانصافهم مع الرعية وقد عرفنا فيما سبق من كلام أبو على التنوخى مايدل على ذلك ـ

''الحياة العلميه``،،

فقدت الحياة العلمية فى كل منطقة مكران ولم يكن بها من أهل العلم من يستوجب الذكر وان لم تخل من العقلاء والأذكياء كأولئك الذين جمعهم مؤسس الدولة المعدانية ونعود فنقول ان الحقيقة أن حالات بنو معدان فى مكران

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١١٠

(٢) احسن التقاسيم ص ٤٨٤، ص ٤٨٥

تغطيها حجب كثيفة لهذا لم نستطع الحصول على أية تفصيلات مطولة عنهم أو عن حكومتهم والذى ورد فى كتب التاريخ فى هذا الشأن ليس على درجة كبيرة من الصحة ـ

استقلال مطهر بن رجاء بالحكم

ومن الواضح أن بنى معدان لم يكونوا يحسون بأى خطر داخلى مع أنه كان بالقرب منهم و على مسافة ثلاث مراحل من حدودهم من يحكم ويخطب باسم الخليفة العباسى كمطهر بن رجاء على "مشكى"، ولم يتعرضوا له وفى ذلك كتب الاصطخرى : وهولا يخطب الا للخليفة ولا يطيع أحداً من الملوك المصاقبين (١)

وقد نقل ياقوت عبارة الاصطخرى هذه ووضع بدلا من مطهر بن رجاء مظفر بن رجاء وذكر أنه كان فى حدود سنة ٣٤٠هـ، و نستطيع من هذا أن نتبين مدى منعة مطهر بن رجاء وأن مشكى من منطقة مكران التى تتصل بحدود كرمان وهى منطقة حارة ولكن بها حدائق، والغالب أن الحكام على مشكى كانوا أهل السنة و الجماعة ـ

الحدود والأماكن الهامة والحالة العامة

تدل روايات الجغرافيين العرب على أن ولاية مكران كانت واسعة شاسعة وأنها كانت تقع على الساحل، وبها كثير من القرى والمدن، وأن حدها فى الغرب كرمان، وفى الشمال سجستان، وفى الجنوب البحر، وفى الشرق بلاد الهند، ويذهب الفلكيون إلى أن هذه المنطقة لها تعلق وارتباط ببرج القمر و لهذا وجدت فيها الخضرة ـ

---

(١) مسالك الممالك

أما لفظ كرمان فلعله مأخوذ من اللفظ الفارسی ''ماه كرمان،، ويكثرة الاستعمال صار إلى مكران و يظن بعض المؤرخين انها منسوبة الى ابن نوح عليه السلام ''مكران بن نازك بن سام بن نوح الذى كان قد خرج من بابل واستوطن هذه المنطقة(١)

وليس لفظ مكران علما على مدينة خاصة أو مكان معين، وإنما يطلق على كل المنطقة الساحلية التى تنقسم إلى جزئين أحد هما مدن وأمصار ذكرها الاصطخرى على الوجه الآتى :

تيز، كيز، قنزبور، به، تند، قصر قند، درك، فلهفره، و كتب يقول : وكل هذه مدن صغيرة أما المدينتان الكبيرتان فهما ارمائيل و قنبلى

وعلاوة على هذا، فقد كانت هناك جهات أخرى مشهورة فى مكران مثل ''منطقة الخروج التى من اشهر مدنها ''راسك،، ومنطقة،، جدران،، التى ينبت فيها القصب و يكثر بها سكر النبات و يصدر منها إلى جهات كثيرة فى العالم و منطقة ثالثة هى ''مشكى،، التى استولى عليها مطهر بن رجاء۔

وقد كتب المقدسى عن سعة مكران قبل سنة ٣٧٥ھ فذكر أن العاصمة ''بنجبور،، وأن من المدن كذلك ''مشكه،، وكيج،، وسراى، وخواش، وسندان وجالك، ووزك، ودشت على، و تيز، وأوضح أن الأصطخرى قد عد كذلك مدن كيرتون، وراسك وقال فى شأنهما إنهما من منطقة خروج۔

وقد اختلف الجغرافيون فى الأسماء لاختلاف الحدود تبعا لأزمنتهم ونظرا لاختلاف التلفظ والاملاء۔

---

(١) معجم البلدان ص ١٣٠

(١) بنجبور: وقد كتب قنربور، وفنزبور، وقيزبون، ولكن الأصل فيها بنجبور عاصمة مكران وقد صرح المقدسى أن بها قلعة و حولها خندق من جهاتها الأربعة وأنها مملؤة بالحدائق ولها بابان رئيسيان، أحد هما باب طوران ، وثانيهما باب تيز ، والمسجد الجامع بها وسط السوق ، وأهلها يشربون مياه النهر و لسانهم بلوصى ، وهو غير فصيح ـ وكتب الأصطخرى أن قنزبور أكبر المدن فى مكران كما ذهب إلى ذلك ياقوت الحموى ونذكر من المدن الشهير ة هناك تيز وكس وخاشك وراسك وغيرها ـ

الحالات الطبيعيه والصناعيه والتجاريه

تشير بيانات الجغرافيين إلى أن منطقة مكران حارة فى مجموعها وأنه يحيط بها القحط والصحراء وسؤ المعيشة، فليس بها قنوات ولا تزرع إلا فى القليل فيما عدا المنطقة التى كانت تقع بين المنصورة و مكران فكانت تجرى فيها بعض الأنهار التى تخرج من نهر السند كما كانت راهوق وارمائيل خصبة و حولها مراع، ويمكن لمن يريد إلاستزادة فى ذلك الرجوع إلى ماكتبه الأصطخرى والمسعودى والمقدسى و ياقوت الحموى ـ

الحاله الدينيه واللغه

كان سكان مكران عموما يغلب عليهم اللون القمحى والجهل، وعدم التهذيب ولم يكن بين المسلمين حياة علمية أو دينية تستحق الذكر، وكانوا عموما من الخوارج ولغتهم ركيكة، تجمع بين الفارسية والمكرانية، وفى بعض المناطق يغلب اللسان البلوصى وكادت الحياة أن تصطبغ بالصبغة الهند وكية

فى اللباس، فالزى العام فى مكران ''الكرته،، ولباس التجار القميص والملاءة على نحو ما يفعل أهل العراق و فارس -

وقد كتب المقدسى أن المسلمين هناك مسلمون بالاسم فقط، ولهم مسجد جامع فى السوق وليس لديهم سعة فى التفكير فعقولهم ضيقة -

وتدل بعض الروايات على أنهم كانوا يعيشون على صيد الأسماك والطيور -

الصناعه

وقد خلت منطقة مكران من الصناعة فيما سوى صناعة السكر النباتى الذى كان يكثر هناك، ويصدر إلى جهات مختلفة، نظرا لوفرة محصول القصب فى منطقة جدران -

وقد تحدث ياقوت عن مصانع سكر النبات فذكرأن هناك بالقرب من مدينة ''تميت مندان،، جبل يؤخذ منه النوشادر الذى يستعمل فى هذه الصناعة

التجارة

كتب الأصطخرى عن منطقة جدران مايأتى : ورستاق تسمى جدران وبها فانيد كثير ونخيل و قصب السكر وعامة الفانيد الذى يحمل الى الافاق منها الاشياء عمل من ناحية ماسكان (١)

كما كتب ياقوت الحموى فى شأن فيزيون ''بنجبور،، مايأتى : و فيها الفانيد كان يحمل إلى جميع الدنيا(٢)

---

(١) مسالك الممالك ص ١٧

(٢) ص ٤١٧ معجم البلدان ج ٧ ص ١٩٣

''علماء مكران،،

لا نلمح أى جهود علمية فى مكران حتى القرن الثالث والرابع و فيما بعد ذلك ظهر جماعة من أهل العلم والفضل ذكرهم العلامة السخاوى فى كتاب ''الضوء اللامع،، وخاصة من كان منهم فى القرن الثامن -

وقد ذكر العلامة السمعانى من العلماء القدامى هناك أبو حفص عمر بن محمد بن محمد بن سليمان المكرانى الذى سافر الى العراق للتزود من العلم ورحل من هناك إلى الحجاز و تلقى الحديث على أبى الحسن محمد بن أحمد البزاز وروى عنه أبو القاسم الشيرازى(١)

---

(١) كتاب الانساب طبع اور وبا ورق ص ١د٤

Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 8:4 (1973)

الحكومات العربية فى الهند و السند

(١٢)

تاليف : القاضى اطهر مباركپورى

ترجمة : الاستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل

الدوله المتغلبه فى طوران
و نظرة عامه اخيره

فى عهد معاوية رضى الله عنه فتحت منطقة طوران ، وكان سنان بن سلمة بن محبق الهذلى قد فتح قصدار واستولى على الحكم فيها، وتوفى بعد سنتين وعند ما ثار اهلها بعد وفاته ، ارسل اليهم زياد بن ابى سفيان المنذر بن جاه وبعد ان استقرت الحال هناك توجه الى قيقان و بوقان وفتحهما ثم اقبل على قصدار(١) ففتحها مرة اخرى وقد رثى شاعر عربى سنان فقال :

حل بقصدار فاضحى بها فى القبر ولم يقفل مع القافلين
لله قصدار و اعنا بها اى فتى دنيا اجنت و دين

بدء السيطرة على طوران

عرفنا فيما مضى ان منطقة كرمان، ومكران، وطوران، كانت ميدانا للخوارج الذين نزحوا من البلاد العربية، وكونوا جماعة كبيرة فى هذه الديار، وظلت

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٣١

جيوش المهلب بن ابى صفرة حاكم فارس تشتبک معهم و تحتك بهم فى مكران وكرمان وقد يدوم الاشتباك سنة او اكثر ، وقد اتخذ نجدة بن عامر بن عبدالله الحنفى الخارجى مع نافع بن ازرق من البحرين والخط والقطيف مجالا للقتل والاغارة فارسل مصعب بن الزبير عشرين الف جندى من البصرة الى البحرين لمقابلة نجدة فى سنة ٦٩ وكان النصر حليف نجدة، فاتخذ عطية بن اسود الخارجى نائبا له على عمان وقد انتهى به الامر اخيرا الى الهروب من عمان، واللجوء الى كرمان ـ ولما وصل الخبر عند المهلب بن ابى صفرة ارسل اليه جيشا لمحاربته ففر الى سجستان، ولم يوفق فلجا الى السند، واخيرا قتل على يد جيش المهلب فى مدينة قندابيل بالسند(١)، وبذلك عادت قندابيل مرة اخرى الى الارتباط بالخلافة الاموية، ولا نجد مايدل على حدوث ثورات او فتن فى هذه المنطقة فى بدء الخلافة العباسية ولكنها انفصلت عنها فى سنة ١٠٠ وتناوب الحكم عليها عدد من الحكام العرب ـ

الحكام العرب فى قندابيل ونهايتهم

كان الخليفة المنصور قد وجه هشام بن عمرو التغلبى الى السند فحصل هناك على فتوحات كثيرة، وقام بارسال عمرو بن جمل على بارجة حربية الى باربد (بخروج) فى كجرات، وبعض مناطق اخرى من الهند ففتح كشمير والملتان وغيرها وكان اهم عمل قام به هو اعادة قندابيل الى حظيرة الخلافة وفى هذا يقول البلاذرى : وكان على قندابيل متغلبة من الغرب فاجلاهم عنها واستمرت بعد ذلك قندابيل و طوران تحت الخلافة العباسية(٢)

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٣١
(٢) فتوح البلدان ص ٤٣٢

وقبل خلافة المعتصم اضطربت الاحوال هناك، واقام شخص يدعى محمد بن خليل حكومة، فاستاذن الوالى العباسى موسى بن عمران بن يحيى خالد البرمكى الخليفة المعتصم فى الحملة عليه، واخراجه فاذن له فهجم عليه وقبض عليه و على اعوانه و فى ذلك يقول البلاذرى - ثم اتى المنصورة وصار منها الى قندابيل وهى مدينة على جبل و فيها متغلب يقال له محمد بن الخليل فقاتله و فتحها وحمل رؤساءها الى قصدار (١) -

وكانت قندابيل محط انظار المتربصين لطوران، و بعد قصة محمد بن خليل هذه لانجد فى التاريخ ما يكشف لنا عن حدوث فتن فى منطقة طوران الى مئات السنين، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى النظام الذى احدثه موسى بن عمران وابنه -

ولما تولى موسى بن يحيى بدلا من غسان بن عباد، فانه عمد اولا الى اخضاع راجابال ثم انصرف الى توطيد دعائم حكومته، ولكنه توفى سنة ٢٣١ ه وخلفه ابنه عمران الذى حارب الزط فى قيقان واخضعهم، واتخذ مدينة البيضاء معسكرا للجيش وسار الى المنصورة و قندابيل واجلى عنها محمد بن خليل، وقام بحملة تاديبية ضد الميد، قراصنة البحار، فقتل منهم ثلاثة آلاف ووضع الجزية على الزط(٢)

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٣٢

(٢) الزط معرب "جات" وقد كان قدومهم الى العرب فى ايام الجاهلية وكان كثير منهم فى جند المسلمين ايام عمر بن الخطاب واسلموا وحسن اسلامهم ولهم فى الاسلام روايات وآثار - وقال البلاذرى : انهم كانوا فى جند الفرس، وقد استطاعوا ان يكونوا وحدة مستقلة فى دولة بنى امية ودولة بنى العباس وان يجدوا فى البطيحة بين البصرة وواسط وبغداد موطنا خاصا بهم، وفى لسان العرب "الزط جيل اسود من الهند اليهم تنسب الثياب الزطية وفى بعض الاخبار فحلق راسه زطية قيل هو مثل الصليب كانه فعل الزط - وانشد عويم بن عبدالله :

ويغنى الزط عبدالقيس عنا وتكفينا الاساورة المزونا

الموجودين على ساحل نهر الور، وامر رجاله باحضار كلب مع كل زطى يتقدم عليه مما جعل سعر الكلب الواحد يصل الى ٥٠ خمسين درهما -

ولما انتهى من منازعات الور عاد وحارب الميد ، بمعاونة رجال من الزط ومن اجل ذلك حفر نهرا يخرج من البحر ليصب فى النهر ودورهم، مما تسبب فى تغيير مياه الشرب و ضياع عذوبتها فاجبروا على الخضوع (١) -

ويدلنا ذلك على قوة عمران بن موسى التى استطاع بها حفظ الامن فى هذه المنطقة الى مئات السنين و حتى وسط القرن الرابع الهجرى.

المغيرة بن احمد المتغلب فى طوران

كتب الاصطخرى سنة ٣٤٠ هـ عن قصدار عاصمة طوران ماياتى : والغالب عليها رجل يعرف بمغيرة بن احمد يخطب للخليفة فقط و مقامه يعرف بكيز كاتان(٢) -

وقد ذكر ابن حوقل فى كتابه صور الارض ان اسم هذا المتغلب معين الدين بن احمد، كما نقل ياقوت الحموى ما كتبه الاصطخرى عن قصدار واخذ اسم معمر بن احمد، ويتضح من تصريح الاصطخرى ان المغيرة بن احمد قد استولى على طوران بالقوة ولم تسر حكوسته فيها بطريق الوراثة، كما انه لم يكن مشهورا ولا معروفا، وكانت حكوسته مستقلة حرة فى جميع امورها وجعل حكامها من مدينة ''كيزكاتان،، مستقرا لهم، دون قصدار وقندابيل على نحو ما فعله أمراء المنصورة والملتان -

(١) فتوح البلدان ص ٤٣٢

(٢) مسالك الممالك ص ١٧٧

ومما هو جدير بالذكر ان المغيرة بن احمد لم يكن من الخوارج وانما كان من اهل السنة والجماعة ـ

ابو القاسم البصرى

وبعد عهد المغيرة بن احمد نجد حاكما آخر يدعى ابو القاسم البصرى و على الرغم من انه كان ملكا وقاضيا، وقائدا، فانه كان محروما من الصلاحية للحكم والحكومة ـ

وقد كتب ابن حوقل عنه عند الحديث عن طوران فقال : يحكم عليها رجل من اهل البصرة اسمه ابو القاسم وهو الحاكم والقاضى وامير الجيوش و مع هذا لا يفرق بين الثلاثة والعشرة(١) ـ

وتدل عبارة ابن حوقل على ان ابا القاسم البصرى هذا لم تكن له علاقة بالمغيرة بن احمد حاكم طوران السابق، فلعله اقام حكومة بنفسه، وعلى الرغم من جهله فقدامتدت حكومته وساعد على ذلك ان اهل البلاد كانوا على شاكلته، وليس لديهم حضارة او رقى، فكانوا يعيشون فى نظام قبلى، و يمكننا تشبيه حكومة ابى القاسم البصرى بحكم المشايخ والامراء فى بعض الامارات العربية هذه الايام الذين لهم قوانينهم الخاصة، وجيوشهم المستقلة ولكن ليس لهم من الامر شيئا فكل امورهم فى يد الاستعمار فاكثرهم اميون لايقرؤن ولا يكتبون ـ

ملك عادل ومتواضع

كتب المقدسى عن قصدار عاصمة طوران فى كتابه احسن التقاسيم انها مدينة من شقين فى وسطهما واد جاف، وفى احدالشطرين دارالسلطان

---

(١) صور الارض بحوالة رجال السند والهند

ويستطرد قائلا ''وسلطانهم عادل متواضع''، ويعنى به ابوالقاسم البصرى.

خليفة خارجى

وقد روى ياقوت فى معجم البلدان حادثة تدل على وجود حاكم خارجى على قصدار هو زعيم روحى لهم فيها، فى آخر القرن الرابع، ونقل ماقاله ابوالحسن بن لطيف بحوالة القاضى ابى على التنوخى، قال: كنت مجتازا بناحية قصدار ممايلى سجستان و مكران و كان يسكنها الخليفة من الخوارج وهى بلد هم ودارهم(١).

وقد توفى ابو على التنوخى سنة ٣٨٤ وبالطبع قد روى تلك الواقعة عن ابى الحسن قبل وفاته، و معنى هذا ان حكومة هذا الخارجى كانت فى آخر القرن الرابع، وسيتضح مما سنذكره فيما بعد ان الحالة فى عهد ذلك الخارجى كانت طيبة للغاية، وان الخوارج قد اشتدوا وارتبطوا بمعتقداتهم، ومن المناسب هنا ان نذكر انه فى سنة ٣٨٤ استولى امير طغان على ''بست''، و عندما تعرض للغزو استنجد بسبكتكين فامده، ففتح ''بست''، وقد كتب ابن خلدون عن ذلك: وسار الى قصدار من ورائها فملكها وتقبض على صاحبها ثم اعاده الى ملكه على مال يوديه وطاعة يبذلهاله(٢).

وكان سبكتكين فى هذا الوقت مشغولا بالحرب مع بنى سامة، ولهذا استدعى الامير نوح بن منصور السامانى من الهند وعينه حاكما على خراسان و يمكن ان يكون الحاكم الخارجى على قصدار كان فى ذلك الوقت.

وكان سبكتكين قد اخذ من حاكم على قصدار فى اثناء حكومة بنى سامة

---

(١) معجم البلدان ج ٧ ص ٧٩

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٣٦٠

الخراج فى سنة ٣٨٤هـ واخضعه، و فى سنة ٤٠٣هـ فتح محمود الغزنوى قصدار۔ وقد كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ٤٠٢ انه فى هذه السنة انتصر السلطان محمود الغزنوى فى قصدار واستولى عليها، و كان قد صالح حاكمها على ان يؤدى اليه مبلغا معينا من الخراج، ولكنه نكث وعده، ولم يف بعهده، واراد الاحتيال واحتمى "بايلك خان،" الذى كان ملكا على ماوراء النهر، وفى نفس الوقت يعتبر حمى لمحمود الغزنوى فلما وقع النزاع بين "ايلك خان،" والسلطان محمود فقد صمم الغزنوى على تاديب سلطان قصدار، فتقدم نحوها فى جمادى الاولى سنة ٤٠٢هـ، وبينما هو فى الطريق بجيشه بلغه ان ملك قصدار قد علم بالامر، فلم يفت ذلك فى عضده فمضى من هرات الى قصدار وطوقت قواته جيش السلطان فخرج طالبا الامان فاستجاب له السلطان الغزنوى وقام حاكم قصدار بتادية ما عليه من الخراج و قفل السلطان الغزنوى راجعا الى غزنين (١)۔

نهاية الدولة المتغلبة فى طوران

سبق الحديث ان غياث الدين الغورى هو الذى قضى على الدولة المتغلبة فى طوران ومكران وقد ذكر ابن خلدون بدلا من مكران كرمان كما كتب طوران محرفه الى شنوران وسنوران وان غياث الدين الغورى قدصحب معه فى سنة ٤٧١هـ الجيش الخراسانى والخلجى وتوجه بهما الى غزنين ثم الى لاهور(٢) و كان قد استولى على مكران وطوران وكرمان هذه كانت تقع بين غزنين والهند و ليست الملك المشهور۔

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ٧٨

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٣٩٩

ايل

وعرفنا كذلك انه قد تعاقبت عدة حكومات فى مكران فاستقل مطهر بن رجاء بالحكومة فى ''مشكى،، وآخر يدعى ''ايل،، على منطقة اخرى نسبت اليه واشتهرت به وقد كتب الاصطخرى : ايل اسم رجل تغلب على هذه الكورة فنسبت اليه(١) -

وكانت منطقة ايل عامرة بالمسلمين والبوذيين ويكثر بها العنب ولكننا لا ندرى من هو ايل هذا ؟

نظام حكومة امراء طوران

تشير حالات السلاطين والامراء فى طوران الى انه لم تكن هناك منذ البداية وحتى النهاية حكومات ذات مسئولية ونظام، وقد ساعد على ذلك طبيعة المنطقة وفقرها وفقرها من العلم والحضارة علاوة على ان اغلب سكانها كانوا من الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ، ولهذا لم يتعرضوا لاى حاكم و آثروا الصمت والسكوت -

وقد كان للمتغلبين عهدان : اولهما عندما استولى الرؤساء العرب على قندابيل الذين انهى امرهم عمران بن موسى واقام محمد بن الخليل حكومته، وقد مضت بعد ذلك مئات السنين دون فتن او ثورات فى منطقة طوران، و ظلت تابعة للخلافة العباسية مرتبطة بها ارتباطامباشرا - ثانيهما : ابتدا فى عام سنة ٣٤٠هـ

(١) مسالك الممالك ص ١٧٨، ذكر حمزة الاصفهانى انالكورة اسم فارسى بحت يقع على قسم من اقسام الاسنان وقد استعارتها العرب كما استعارت الا قليم من اليونانية، والكورة كل صقع يشمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها فذلك اسم الكورة -)

بغلبة المغيرة بن احمد وانتهى على يد غياث الدين الغورى سنة ٤٧١ وعلى الرغم من طول هذه الفترة التى تبلغ ١٢١ سنة تقريبا، تناول الحكم فيها عدة امراء فانه لم تكن هناك حكومة منظمة، واذا كان هناك مايثبت ان المغيرة كان يخطب باسم الخليفة العباسى فاننا لانجد دليلا على ذلك بالنسبة لمن اتى بعده ـ

وليس هناك كذلك ما يدل على وجود عمل خالد لهم يستحق الذكر، حتى فى المجالين الدينى والعلمى قبل القرن الخامس ـ

الحدود واهم الامكنة

تبعا لما ذهب اليه الجغرافيون العرب القدامى فان اول ولايات السند كرمان التى تتصل بمكران وتاتى بعدها طوران، اما صحراء سجستان وسلطنة كرمان فانها تقع فى غرب طوران وفى الشرق بحرالعرب و فى الشمال بلاد الهند و فى الجنوب الصحراء الواقعة بين مكران وبلوجستان، وهكذا كتب الجغرافيون ـ

اما الاصطخرى فقد اورد اسماء المدن فى منطقة طوران على الوجه الاتى :

محالى كيزكان، سوره ، قصدار، وفعل مثله المقدسى وذكر ان قصدارهى العاصمة ـ

وسنتناول فيما يلى بعض هذه المدن والأمكنة المشهورة بشئ من التفصيل حتى نلقى بعض الضوء على الحالة العامة فى طوران ـ

(١) قصدار يا قزدار

دارالسلطنة فى طوران ، ومن اهم المدن بها ، و تكتب بالصاد والزاى وقد فتحها سنان بن محبق الهذلى فى عهد معاوية، وكانت بلدة صغيرة و موقعها الجغرافى غير مناسب بالمرة ـ

وقد كتب ابن حوقل انها مثل القرية، وسعتها قليلة وفى انحائها بساتين صغيرة كما كتب المقدسى عنها، و من يريد المزيد فعليه بمراجعة صور الارض و احسن التقاسيم -

(٢) قندابيل يا قند بيل

وقد عدها بعض الجغرافيين من بلاد البدهة وكانت تقع فى وسط منطقة حارة ولكن المقدسى عدها من منطقة طوران، وذكر ابو الفدا(١) فى تقويم البلدان انها عاصمة الحكومة فى طوران -

(٣) ايل

وهى فى المنطقة الواقعة بين كيزكانان، وقندابيل وقد استولى عليها شخص يدعى ايل فسميت باسمه و نسبت اليه و كانت تضم المسلمين والبوطيين وتعتمد على المطر ومن المدن الشهيرة كذلك كيزكانان وجرو ياكثرو، ورستاق،

وقد كتب ياقوت الحموى عن السكر النباتى ماياتى : ولا يوجد الفانيد بغير مكان الابهذا الموضع وقليل منه بناحية قصدار واليه ينسب الفانيد الماسكانى وهو اجود انواعه والفانيد نوع من السكر لايوجد الابمكران ومنها يحمل الى سائر البلدان(٢)

والفانيد اسم لنوع من الحلوى وهو معرب من اللفظ الفارسى ''بانيد،، وقد جاء فى كتاب الالفاظ الفارسية المعربة تاليف ادى شير رئيس اساقفة

---

(١) وهى قلعة صغيرة كالقرية فى وكاة على تليل وحولها بستينات هكذا اخبرنى به شفاها من رآها فى زملتنا هذا وقال ابن حوقل وقزدار قصبة طوران قال فى اللباب و قصدار ناحية من نواحى الهند بينها وبين بست ثمانون فرسخا ويقال لها ايضا قصدار بالصاد المهملة وبين قزدار والملتان نحو عشرين مرحلة ١ه ص ٣٤٩ طبعة باريس سنة ١٨٥٠

(٢) احسن التقاسيم ص ٤٨١

معروالكلدان طبعة بيروت سنة ١٩٠٨ ص ١٢١ ماياتى : الفانيد معرب بابند وهو نوع من الحلوى تصنع من السكر ودقيق الشعير والترنجبين (١)

وهو الان يصنع فى ولاية مسقط العربية مع شئ قليل من التغيير ـ

المناخ والمحصولات

تعتبر منطقة طوران حارة جافة فى مجموعها والارض هناك صحراوية، وكانت منازلها كلها مبنية من الطين ، ويعانى اهلها قلة الماء لانعدام الانهار فيها، وقد كتب المقدسى عن قصدار انها خضراء مثمرة والاشياء بها رخيصة ويكر فيها العنب وليس بها نخيل ـ

التجارة

وبالرغم من قفرها هذا فقد كانت مركزا هاما للتجارة وخاصة المنطقة المشهورة فيها باسم "بودين"، التى كان يفد اليها التجار من ايران وكرمان وخراسان والهند لكثرة ما يحققون فيها من ربح وما يجنونه فى اسواقها من منفعة وقد ذكر المقدسى ان الرسوم التى تحصلها قد بلغت الرقم الاتى : ودخل ذلك فى كل سنة الف الف درهم ياخذه على تاويل العشور(٢)-

و تصريح المقدسى هذا لاينفى ماذكرناه سابقا من ان الحكومات هناك لم تكن منظمة ولم يكن لها ادارة ونسق لان كلام المقدسى هذا قبل سنة ٣٧٥هـ -

الحياة الاجتماعية

وقد كتب الاصطخرى فيما يتعلق بزيهم وانواع البستهم ما ياتى :

---

(١) احسن التقاسيم ص ٤٨١

(٢) احسن التقاسيم ص ٤٨١

وزی المسلمین والکفار بہا واحد فی اللباس وارسال الشعر ولباسہم الازر والمیازر لشدة الحر ببلدانہم(١)۔

اما فیما یتعلق باللغة فلا نجد فی شانہا تصریحا، ولکن یغلب علی الظن ان اللغة ہناك کانت خلیطا من الفارسیة و البلوصیة، ولم یکن للعربیة رواج ۔

الحالہ" الدینیہ" والاخلاقیہ"

لما کانت ہذہ المنطقة تحت سیطرة الخوارج، وحکامہا ینتسبون الی ہذہ الفرقة فقد اثر ذلك علی الحیاة العامة تاثیرا مباشرا، وفشا التصلب والتقشف والزہد بین عامتہم و خاصتہم کما ان الامن والامان صار مستقرا مستتبا و کانت القیم الدینیة والاخلاقیة لہا وزنہا واعتبارہا، ونذکر فیما یلی واقعة تکشف لنا کثیرا من ہذا الجانب فیذکر لنا القاضی ابوعلی التنوخی المتوفی سنة ٣٨٤ ان ابا الحسن بن لطیف المتکلم المعتزلی قد اخبرہ بانہ کان مجتازا منطقة قصدار وطن الخوارج فرای فی احدی القری رجلا عجوزا بالمسجد فوضع امتعتہ فی رزمة بجوارہ وقال لہ ''احفظ ہذہ عندك حتی اعود، فاجابہ ہذا العجوز قائلا : ضعہا فی المحراب وامض حیث شئت، ففعل ذلك ثم خرج من المسجد وتوجہ الی حقل من حقول الشمام فاکل فساءت صحتہ بضعة ایام و لما اعتدلت طبیعتہ وعادت الیہ صحتہ رجع الی المسجد فوجد بابہ مفتوحا والرجل غائبا ورزمة الثیاب لازالت مکانہا فی المحراب فتعجب من تصرف ہذا العجوز وترکہ الامانة علی ہذا الوجہ، فحملہامعہ و حضر فی نہار الیوم الثانی وقابل ہذا العجوز معاتبالہ لترکہ ہذہ الرزمة وبہا ملابسہ ہکذا فرد علیہ العجوز وہل ضاع منہا شیء فاجابہ

---

(١) المسالك و الممالك ص ١٧٧

بالنفی، وهکذا تمضی القصة لتوضح عن مدی اسانة القوم حتی ان الناس لا یغلقون ابواب المنازل فی اللیل ـ

العلوم الدینیه والعلماء

لا یظهر لنا ای نشاط علمی، او تقدم تعلیمی فی عہد انتشار الفوضی فی طوران ونظرا للشدة التی اتسم بہا الخوارج ـ وغلوهم فی الامر بالمعروف والنہی عن المنکر فقد حسنت الحالة الدینیة بین العوام ـ

وقد ظہر فیہا جماعة من اهل العلم بعد سنة ٤٧١ھ و منہم :

(١) رابعة بنت کعب القصداریة : وکانت شاعرة فی العربیة والفارسیة تکلم عنہا ابن حوقل وهی من مفاخر الدولة المتغلبة ـ

(٢) ابو محمد جعفر بن خطاب القصداری البلخی، وکان فقیہا عالما عابدا زاهدا نشا فی قصدار، ثم نزح الی خراسان، واقام فی بلخ وتلقی الحدیث علی ابی الفضل عبدالصمد بن محمد بن نصیر العاصمی ومن تلامیذ ہ ابو الفتوح عبدالغافر بن علی الکا شغری ـ

(٣) ابو داود سیبویه بن اسماعیل القصداری المکی، وکان عالما خرج من قصدار الی مکة واقام هناك وقد ترجم له العلامة السمعانی فی کتابه ''الانساب،، ـ



Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 9:2 (1974)

الحكومات العربية فى الهند والسند

(١٢)

تأليف : القاضى أطهر مباركپورى
ترجمة : الأستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل

نظرة عامة و تبصرة موجزة

ان ارتباط الهند والسند بمركز الخلافة قديما كان يسير مع الزمن ويدور معه وقد توطدت هذه العلاقة فيعهد الخلافة العباسية ، وتدعمت الروابط حتى فى الفترات التى انفصلت فيها ولايات و حكومات عن الخلافة ـ

وقد أدى محمد السندى بن شاهك مولى الخليفة أبى جعفر المنصور هو وأسرته دورا كبيرا فى عهد العباسيين فاسندت إليهم المناصب العالية، والوظائف الخطيرة وكان لا بن اخيه أبىطوطة ابراهيم بن عبدالسلام السندى دخل كبير فى الحكومة زمن المهدى، ولاخيه الثانى ابراهيم بن عبدالله السندى دور فى عهد الماسون و كذلك لخيار بن يحيى السندى، و سندى بن يحيى الخرشى فى عهد هارون الرشيد وقد صار واليا على ''واسط،، حتى عد من كبار القواد والرواد ـ

وفى عهد الخليفة الواثق بالله كان لحسين الخادم السندى قدر جليل فى تدبير الحكومة و كان ابراهيم بن سندى بن شاهك فريد عصره فى الطب والفلسفة والخطاب والتنجيم و قد تكلم عن ذلك الجاحظ ـ

أما نصر بن سندى بن شاهك فقد عين ماسورا على السجون فىعهد هارون الرشيد و مراقبا كذلك على جسر بغداد وغير ذلك من الوظائف الهامة ـ

و مهما يكن من أمر فان أهل السند قد قاموا ولا شك بخدمات جليلة، ولعبوا دورا خطيرا فى مجريات الأمور فى عهد الخلافة العباسية، حتى ان بعضهم قد أسهم فى الثورات التى قامت ومن هؤلاء نصر السندى الذى ترأس الفتنة التى حدثت مع صاحب الزنج الثالث والتى أحدثت اضطرابا شديدا فى البصرة ونواحيها سنة ٢٦٧هـ -

وعند ما قامت الثورة فى عمان سنة ٣٦٢ و قتل حاكمها عمر بن بنهانى الطائى من قبل الخليفة عضدالدولة كان من بين الثوار رهط من الهنود فأنفذ اليهم عضدالدولة جيشا من كرمان لتأديبهم فقابلهم فى صحار وانتصر عليهم -

اما الزط الذين اصيبوا بالقحط فنزحوا بأعداد كبيرة إلى كرمان، وفارس والاهواز وانتشروا حتى استطاعوا ان يستولوا على منطقة تمتد من البحرين حتى البصرة، وأن يقفوا فى وجه الخلافة العباسية، وكان محمد بن عثمان الزطى وسماق الزطى ممن يتزعمان الثوار فى القرن الثانى فسير اليهما المأمون سنة ٢٠٥ جيشا لمقاومتهما و كذلك المعتصم فانه سير إليهم حملة اخرى سنة ٢١٩

اما اهل السند فلم يحاولوا معاونة الثوار ضد الخلافة العباسية بأى نوع من المساعدة بل على العكس وقفوا دائما مع الخلافة، وكان يمكن لهم انتهاز الفرص فى الحصول على الحكم، او اية مآرب اخرى، ولكنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك وقد ذكرنا سابقا الخدمات الجليلة التى قدمها سندى بن شاهك وأسرته للخلافة ومقاومتهم لكل الحركات ضدها -

والآن سنتعرض بالحديث عن العلاقات بين الحكومات العربية فى الهند بجيرانها من الحكومات الاسلامية الأخرى المعاصرة لها ، بما يلقى ضوءا على

هذه العلاقات فنقول : ان بعض هذه الحكومات الاسلاسية التى كانت تعاصر الحكومات العربية فى الهند والسند، كان حكامها يرتبطون ارتباطا مباشرا بالخلافة العباسية فى بغداد كما كانت هناك علاقات ودية كتلك التى كانت بين الصفارين والسامانيين والديلميين والغزنويين والغوريين -

وسن اكبر الحكومات واوسعها فى ذلك الوقت حكومة بنى بويه فى الديلم و حكومة بنى سبكتيكين فى غزنين -

وسن المعروف انه كان لبنى بويه قوة وشوكة، ونظرا لأنهم كانوا من الشيعة فلم تكن عندهم عاطفة نحو الحكومات السنية فى المنصورة والملتان أو حكومة الخوارج فى مكران و طوران، ولكنهم لم يتعرضوا لأى منها، وانما سعوا لاكتساب ود جيرانهم، ووجهوا عنايتهم وبذلوا جهودهم للا ستيلاء على مركز الخلافة فى بغداد ولم تشخص ابصارهم او تتطلع نفوسهم لبلاد السند لانشغالهم فى الهدف الاول بينما كان يمكنهم الاستيلاء على السند بكل سهولة نظرا لقوتهم وقربهم -

و نهج آل سبكتكين على خلاف ذلك، فقد كانوا من أهل السنة والجماعة مرتبطين بمركز الخلافة عاملين على نشر الاسلام و تبليغه فى كل من السند والهند ، وفى سبيل ذلك وجهوا عنايتهم للقضاء على مؤامرات الرجوات الذين كانوا يمدون الثوار و يعاونون القائمين بالفساد والافساد من الملاحدة والقرامطة والرافضة والاسماعيلية وقد استطاعوا بفتوحاتهم القضاء على كل الحكومات العربية التى كانت موجودة آنذاك -

دولة آل بويه

وقد تطلع سلاطين الديلم من آل بويه الى بلاد السند ولم يكن ذلك الا

بقدر تعقب المخالفين لهم، الذين هربوا من بلادهم ولجاؤا إلى البلاد المجاورة لهم وقد حمل الديلميون على السند و مكران، وبعد ذلك بمدة ثار البولصيون فأرسلوا إليهم كورتكين و عابدين لتاديبهم فحصروهم فى ''جيرفت،، وفر باقى الثائرين، وقبض عابدين على الف ثائر من البلوصيين بعد ان افتحم عليهم مدن تبز مكران ولم يتركهم حتى اعلنوا الطاعة لعضد الدولة، واقامة الحدود الشرعية(١) -

وفى سنة ٣٨٣ حدث بين بهاء الدولة واخيه صمصام الدولة نزاع و وصل الامر الى درجة ان صمصام الدولة قد امر فى سنة ٣٨٥ھ بقتل جميع الترك الموجودين فى فارس فقتل منهم عددا كبيرا و من استطاع الفرار منهم اشاع الثورة والفساد، و كانت طائفة كبيرة منهم قد اجتازت السند، و وصلت الى كرمان فقتلوا هناك(٢) -

ومن المؤكد انه قد سنحت الفرصة مرتين لبنى بويه لدخول السند ولكنهم لم يحاولوا التدخل -

دولة آل سامان

بزغ عهد آل سامان فى سنة ٢٧٢ وصاروا حكاما على ماوراء النهر، وكان الامير نوح بن منصور السامانى قد عين سبكتكين حاجبا له فى سنة ٢٦٥ وقد استطاع ان يقيم حكومة فى غزنين بعد السامانيين -

و فى آخر عهد السامانيين استولى على ''بست،، شخص يدعى امير طغان فقام فى مواجهته شخص آخر يدعى ''ابو ثور،، وعند ذلك طلب طغان من سبكتكين معاونته، فوعده واقبل عليه بجيشه و مكن له، ثم توجه الى قصدار و قبض على حاكمها، ولما اعلن الطاعة أرجعه إلى منصبه وكانت هذه الواقعة سنة ٣٨٤ھ -

---

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٤٤٦

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٤٦٥

ويعتبر الأمير نوح بن نصر الساماني الأمير الرابع من سنة ٣٣١ الى سنة ٣٤٣هـ وكان حاجبه في تلك الفترة رشيق الهندى ـ

دولة آل الصفار

بدأت حكومة بنى صفار على يد يعقوب بن ليث بن صفار سنة ٢٥٣ الذى توفى سنة ٢٦٥ وبالرغم من قصر مدة حكمه فقد حدثت فى عهده فتوحات كثيرة من المناطق التى كانت قد انحرفت عن الخلافة العباسية، ولذلك منحه الخليفة الحكم على سجستان والسند و ورث الحكومة من بعده اخاه عمرو بن ليث الذى اكد للخليفة المعتمد ولاءه وكانت حكومة الهباريين قائمة بالمنصورة فى ذلك الوقت ـ

دولة بنى سبكتكين فى غزنين

ونتج عن سقوط السامانيين وجود حكومتين جديدتين احداهمافى بخارا (لبقرا خان،، وثانيهما فى غزنين ـ

وقد صحب سبكتكين ابنه محمود الى الهند ففتحا كثيرا من المناطق التى لم يكن الفتح الاسلامى قد امتد اليها، وكان سبكتكين قد حكم على غزنين ٢٨ عاما، وتوفى سنة ٣٨٧هـ واعترف جيشه بابنه اسماعيل من بعده، وكان أصغر من محمود الذى كان فى نيسابور فى هذه الايام فجاء وحاصر اسماعيل وتم له الاستيلاء على غزنين ، ولقب بالسلطان وحارب الحكام الباطنيين فى الملتان سنة ٣٩٦هـ، واستولى على قصدار ـ

الدولة الغورية

وقامت الدولة الغورية على اعقاب الدولة الغزنوية، فورث ابو الفتح

غياث الدين الغوری الملك سنة ٥٠٦ وفی عام ٤٧١ ضم الی سلطنته مکران و طوران وکان لتلك الدولة روابط طيبة و علاقات ودية بالحکومات الاسلامية الاخری المعاصرة -

الرجوات المعاصرون للحکومات العربية

فی الوقت الذی کانت تقوم فيه الحکومات العربية فی الهند کانت توجد الی جانبها حکومات هندوکية متعددة وکانت العلاقات بينها عموما طيبة للغاية و بعضها دخل فی حروب و منازعات بل ان بعض الحکومات العربية کان بداخل اراضيها حکومات هندوکية ، علی نحو ماکان فی ''ألور،، اثناء خضوعها لحکام المنصورة و حکومة راجا قنوج فی الملتان التی کانت من اشد المعاندين للحکومات العربية و فی البنجاب کانت هناك حکومة اخری غير اسلامية (لراجا ويهند) وکان بها ولقنوج حاکم مسلم بجوار الراجا الهندوکی يرعی مصالح المسلمين -

(ويهند (٢)) حسب قول الاصطخری منطقة فی بلاد الهند ولعلها (بهٹنده) فی البنجاب التی کانت تضم المدن الآتية : تادمهل وکنبائت وسوباره و سندان وصيمور والملتان وحبذراود و بسمد وان کانت بعض هذه البلاد قد انضوی تحت حکومة الملتان فيما بعد -

أما المقدسی فقد عد فی زمانه من بلاد ''و يهند،، و دهان و بتير و نوج لوار وکوج (٢) و ذکر ان السکان هناك غير مسلمين ، وهم قلة يلی امرهم حاکم مسلم بجوار الحاکم الهندوکی ، وانه فی سنة ٣٩٢ حاصر السلطان محمود الغزنوی ''و يهند،، وأدب راجا جی بال ، وفتحها قسرا وعنوة -

(١) راجا قنوج و قد استمر حاکم قنوج واهلها فی حروب مستمرة مع

---

(١) انظر سليمان الندوی : عرب و هند کے تعلقات ص ٣٩٧'

المسلمين خاصة مع بنى سامة وقد ذكر المسعودى أنها انضوت أخيرا تحت لواء الاسلام ولذلك عدها من بلاده، واوضح أن بها قلة من المسلمين لهم حاكم مستقل، وقد فتحها السلطان محمود الغزنوى واخضعها تحت حكومة غزنين ـ

(٢) راجا بلهرا وكان يحكم على سنكرو فى كجرات، و يكرم المسلمين و يجلهم فاقام لهم محاكم خاصة بهم، يرجع اليها المسلمون فى معاملاتهم، وخصوصاتهم، وكان يطلق على قاضى تلك المحاكم ''هزمن،، وهو بمثابة نائب الراجا ـ

وقد اعتقد حكام بلهرا ان اعمارهم تطول بسبب اكرامهم للمسلمين وقد بلغ من حرصهم على تكريم المسلمين ومراعاةشعورهم، انهم احلوهم من التقيد والالتزام بجلسة ''برسيلا،، امام ''بلهرا سهار جكان،، وكان من العادة انه اذا خالف اى هندوكى ذلك فانه توقع عليه غرامة كبيرة ـ

راجا جزر: وكان حاكما على منطقة فى كجرات وقد ذكر ابن رسته ان العدل والانصاف يعم سملكته وان التجار العرب يلقون منه كل محبة و تكريم بعد عهد سليمان التاجر ـ راجا سيلمان وقد ذكر ابن رسته ان لهذا الراجاجيش كبير يصل الى سبعين الف، ولما بلغ السلطان الغزنوى انه يعادى المسلين قام عليه و فتح ''تهانيسر،، و حاربه وانتصر عليه ـ

راجا طافن : وهو فى جنوب الهند مثل بلهرا فى غربها يحب المسلمين و يجلهم

راجا قماز : وقد كتب عنه ابن رسته انه من كبار الظلمة ـ

راجا سرانديب : وكان كل رجوات سرنديب يعتقدون فى المسلمين و كان التجار العرب ياتون ويذهبون الى هناك و منهم من اقام بها وقد مربنا امر

الوفد السرنديبى الذى سافر الى المدينة و وصل اليها فى عهد عمر۔

وغير هؤلاء ممن ذكرنا راجا رهمى ورتبيل و كان كل من يحكم فى البنغال يدعى ''رهمى،، نسبة الى اسرة رهمى وكان هؤلاء الملوك يملكون قوة كبيرة من الفيلة و يحرصون على صفوالعلاقات مع الحكام المسلمين ۔

كما كان يطلقه على رجوات و مهراجات الحدود الشمالية الغربية للهند ''رتبيل،، واشتهر حكام هذه المنطقة بذلك اللقب و منهم من كان يعرف اللغة العربية و سياتى الكلام على ذلك ۔

غفلة" المسلمين

لا شك ان كثيرا من الرجوات الهندوك كانوا يحبون المسلمين و يقتربون من الا سلام حتى ان منهم من سعى الى الاتصال بالرسول فارسل احدهم بهدية من زنجبيل(١) اكل منها النبى واهدى اصحابه منها ۔

وعند ما فتح محمد بن القاسم بلاد السند اصبح الاسلام قريبا منهم فرأوا محاسنه ولمسوا أحقيته حتى ان خمسة عشر راجا قد اسلموا فى وقت واحد فى عهد عمر بن عبد العزيز و تركوا اسماءهم الهندية وتسموا باسماء عربية ۔

و فى سنة ٢٥٩ اسلم احد حكام السند واهدى للكعبة(٢) نذرا وقد مضى

---

(١) روى المحدث ابو عبدالله الحاكم فى المستدرك عن أبى سعيد الخدرى ''اهدى ملك الهند الى رسول رسول الله صلعم جرة فيها زنجبيل فاطعم اصحابه كلا منهم قطعة قطعة واطعمنى قطعة،، و يعقب الحاكم على ذلك بقوله :۔

لم اخرج من اول هذا الكتاب لعلى بن زيد بن جدعان حرفا واحدا ولم احفظ فى اكل الرسول الزنجبيل سواه فخرجته ۔

(٢) ذكر الفاكهى ان مما اهدى الى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت مع ياقوتة خضراء ارسله ملك السند لما اسلم سنة تسع و خمسين ومائتين فعرض امره على المعتمد على الله فامر بتعليقها فى البيت الشريف فعلقت ''الاعلام باعلام بيت الله الحرام،، عن نسخة خطيبة بمكتبة الازهر الشريف ۔

الحديث عنه وفى عهد الخليفة المعتصم اسلم راجا عسيقان عن رضا ورغبة واستدعى بعض التجار المسلمين ليفقهوه فى الدين على نحو ماذكرنا آنفا ـ

وقد بلغ من اعتدالهم وعدم تعصبهم انهم اقاموا التماثيل للقواد المسلمين الفاتحين والشخصيات العظيمة منهم مما لازال بعضه موجودا حتى الآن ـ

وفى القرن الرابع امر احد الرجوات الهندوك باعداد تصوير للبحار الشهير محمد بن بابشاد السيرافى لمهارته وتفوقه فى علم البحار ـ

ونستخلص من مجموع ما ذكرنا، ان الرجوات والزعماء الهندوس قد استقبلوا الاسلام بروح طيبة وعاطفة لا باس بها، ولكن مما يؤسف له اشد الأسف ان الخلافات التى حدثت بين المسلمين، والمنازعات التى وقعت بينهم لم تدعهم يلتفتون الى ذلك او يهتمون بالتبشير بالاسلام، ولو انهم فعلوا لكان خيرا لهم، ولصارت كل القارة الهندية امة مسلمة قوية، ولكن كما قلنا ان الحروب الاهلية والعصبية القبلية والثورات العلوية، والمؤامرات الشيعية، والنشاط الخارجى، كل ذلك قد حال دون تلك الغاية الكبيرة(١) ولقد كان بعض الرجوات فى السند والمناطق الشمالية والغربية يعرفون اللغة العربية ويحفظون اشعارا للصحابة، ومنهم راجا رتبيل الذى انشد شعرا لحسان بن ثابت، كان قد انشده فى حق الحارث بن هشام، وذلك على وجه التعريض بعبد الرحمن بن اشعث الذى كان قد وصل الى ملوك الهند بعد هزيمته فى موقعة ''خرابى بسيار،، فقال :

ترك الاحبة ان يقاتل دونهم و نجا براس طمرة و لجام

---

(١) وفى عصرنا الحديث شئ يقارب من ذلك فقد كان المنبوذون جميعا سيدخلون فى الاسلام تحت زعامة رئيسهم الدكتور ''امبيد كار،، ولكنه تحول اخيرا عن الاسلام بسبب ماراه من تفكك المسلمين ـ

فلما سمع ذلك ابن اشعث قال لراجا رتبيل وألم تسمع جواب هذا البيت في شعر حارث بن هشام، فاجابه رتبيل وماذا قال الحارث ـ

فاسمعه ابن اشعث الابيات الآتية :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسی باشقر مزبد

وعلمت انی ان اقاتل واحدا اقتل ولا يضرر عدوی مشهدی

فصددت عنهم و الاحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

فلما سمع رتبيل ذلك قال لاشعث : انكم يامعشر العرب قد زينتم كل شیٔ حتى الفرار جعلتم فيه حسنا و جمالا،،(١) ـ

و كتب عبدالله بن مروان الى رتبيل ان ابن اشعث قد خرج ضدی واعلن انشقاقه عنه، وقد أراد أن يقيم عندك، فرده علينا، فقال رتبيل لمصاحبيه وبطانته ان ابن اشعث رجل مخالف للملوك وليس من المناسب ان يقيم هنا بيننا، فقبض عليه و ارسله الى الشام مع مائة رجل ثقاة ـ(٢)

العلاقات العربيه بالهند

لاشك ان العلاقات بين العرب والهند كانت موجودة فی عهد الرسالة بكثير من الوجوه وفی عهد الخلفاء الراشدين ظلت محصورة و محدودة، فلما كان عهد معاوية امتدت هذه العلاقات من الهند الى الصين، حتى ان ملك الصين ارسل الى معاوية بهدايا ثمينة، و فی عهد عمر بن عبدالعزيز تطورت العلاقات فشملت كتابة الرسائل، وتوجيه الوفود، واسلم كثير من الرجوات وفی العهد الاموی كان دور بنی ثقيف فی الهند ـ

---

(١) كتاب الاغانی ج ٤ ص ١٧٤ طبع دارالثقافة بيروت ١٩٥٨ ـ
(٢) الاخبار الطوال ص ٣٠٩

و كان تعيين الولاة والعمال وعزلهم فى السند يأتى من الخلفاء انفسهم، كما كانت تؤخذ من تلك الولايات البيعة للخليفة الجديد او ولى عهده كباقى الامارات و بالطبع كان الولاة والعمال يسيرون بولاياتهم و يسوسونها وفقا لهدى مركز الخلافة ـ ونحن نعرف انه عندما هاجم محمد بن القاسم على السند فقد تسلم فى اليوم الثالث من الحملة رسائل وردت اليه من مقر الخلافة فى العراق تشتمل على ارشادات و توجيهات ـ

كما انه عندما حدث زلزال الديبل فى سنة ٢٨٠ أبلغ أمره الى الخليفة، وهكذا نجد كثيرا من الامور التى تدل على مدى ارتباط تلك البلاد بمركز الخلافة ـ

علاقة الهند الثقافية بالعالم الاسلامى قديما

وكان النشاط العلمى فى الهند سائرا، وبرز كثير من الهنود فى الفقه والحديث والتفسير والطب والنجوم و الفلسفة وعلم الكلام، وقد كتب البيرونى فى كتابه الهند عن ذلك، و اوضح دور الهند فى مجال العلوم العقلية والنجوم والرياضيات ـ

كما تعرض بزرج بن شهريار ناخدا فى كتابه عجائب الهند للحالة الدينية والاقتصادية والاخلاقية، وكثير آخرون من الرحالة والتجار والملاحين ومن هؤلاء ـ

(١) سليمان التاجر فى رحلته سنة ٢٣٧

(٢) ابو زيد السيرافى فى رحلته سنة ٢٦٤

(٣) الاصطخرى سنة ٣٤٥ فى المسالك والممالك

(٤) ابن حوقل فى كتابه صور الارض

(٥) ابو دلف الينبوعى البغدادى فى رحلته

(٦) ابن رسته فى كتابه الاعلاق النفسية

(٧) ابن خرداذبه سنة ٢٥٠ فی المسالك والممالك

(٨) ابن فقيه الهمدانی سنة ٢٨٠ فی كتابه البلدان

(٩) المسعودی فی كتابه مروج الذهب

(١٠) بشارة المقدسی سنة ٣٧٥ احسن التقاسيم

(١١) بزرج بن شهريار ناخدا فی عجائب الهند

(١٢) البيرونی سنة ٤٠٠ فی كتاب الهند

(١٣) ابو حامد الغرناطی فی تحفة الالباب

(١٤) الشريف الادريسی فی عجائب البر والبحر

(١٥) زكريا القزوينی سنة ٦٨٢ فی آثار البلاد

(١٦) ياقوت الحموی سنة ٦٢٦ فی معجم البلدان

(١٧) ابو الفدا فی تقويم البلدان

وقد تناول كل من ابی الفدا و ياقوت الحموی مدن و قری السند و جبالها و وديانها وانهارها و طرقها وصحاريها بالبيان والتفصيل، وقدرا المسافات وذكرا الحدود

المؤرخون والهند

ولقد كتب المؤرخون المسلمون كتبا مستقلة عن الهند وفتوحاتها ، علاوة عما ذكروه عنها ضمن كتبهم الاخری، فكتب الواقدی المؤرخ المشهور ''اخبار فتوح السند،، و كتب ابوالحسن علی بن محمد المدائنی سنة ٢٢٥ كتاب '' ثغر الهند،، وكتاب فتح سكران، و كتاب ''عمال الهند،، وقد خصص البلاذری فی كتابه فتوح البلدان بابا مستقلا جعل عنوانه ''فتوحات الهند،، وادرج فيه معلومات جيدة وحذا حذوه ائمة التاريخ من بعده كالامام الطبری و ابن الأثير وأبن خلدون

كما كتب عن رجالات الهند فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى والسمعانى فى كتابه ''الانساب،، وابن عساكر فى ''تاريخ دسشق،، وابن كثير فى ''البداية والنهاية،، وياقوت فى ''سعجم البلدان،، و ''سعجم الادباء،، و اين عماد فى ''شذرات الذهب،، وابن النديم فى كتابه ''الفهرست،، والقفطى فى كتابه ''اخبار العلماء باخبار الحكماء،، ـ

العلماء والمحدثون

كان لأهل الهند باع طويل فى العلوم الاسلامية، وسن الاسر العلمية التى توارثت العلم آل سعشر السندى سن القرن الثانى الى القرن الرابع، فكانت لهم الاسامة فى الحديث والسير والمغازى فى كل سن بغداد والمدينة المنورة وسنهم ايضا ابو سعشر نجيح بن عبدالرحمن السندى المدنى، وقد ظلت الديبل سنارة للعلم والعلماء فترة طويلة سن الزسن و سنها خرج الاسام ابو جعفر محمد بن ابراهيم الديبلى محدث سكة المتوفى سنة ٣٢٢ھ وابنه ابراهم والاسام ابوعبدالله محمد بن عبدالله الديبل وغيرهم كثير و كثير ـ

الشعراء والادباء

وسن الشعراء ابو عطاء السندى الحماسي و سندى بن صدقة و سنصور المهدى وابو أصلع السندى و محمد بن سندى المكى، وغير هم ممن كان لهم سقام فى الشعر العربى فى صدر الاسلام و سن بينهم كذلك رابعة بنت كعب القزدارية و محمد بن حسن السندى بن شاهك المعروف بكشاجم و مسعود بن سعد بن سليمان اللاهورى و لكل سنهم قصص وروايات لم نجد ضرورة لذكرها ـ

الطب والنجوم والرياضة والعلوم

كتب كل سن ابن صاعد الاندلسى والبيرونى و ابن أبى أصيبعة وابن النديم

والقفطی والشہرستانی عن علوم و فنون الهند، وعند ما انشیٔ بیت الحکمة فی عهد هارون الرشید علی ید البرامکة کان به عدد وافر من العلماء والحکماء الهنود الذین عهد الیهم بترجمة الکتب ونذکر منهم ’’ بهلة ،، توقشتل کارکا، یلک، ساسور، سسروتا، کنکا منکا، صکه، صبنجل ناقل، نہق، وقد افاد الطب الهندی فی ذلك واستفاد۔

وقد صارت امامة الطب فی بغداد للطبیب الهندی ’’بهمله،، ثم لصالح ابنه و من ثم لحفیده حسن ولا نجدنا فی حاجة الی ذکر کتاب کایلة ودمنة الذی ترجمه عبدالله بن المقفع و غیره من کتب الزیج والریاضیات والفلك فهذا امر مشهور معروف غنی عن البیان والتعریف۔